تحياتى:محمود رشدى

Ahmed_8600@yahoo.com

٥ ـــ تاريخ عصر الخلفاء الراشدين :

خامس الخلفاء الراشدين

أمير المؤمنين

الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

شخصيته وعصره

د . علي محمَّد الصَّلاَّبيِّ

الإهداء

إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين الله تعالى ونصرته والدعوة إليه أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يكون خالصاً لوجهه الكريم .

قال تعالى ((... **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**))

((الكهف ، الآية : ١١٠)) .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبـــده ورسوله .

((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**)) (آل عمران ، الآية : ١٠٢) .

((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**))

(النساء ، الآية : ١) .

((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا** سَدِيداً * **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**)) (الأحزاب ، الآية : ٧٠ ، ٧١)

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، ولك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضى .

أما بعد :

هذا الكتاب امتداد لدراسة عهد النبوة والخلافة الراشدة ، لقد صدرت مجموعة من الكتب في هذا الشأن ، وهي : السيرة النبوية ، عرض وقائع وتحليل أحداث ، الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق ، وفصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وتيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وأسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، لقد سميت هذا الكتاب ، خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب ، شخصيته وعصره ، ويتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين الحسن من مولده حتى استشهاده ، فيبدأ بالحديث عن إسمه ونسبه وكنيته وصفته ولقبه ، وتسمية رسول الله له ، وتأذين رسول الله في أذنيه وحلق شعر رأسه ، وعقيقته ، ومرضعته أم الفضل رضي الله عنها وعن زواجه وزوجاته والروايات التي حولهنَّ ، وبيان حقيقة الروايات التي تزعم بأن الحسن رضي الله عنه كان مزواجاً مطلاقاً ، كما يتحدث الكتاب عن

أولاده ، وأخوانه وأخواته ، وأعمامه وعماته ، وأخواله وخالاته ، وعن والدته السيدة فاطمة رضي الله عنها ، عـــن مهرها وجهازها وزفافها ، ووليمة عرسها ، ومعيشتها وزهدها وصبرها ، ومحبة رسول الله لها وغيرته عليها وصدق لهجتها وسيادتها في الدنيا والآخرة ، وبين الكتاب العلاقـــة بين الصديق والسيدة فاطمة ، وميراث النبي صلى الله عليه وسلم . حقيقة علاقة السيدة فاطمة مع أبي بكر رضي الله عنه ، وعن وفاة السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وفصل الكتاب مكانة السيد الحسن عند جده الحبيـــب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلى محبة رسول الله ورحمته بالحسن وملاعبته والدروس المستفادة من هدي النبي في التعامل مـــع الأطفـــال ، كتقبيلهم والرأفة والرحمة بالأطفال ومداعبتهم وممازحتهم وأهمية الهـــدايا والعطايا التي تقدم لهم ، وحسن استقبالهم وتفقد أحوالهم والسؤال عنهم واللعب معهم ، وتكلم الكتاب عن الأحاديث التي أشـــارت إلى شـــبه الحسن بن علي رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وكون الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وقوله صلى الله عليه وســـلم : همـــا ريحانتاي من الدنيا ، وعن إعلان رسول الله صلى الله عليه وسلم علـــى الملأ عن كون الحسن السيد ولعل الله يصلح به بين فئتين من المـــسلمين عظيمتين ، وذكرت الأحاديث التي رواها الحسن بن علي عـــن جـــده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقلت وصف رسول الله ، كما رواه الحسن ، وذكرت ما جاء في فضائله ، كآية التطهير وحديث الكـــساء ، وناقشت آية التطهير ومناط الاختلاف بين أهل السنة والشيعة في هـــذه الآية ، وبينت التفسير الصحيح للآية على منهج علماء خير القرون ومن

سار على هديهم ، وذكرت آية المباهلة ووفد نصارى نجران وبينت علاقة ذلك بالحسن ، وأشرت إلى أثر التربية الأسرية على الحسن بن علي رضي الله عنه وأثر الواقع الاجتماعي على تربيته . وأفردت مبحثاً مستقلاً عـــن حياة الحسن في عهد الخلفاء الراشدين ، فتكلمت عن مكانة الحـــسن في عهد الصديق وأهم الأحداث التي أثرت في ثقافته في عصر أبي بكر وماذا إستفاد من ذلك العهد الزاهر ، وكذلك في عهد عمر وعثمـــان وعلـــي رضي الله عنهم جميعاً ، وتحدثت عن استيعاب الحسن للفقه الراشدي في نظام الحكم ومفاهيم الإسلام وعلاقته الحميمـــة بالخلفـــاء الراشـــدين ، وتعرضت لمعركة الجمل وصفين وموقف الحسن منـــها وتحـــدثت عـــن استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ووصية أمـــير المـــؤمنين علـــي للحسن والحسين رضي الله عنهما ، ونهي أمير المؤمنين علي عـــن المثلـــة بقاتله ، وخطبة الحسن بعد استشهاد أبيه ، وعن استقبال معاوية رضـــي الله عنه خبر مقتل علي رضي الله عنه ، وعن بيعة الحسن وشرطه في البيعة وبطلان قضية النص على خلافته ، وإنما اختارته الأمة على وفـــق نظـــام الشورى المعروف ، وتكلمت عن مدة خلافة أمير المؤمنين الحسن ومعتقد أهل السنة في خلافته وأثبت بأن خلافته كانت خلافة راشدة حقـــة لأن مدته في الحكم كانت تتمة لمدة الخلافة الراشدة التي أخبر النبي صـــلى الله عليه وسلم أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً ، فقـــد روى الترمـــذي بإسناده إلى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك[1] ، وقـــد

[1] سنن الترمذي مع شرحها ، تحفة الأحوذي (٦/٣٩٥ ـ ٣٩٧) حديث حسن .

علق ابن كثير على هذا الحديث فقال : إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول في سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً[1]، وبذلك يكون الحسن خامس الخلفاء الراشدين[2] ، وعند الإمام أحمد من حديث سفينة أيضاً بلفظ : الخلافة ثلاثون سنة ثم يكون بعد ذلك الملك[3] ، وعند أبي داود بلفظ : خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء أو ملكه من يشاء[4] ، ولم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن ، وقد قرر جمع من أهل العلم عند شرحهم لقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، أن الأشهر التي تولى فيها الحسن بعد موت أبيه كانت داخلة في خلافة النبوة ومكملة لها ، وهذه بعض أقول أهل العلم :

١ ـ قال القاضي عياض : رحمه الله : لم يكن في الثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة ، والأشهر التي بويع فيها الحسن بن علي والمراد في حديث : الخلافة ثلاثون سنة : خلافة النبوة فقد جاء مفسراً في بعض الروايات : خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً[5] .

٢ ـ وقال أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية : وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشرة سنين ونصفاً وخلافة

---

[1] البداية والنهاية (١٣٤/١١) .
[2] مآثر الأنافة (١٠٥/١) ، مرويات خلافة معاوية ، خالد الغيث صـ ١٥٥ .
[3] فضائل الصحابة (٧٤٤/٢) إسناده حسن .
[4] صحيح سنن أبي داود (٧٧٩/٣) ، سنن أبي داود (٥١٥/٢) .
[5] شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠١/١٢) .

عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي أربعة سنين وتسعة أشهر ، وخلافة الحسن ستة أشهر[1] .

٣ ـــ وقال ابن كثير : والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحـــديث الذي أوردناه في دلائل النبوة[2] من طريق سفينة مولى رسول الله قـــال : الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، وإنما كلمت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي[3] .

٤ ـــ وقال ابن حجر الهيثمي : هو آخر الخلفاء الراشدين بـــنص جـــده صلى الله عليه وسلم ، ولي الخلافة بعد مقتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فأقام بها ستة أشهر وأياماً ، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقاً لما أخبر بـــه جده الصادق المصدوق بقوله : الخلافة بعدي ثلاثون سنة[4] ، فإن تلـــك الستة أشهر هي المكملة لتلك الثلاثين[5] ، فهذه بعض أقوال أهل العلم في كون الحسن أحد الخلفاء الراشدين ، فأهل السنة يعتقـــدون أن خلافـــة الحسن ، كانت خلافة حقة وأنها جزء مكمل لخلافة النبوة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن مدتها ثلاثين سنة[6] .

هذا وقد بينت بأن هناك خطباً نسبت للحسن لا تصلح ، وذكرت أقوال أهل العلم فـــي بعض الكتب ، ككتاب الأغاني لأبي فرج الأصـــفهاني ، والذي يعتبر من الكتب التي شوّهت تاريخ صدر الإسلام ، وهذا الكتاب ، كتاب أدب وسمر وغناء ومجون وليس كتاب علم وتاريخ وفقـــه ولـــه

---

[1] شرح الطحاوية صـ ٥٤٥ .
[2] البداية والنهاية (١٣٤/١١) .
[3] المصدر نفسه (١٣٤/١١) .
[4] الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٣٩٧/٢) .
[5] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٧٤٨/٢) .
[6] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٧٤٨/٢) .

طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ ، وقد نقلت أقوال أهل العلم في الأصفهاني ، وعدم ثقتهم فيه وتضعيفه واتهامه في نقله ، وأثبت بالحجج والبراهين والدراسة العلمية أن هذا الكتاب لا يصلح أساساً كمصدر للعلم أو مرجعاً للبحث في الأدب والتاريخ ، ولقد كان لهذا الكتاب أثر كبير في تشويه تاريخنا ولذلك وجب التحذير منه ، ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل ، كتاب نهج البلاغة ، فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه فقد جمع بعد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بثلاثة قرون ونصف بلا سند ، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصاً فيما يوافق بدعته فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج ؟ وأما المتهم بوضع النهج فهو أخوه علي ، وقد بينت أقوال العلماء في نهج البلاغة .

إن كتاب نهج البلاغة يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة ومن أراد الاستفادة منه فعليه أن يعرض المسائل العقائدية والأحكام الشرعية ، وما يتعلق بالصحابة الكرام على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما وافق الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة عند علماء المسلمين ، فلا مانع من الاستئناس به وما خالف فلا يلتفت إليه ، فكتاب الأغاني ونهج البلاغة وغيرها من الكتب الواهية لا يمكن لطالب علم يحترم الحقيقة العلمية والموضوعية والحيادية أن يعتمد عليها في البحث التاريخي الجاد الذي يراد به وجه الله تعالى .

هذا وقد تتبعت أهم صفات الحسن وحياته في المجتمع وأثبتت بأن شخصيته تعتبر شخصية قيادية فذّة وأنه رضي الله عنه اتصف بصفات القائد الرباني ، فمن أهم الصفات التي أشرت إليها بعد نظره ، واستيعابه للأحداث الجارية حوله ، وقدرته على قيادة الجماهير ، وعزيمة قوية في تنفيذ الأهداف المرسومة وقد اتضحت هذه الصفات عند حديثنا عن مشروعه الإصلاحي العظيم بالإضافة إلى بعض الصفات الأخرى . كالعلم بالكتاب والسنة ، والعبادة الخاشعة ، وزهده الكبير في السلطة وأمور الدنيا ، وإنفاقه وكرمه وجوده وسخاؤه الذي لا يميز بين غني وفقير ، أو صغير وكبير ، أو قريب أو بعيد ، فقد كانت نفسه مجبولة على البذل والعطاء والكرم والسخاء في مرضاة الله تعالى ، وكأن هذه الشخصية العظيمة مراد الشاعر :

إني لتُطربني الخلال كريمة
طرب الغريب بأوبة وتلاقِ
ويهزُّني ذكرُ المروءة والندى
بين الشمائل هِزةَ المشتاق
فإذا رُزِقتَ خليقة محمودة
فقد اصطفاك مقسم الأرزاق
فالناس هذا حظه مال ، وذا
علم وذاك مكارم الأخلاق

ومن صفاته التي تحدثت عنها حلمه ، وتواضعه ، وسيادته وشرحت مفهوم صفة السيادة من خلال سيرة الحسن ، وبأن السيادة لا تكون بالقهر وسفك الدماء ، أو إهدار الأموال والحرمات ، بل السيادة بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء ، فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه رضي الله عنه ذروة السيادة .

وعشت مع الحسن في حياته مع المجتمع ، وكيف كان يرد على المعتقدات الفاسدة ؟ ويهتم بقضاء حوائج الناس ، ويغار على نسبه النبوي الشريف ، ومعاملته لمن يسئ إليه ، وحسن خلقه بين الناس ، وبعده عن فضول الكلام ، وتحدثت عن ثناء سادة المجتمع الإسلامي عليه ، وجمعت جملة من أقواله وخطبه ومواعظه وشرحتها لكي نستفيد منها في حياتنا المعاصرة وأفردت مبحثاً عن أهم الشخصيات التي كانت حوله واخترت قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي ، فهو أول ما بايع الحسن وهو من دهاة عصره ، ومن أهم القيادات في جيش الحسن ، وعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب فهو من قادة جيوشه وولاة أبيه وقد تعرض في بعض كتب التاريخ للتشويه بالزور والبهتان ولذلك اخترته وبينت حقيقة مواقفه ، ومن الشخصيات التي كانت حول الحسن ويعتبر من مستشاريه الكبار عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقد استشاره الحسن في الصلح مع معاوية ، فشجعه ودفعه إلى ذلك ، فقد رأيت أن أترجم لهذه الشخصيات المهمة ، وهذا ينسجم مع منهجي في الدراسة الذي يهتم بسيرة الحسن وعصره والشخصيات المؤثرة فيه ، ومن خلال دراسة هذه الشخصيات ، يمكننا الوصول إلى بعض معالم روح ذلك العصر .

ووقفت مع صلح الحسن واعتبرته مشروعاً إصلاحياً عظيماً ولذلك قمت بطرحه وفق هذه الرؤية التي وضعها الحسن وقام بتنفيذها ، فذكرت أهم المراحل التي مرّ بها الصلح وماذا حدث في كل مرحلة ، وتأملت في أهم أسباب الصلح ودوافعه ، كرغبة الحسن فيما عند الله ، وحرصه على حقن دماء المسلمين ووحدة الأمة ، وتحقيق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها من الدوافع والأسباب ، وقد قمت بتوضيح أقوال الحسن التي كانت سبباً ودافعاً له على الصلح والتي تدل على فهمه العميق لمقاصد الشريعة الغراء . وتحدثت عن شروط الصلح التي تمت بين الحسن ومعاوية ، والنتائج التي ترتبت عليه ، وبرهنت بالأدلة التاريخية أن الحسن رضي الله عنه تنازل عن الخلافة لمعاوية من موقف قوة ، وليس كما يزعم بعض المؤرخين . وتظهر عظمة الحسن بن علي من خلال تصرفاته ومواقفه في حياته والتي من أهمها تصوره للمشروع الإصلاحي وقدرته الفذة على التنفيذ ، فكم من الناس يملكون تصورات ونظريات إصلاحية ولكنهم يعجزون على إسقاطها في دنيا الناس .

وقد ناقشت بعض الأكاذيب التاريخية في هذا الكتاب مثل زعم بعض المؤرخين أن الدولة الأموية في عهد معاوية عممت على منابرها شتم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، فأثبتت بالبراهين والأدلة ، والشواهد الصحيحة على بطلان هذه الفرية والتي التقطها بعض كتاب التاريخ دون إخضاعها للنقد والتحليل حتى صارت عند بعض المتأخرين من المسلمات التي لا مجال لمناقشتها وهي دعوة مفتقرة إلى صحة النقل وسلامة السند من الجرح والمتن من الاعتراض ، ومعلوم وزن مثل هذه الدعوى عند

المحققين والباحثين الجادين ، علماً بأن التاريخ الصحيح يثبت احترام وتقدير معاوية لأمير المؤمنين على وأهل بيته الأطهار ، كما بينت حقيقة التهم التي ألصقتها بعض كتب التاريخ بمعاوية واتهامه وابنه بدس السم للحسن وأثبت بأن ذلك لا يثبت من حيث السند والمتن معاً ومضيت مع الحسن بعد استقراره في المدينة وبعدما أصبح إمام ألفة الأمة ، وقطب دائرتها وزعيم وحدتها بدون منافس قال الشاعر :

في روض فاطمة نما غصنان لم

لم ينجبهما في النيِّران سواها

فأمير قافلة الجهاد وقطب دائرة

الوئام والاتحاد أبناها

حسن الذي صان الجماعة بعدما

أمس تفرقها يحلُّ عراها

ترك الإمامة ثم أصبح في الديار

إمام ألفتها وحسن عُلاها

وأشرت إلى صلة الحسن بمعاوية رضي الله عنهما ، بعد الصلح ، والأيام الأخيرة من حياته ووصيته للحسين رضي الله عنهما ، وتفكره في ملكوت الله ، واحتسابه نفسه عند الله ثم استشهاده ودفنه في البقيع بالمدينة رضي الله عنه .

إن سيرة الحسن بن علي رضي الله عنه توضح لنا أهمية امتلاك القائد لرؤية مستقبلية يسير على هداها مستعيناً بالله ، فالحسن ملك الرؤية الإصلاحية

والقدرة على التنفيذ ، مع وضوح المراحل ، والأسباب والشروط والنتائج ومعرفة العوائق وكيفية التعامل معها وترك لنا معالم نيرة في فقه الخلاف ، والمصالح والمفاسد ، ومقاصد الشريعة ، والمفاوضات ، والتغلب على أهواء النفوس وأمراضها ابتغاء ما عند الله ، فالأسر الحاكمة ، والأحزاب الناشطة ، والمؤسسات القائمة ، والحركات الإسلامية والجمعيات الهادفة في عالمنا الإسلامي الكبير في أشد الحاجة لفقه مدرسة الحسن في رأب الصدع ،وتوحيد الصف ، وحقن الدماء وجمع الكلمة ، فالحسن خليفة راشد والاقتداء به والإهتمام بفقهه أرشدنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي[١] .

إن الباحث ليستغرب من ضعف وجود فقه الحسن في ذاكرة الأمة ، كما أنه يتعجب من اختزل فقهه ومشروعه الإصلاحي العظيم في ثقافتنا ، فنهضة الشعوب من عوامل نجاحها الالتفاف إلى ماضيها لخدمة حاضرها واستشراف مستقبلها ، فالتاريخ ــ كما هو معروف ــ ذاكرة الأمة ، ومستودع تجاربها ومعارفها وهو عقلها الظاهر والباطن وخزانة قيمها ومآثرها وأساس شخصيتها الغائرة في القدم والممتدة مع الزمن وله صلى الله عليه وسلم سيرة لمّا تستكشف أعماقها ولخلفائه الراشدين تاريخ حافل عظيم ، ولأمته تاريخ يزهو على تاريخ الأمم والشعوب والدول ، فعلينا أن نستفيد من هذا التاريخ العريق ونستخرج منه الدروس والعبر والمواعظ والسنن ، ونستوعب فقه الحضارات ، ونستلهم من القصص القرآني ،

---

[١] سنن أبي داود (٢٠١/٤) ، سنن الترمذي (٤٤/٥) حسن صحيح .

والهدي النبوي والبعد التاريخي ، رؤية شاملة لنهضة أمتنا بما يتلاءم مـــع حاضرنا كي تقوم بدورها الحضاري المنشود في هداية الناس ، ويتأكـــد للقرون الباقية من عمر الدنيا أن رسالة الإسلام الخالدة التي بعث بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم تفن ولن تفنى وإن القرآن الكريم هو كلمة الحق الباقية إلى يوم الدين ، وعلينا أن ننظر بعيوننا في أمورنا قبل أن نحتاج إليها لكي نبكي بها طويلاً .

هذا وقد حرصت بقدر الاستطاعة على تناول شخصية أمـــير المـــؤمنين الحسن من جوانبها المتنوعة ، فحياته ، صفحة مشرقة في تاريخ الأمة وهو من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وبأقوالهم وأفعالهم في هذه الحيـــاة ، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهـــم السليم لهذا الدين فنتعلم من سيرته ، فقه الخلاف ، والمصالح والمفاســـد ومقاصد الشريعة ، والاستعلاء على حظوظ النفوس ، وكيف نعيش مع القرآن الكريم ، ونهتدي بهديه ونقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعمق في قلوبنا فقه القدوم على الله من خلال أقواله وأفعاله وأثر هـــذه العلوم في حياة الأمة ، ونهوضها وقيامها بدورها الحـــضاري المنـــشود ، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي ، غير مدع عصمة ، ولا متبرئ من زلة ، ووجه الله الكريم لا غيره قـــصدت ، وثوابه أردت ، وهو المسؤول في المعونة عليه ، والانتفاع به إنـــه طيـــب الأسماء وسميع الدعاء .

هذا وقد انتهيت من سلـــسلة تـــاريخ عـــصر الخلفـــاء الراشـــدين في ٢١/صفر/١٤٢٥ الموافق ٢٠٠٤/٤/١١م الساعة العاشرة إلا ربع لـــيلاً

والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله البركة والقبول ، وأن يكرمنا برفقة النَّبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين ، قال تعالى : ((**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)) (فاطر ، الآية : ٢) .

وبهذا الكتاب أضع سلسلة عصر الخلفاء الراشدين بين يدي قارئها ، ولا أدَّعي الكمال فيها ، قال النَّاظم :

وما بها من خطأ ومن خلل
أذنت في إصلاحه لمن فعل
لكن بشرط العلم والإنصاف
فذا وذا من أجمل الأوصاف
والله يهدي سُبل السلام
سبحانه بحبله اعتصامي

فلله الحمد على ما منَّ به عليَّ أولاً وآخراً ، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل هذه السلسلة التاريخية لوجهه خالصة ، ولعباده نافعة ، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي ، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافَّة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع ، ونرجو من القارئ الكريم أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه في صالح دعائه ((رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)) (النمل ، الآية : ١٩) .

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، سـبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته
ورحمته ورضوانه
علي محمد محمد الصَّلاَّبِّي
٢١/صفر/١٤٢٥هـ

الاخوة : القراء الكرام

يسر المؤلف أن تصله ملاحظاتكم حول هذا الكتاب وغيره من كتبه من خلال دور النشر ، ويطلب من إخوانه الـدعاء في ظهر الغيب بالإخلاص والصواب ، ومواصلة المسيرة في خدمـة تاريخ أمتنا .

الفصل الأول

الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه منذ ولادته حتى خلافته :

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته في عهد النبوة :

أولاً : اسمه ونسبه وكنيته :

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي[1] ، المدني الشهيد[2] ، فهو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته من الدنيا وهو سيد شباب أهل الجنة ، فهو ابن السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبـوه أمـير المؤمنين علي رصي الله عنه ، وحفيد أم المؤمنين خديجة وخامس الخلفـاء الراشدين .

ثانياً : مولده وتسميته ولقبه : وفقه النبي في تسمية المواليد :

ولد رضي الله عنه وأرضاه في رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية على الصحيح ، وقيل : ولد في شعبان ، وقيل : ولد بعد ذلك قال الليث بن سعد : ولدت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن

---

1 سير أعلام النبلاء (٢٤٦/٣) .

2 المصدر نفسه (٢٤٦/٣) .

علي في شهر رمضان من ثلاث ، وولدت الحسين في ليال خلـــون مـــن شعبان سنة أربع[1] ، وقال البرقي أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم : ولد الحسن في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية[2] ، ومثله قاله ابن سعد في طبقاته[3] ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لما ولـــد الحسن سميته حرباً فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابـــني مـــا سميتموه ؟ قلنا : حرباً ، قال : لا ، بل هو حسن ، فلما ولد الحسين سميته حرباً ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أروني ابني ما سميتموه ؟ ، قلنا : حرباً قال : بل هو حسين . فلما ولد الثالث سميته حرباً ، فقـــال : بل هو محسّن ، ثم قال : إني سميتهم بولد هارون : شبر وشبير ومشبّر[4] ، وقد فرح رسول الله بهذا المولود الجديد وسارع الناس بتهنئة الأبوين بهذا السبط المبارك ، وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يـــسرعون في زف البشرى لأهل المولود الجديد وقد ثبت عن الحسن البـــصري تهنئـــة لطيفة يقول فيها : بورك لك في الموهوب وشكرت الواهب ورزقت برّه وبلغ أشده ، ونلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عنـــدما سمـــى الحسن والحسين رضي الله عنهما عدل بهما عن مسميات قبل الإسلام وما تدل عليه أسماؤها من القتال وسفك الدماء فاختار لهما أكـــرم الأسمـــاء وأجل المعاني[5] ، وقد وصف الحسن رضي الله عنه بالسيد ولقبـــه بهـــذا اللقب جده الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم كمـــا جـــاء في

1 نسب قريش (٢٣/١) الدوحة النبوية صـ ٧١ .
2 الذرية الطاهرة للدولابي صـ ٦٩ .
3 الطبقات (٢٢٦/١) .
4 مسند أحمد (٩٨/١ ، ١١٨) صحيح ابن حبان (٤١٠/١٥) إسناد الحديث صحيح .
5 الحسن بن علي ودوره السياسي ، فيتخان كردي صـ ١٦ .

الحديث الصحيح : إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين[1] ونتعلم من هدي النبي صلى الله عليه وسلم قيمة مهمة في حياتنا وهي الحرص على اختيار أجمل وأحسن الأسماء لأبنائنا وهذا توجيه للآباء والأمهات على اختيار الاسم الحسن في اللفظ والمعنى في قالب النظر الشرعي واللسان العربي ، فيكون : حسناً ، عذباً على اللسان ، مقبولاً للأسماع ، يحمل معنى شريفاً كريماً ، ووصفاً صادقاً ، خالياً مما دلت عليه الشريعة على تحريمه أو كراهته ، مثل : شوائب التشبه والمعاني الرِّخوة ومعنى هذا أن لا يختار الأب المسلم اسماً إلا وقد قلب النظر في سلامة لفظه ومعناه على علم ووعي وإدراك ، وإن يستشير بصيراً في سلامته ممّا يُحْذَرُ ، فهو أسلم وأحكم ، ومن الجاري قولهم : حق الولد على والده أن يختار له أماً كريمة وأن يسميه اسماً حسناً ، وأن يورثه أدباً حسناً وقد بين العلماء أن للأسماء المشروعة رتب ومنازل وهي مستحبة وجائزة وهي على الترتيب كالآتي :

١ . **استحباب التسمية بهذين الأسمين** : عبد الله وعبد الرحمن وهما أحب الأسماء إلى الله تعالى ، كما ثبت الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأسماء المتضمنة العبودية لله في معانيها وميزة هذه الأسماء ، أنها أصدق تعبير على حقيقة عبودية الإنسان لربه وفقره وذله له ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، حيث قال : إن أحب أسمائكم إلى الله : عبد الله وعبد الرحمن[2] ، وذلك لاشتمالهما على وصف العبودية . وقد خصّها

---

[1] البخاري (٣٠٦/٢) .
[2] مسلم رقم ٢١٣٢

الله في القرآن ، بإضافة العبودية إليهما دون سائر أسمائه الحسنى ، وذلك في قوله تعالى : "وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا" (الجن، آية : ١٩) وقوله تعالى : "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ" (الفرقان ، آية : ٦٣) ، وجمع بينهما في قوله تعالى : "قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى" (الإسراء ، آية : ١١٠) وقد سمّي النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمّه العباس : عبد الله رضي الله عنهما وفي الصحابة رضي الله عنهم نحو ثلاثمائة رجل كل منهم اسمه عبد الله ، وبه سُمي أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة إلى المدينة ، عبد الله بن الزبير[1] .

٣ ــ التسمية بأسماء أنبياء الله ورسله : لأنهم سادات بني آدم وأخلاقهم أشرف الأخلاق ، وأعمالهم أزكى الأعمال ، فالتسمية بأسمائهم تذكر بهم وبأوصافهم وأحوالهم وقد أجمع العلماء على جواز التسمية بهم ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة حيث سمى ابنه إبراهيم ، وأفضل أسماء الأنبياء : اسم نبينا ورسولنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين أجمعين[2] .

٤ ــ التسمية بأسماء الصالحين من المسلمين : وصحابة رسول الله إلى يوم الدين وقد كان لصحابة رسول الله نظر لطيف في ذلك ، فهذا الصحابي ، الزبير بن العوام رضي الله عنه يسمي أولاده ــ وهم تسعة ــ

[1] تسمية المولود ، بكر عبد الله أبو زيد ٣٣ .
[2] تسمية المولود صـ ٣٥ ، ٣٦ .

بأسماء بعض شهداء بدر رضي الله عنهم ، وهم : عبد الله ، المنذر ، عروة ، حمزة ، جعفر ، مصعب ، عبيدة وخالد .

٥ ــ ثم يأتي من الأسماء ما كان وصفاً صادقاً للإنسان : بشروطه وآدابه واسم المولود يكتسب الصفة الشرعية متى توفرت فيه ، وهذه شروط منه :

أن يكون حسن المبنى والمعنى لغة وشرعاً ، ويخرج بهذا كل اسم محـــرم أو مكروه إما في لفظه أو معناه أو فيهما كليهما وإن كان جارياً في نظـــام العربية ، كالتسمي بما معناه التزكية ، أم المذمة أو السبُّ ، بل يسمى بما كان صدقاً وحقاً[1] وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك .

وقد دلت الشريعة على تحريم تسمية المولود في واحد من الوجوه الآتية :

١ ــ اتفق المسلمون على أنّه ، يحرم كل اسم معبد لغير الله مثـــل عبـــد الرسول ، عبد النبي ، عبد عليٍّ ، عبد الحسين ، عبد الأمير ــ يعـــني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ــ عبـــد الـــصاحب ، فالخلق كلهم مهما علوا فهم عباد خاضعون ذليلون فقـــراء لله ، والله تعالى هو المستحق وحده للعبادة ، فلا ينبغي التسمية بالتعبيد لغير الله من خلقه .

٢ ــ التسمية بالأسماء الأعجمية المولّدة للكافرين الخاصة بهـــم والمـــسلم المطمئن بدينه يبتعد عنها وينفر منها ولا يحوم حولها وقد عظمت الفتنة

[1] المصدر نفسه صـ ٣٩ .

بها في زماننا ، فيلتقط اسم الكافر من أوربا ، وأمريكا وغيرها ، وهذا من أشد مواطن الإثم وأسباب الخذلان ، ومنها : بطرس ، جرجس ، جورج ، ديانا .. وغيرها . وهذا التقليد للكافرين في التسمِّي بأسمائهم ، إن كان مجرّد هوى وبلادة ذهن ، فهو معصية كبيرة وإثم[١] ، وقد فصل الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه تسمية المولود فمن أراد الزيادة والتوسع فليراجعه[٢] .

ثالثاً : تأذين رسول الله في أذن الحسن :

لما ولد الحسن أذن رسول صلى الله عليه وسلم في أذنيه بالصلاة كما روي ذلك عن أبو رافع[٣] ، والسر في ذلك وحكمته كما قال الدهلوي : ـــ رحمه الله ـــ :

١ ـــ الأذان من شعائر الإسلام .

٢ ـــ إعلام الدين الإسلامي .

٣ ـــ ثم لا بد من تخصيص المولود بذلك الأذان بأن يصوت في أذنه .

٤ ـــ علمت أن من خاصية الأذان أن يفر منه الشيطان ، والشيطان يؤذي الولد في أول نشأته ، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من مولد يولد إلا والشيطان يمسه فيستهل صارخاً من مس الشيطان[٤] إلا مريم وابنها[٥] ، وثبت قوله صلى الله عليه وسلم : إذا

---

[1] تسمية المولود ، بكر بن عبد الله بن زيد صـ ٤٧ .

[2] تسمية المولود ، بكر بن عبد الله بن زيد صـ ٤٧ .

[3] سنن أبي داود (٥١٠٥) إسناده ضعيف فيه عاصم بن عبيد الله ، ضعفه ابن معين وقال البخاري : منكر الحديث كما في الكاشف ٢٥٣ .

[4] حجة الله البالغة (٣٨٥/٢) .

[5] البخاري (١٩٦/٥) رقم ٤٥٤٨ .

نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين[1] .

وأضاف ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ أسراراً أخرى للتأذين فقال :

٥ ـــ أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام ، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله الدنيا ، كما يلقن التوحيد عند خروجه منها .

٦ ـــ وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثيره به ، وإن لم يشعر مع ما في ذلك فائدة أخرى وهي :

٧ ـــ هروب الشيطان من كلمات الأذان ، وهو كان يرصده حتى يولد ، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها ، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به .

٨ ـــ وفيه معنى آخر وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته ، سابقة على دعوة الشيطان كما كانت فطرة الله التي فطر عليها على تغيير الشيطان لها ونقله عنها ولغير ذلك من الحكم[2] ، وهكذا نتعلم من هدى النبي صلى الله عليه وسلم ، استحباب الأذان في أذن المولود اليمنى ثم تقام الصلاة في الأذن اليسرى ، وبذلك يكون أول ما يلامس أذنيه الدعوة إلى الركن الركين في هذا الدين بعد توحيد رب العالمين[3] .

---

1 البخاري (١٧٠/١) رقم ٦٠٨ .

2 منهج التربية النبوية للطفل ، محمد سويد نقلاً عن تحفة المودود لابن القيم صـ ٥٤ تحقيق فوّاز أحمد زمزلي .

3 موسوعة تربية الأجيال المسلمة ، نصر العنقري صـ ٦٦ .

رابعاً : تحنيك المولود :

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كـــان يـــؤتي بالصبيان ، فيبرك عليهم ويحنكهم[1] ، فمن باب أولى أن يكون صـــلى الله عليه وسلم برك على الحسن وحنكه ، يقول النووي ــ رحمه الله ــ معلقاً على قول عائشة رضي الله عنها : فيبرك عليهم أي يدعو لهـــم ويمـــسح عليهم وأصل البركة ثبوت الخير وكثرته ، وقولها : فيحنكهم : قال أهل اللغة التحنيك أن يمضغ التمر أو نحوه ثم يدلك به حنك الصغير[2] والتحنك يكون عقب التأذين إن أمكن ذلك ، ويفضل إن أمكن أن يقوم بالتحنيك رجل صالح ، وفي ذلك تأسي بالصحابة الكرام حيث حرصوا على إرسال أبنائهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليحنكهم ، ويستخدم في التحنيـــك التمر ، فإن لم يوجد فشئ حلو ، وسبب ذلك :

١ ــ لأن التمر مثل حليب الأم ، يحمل جميع الفيتامينات التي يحتاجهـــا جسم الغلام .

٢ ــ الغلام الصغير يولد بحاسة التذوق ، فإذا استخدمت معـــه التمـــر تنبهت هذه الحاسة وحرك لسانه وفمه ، فكان بذلك أقدر على التقام ثدي أمه عند الرضاع .

٣ ــ المعدة تمتص السكريات بسرعة فائقة ، وبذلك لا يشكل التحنيك أي معاناة معوية للغلام[3] .

---

[1] مسلم (٢٣٧/١) رقم ٢٨٦ .
[2] شرح النووي على صحيح مسلم .
[3] موسوعة تربية الأجيال المسلمة صـ ٦٨ .

يقول الدكتور فاروق مساهل ــ مجلة الأمة القطرية عدد (٥٠) في مقالته تحت عنوان ــ إهتمام الإسلام بتغذية الطفل معلقاً على حديث التحنيك ما نصه ــ والتحنيك بكل المقاييس معجزة نبوية طبية مكثت البشرية أربعة عشر قرناً من الزمان لكي تعرف الهدف والحكمة من ورائها ، فلقد تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار وخاصة حديثي الولادة والرضع معرضون للموت لو حدث أحد أمرين :

ــ إذا نقصت كمية السكر في الدم بالجوع .

ــ إذا انخفضت درجة حرارة أجسامهم عند التعرض للجو البارد المحيط بهم[١]

خامساً : حلق شعر رأس الحسن رضي الله عنه :

عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن فاطمة حلقت حسناً وحسيناً يوم سابعهما فوزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضة[٢] ، والأحاديث في هذا الباب صحيحة بمجموع طرقها[٣] . وقال الشيخ الدهلوي ــ رحمه الله ــ معلقاً على الحديث : السبب في التصدق بالفضة ، أن الولد لما انتقل من الجنينية إلى الطفلية كان ذلك نعمة يجب شكرها وأحسن ما يقع به الشكر ما يؤذن[٤] أنه عوضه ... وأما تخصيص الفضة فلأن الذهب أغلى ولا يجده إلا غني وسائر المتاع ليس له بال بزنة شعر المولود[٥] .

---

1 منهج التربية النبوية صـ ٦٤ .
2 الطبقات ، الطبقة الخامسة (٢٣١/١) إسناده مرسل .
3 موسوعة تربية الأجيال صـ ٧٢ .
4 يؤذن : يشعر .
5 حجة الله البالغة (٣٨٥/٢) .

سادساً : العقيقة :

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عَقَّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً[1] ، وفي رواية : كبشين كبشين[2] ، وعن أبي رافع : أن حسن بن عليّ لّما ولد أرادت أمُّه أن تَعُقَّ عنه بكبشين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعُقي عنه ، ولكن أحْلِقي شعر رأسه فتصدقي بوزنه من الورق ، ثم ولد الحسين ، فصنعت مثل ذلك[3] وإنما صرفها صلى الله عليه وسلم عن العقيقة لتحمُّله عنها ذلك لا تركاً بالأصالة . يدل عليه حديث عليٍّ رضي الله عنه : عقَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن (بشاة) وقال : يا فاطمة أحْلقي رأسه وتصدَّقي بزنة شعره فضَّة ، فوزنّاه فكان وزنُه درهماً أو بعض درهم خرَّجه الترمذي[4] ، وقد روي عن فاطمة أنَّها عقَّت عنهما وأعطت القابلة فخذ شاة وديناراً واحداً[5] ، ولعل فاطمة باشرت الإعطاء ، وكان ممّا عق به صلى الله عليه وسلم عن الحسن يوم سابعه بكبشين أمْلَحَين ، وأعطى القابلة الفخذ ، وحلق رأسه وتصدَّق بزنة الشعر ، ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخَلُوق[6] ثم قال : يا أسماء ، الدم مِنْ فعل الجاهلية . فلمّا كان بعد حول ولد الحسين[7] . إن للعقيقة فوائد جمة منها ، أنها قربان عن المولود يقدم إلى الله مع خروج الغلام إلى الدنيا وبذلك تقدم الشكر على

---

[1] سنن أبي داود في الأضاحي رقم ٢٨٤١ في إسناده ضعف .
[2] سنن النسائي (١٦٦/٧) باب كم يعق عن الجارية إسناده صحيح .
[3] مسند أحمد (٣٩٢/٦) في إسناده ضعف .
[4] سنن الترمذي رقم ١٥١٩ حسن غريب إسناده ليس متصل .
[5] تحفة المودود صـ ٥٥ لابن القيم .
[6] الخلوق : ضرب من الطيب .
[7] ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، لأبي العباس الطبري صـ ٢٠٧ .

ما أنعم الله عليك وغير ذلك من الفوائد وقد قال الشيخ الدهلوي ـــ رحمه الله ـــ : يستحب لمن وجد الشاتين أن ينسك بهما عن الغلام وذلك لما عندهم أن الذكران أنفع لهم من الإناث فتناسب زيادة الشكر وزيادة التنويه أما سبب الأمر بالعقيقة فهو أن العرب كانوا يعقون عن أولادهم ، وكانت العقيقة أمراً لازماً عندهم وسنة مؤكدة وكان فيها مصالح كثيرة راجعة إليه المصلحة الملية والمدنية والنفسية فأبقاها الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وعمل بها ورغب الناس فيها إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ غيّر في تقاليدها ، فعن بريدة رضي الله عنه قال : كنا في الجاهلية إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة ولطخنا رأسه بدمها ، فلما كان الإسلام كنا إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة وحلقنا رأسه ، ولطخنا رأسه بزعفران[1] وهذا من الفقه النبوي فإنه لما رأى عادة فيها منفعة للناس مشوبة ببعض الانحراف ـــ تلطيخ رأس المولود بالدم ـــ فلم يبحها مطلقاً بدعوى حاجة الناس إليها وفي نفس الوقت لم يمنعها مطلقاً بسبب ما فيها من انحراف وإنما حافظ على ما يحقق الناس في هذه العادة وأكده ونهى عن العادة الجاهلية وحرمها وهذه حكمة نبوية جديرة بالاهتمام والتأمل .

سابعاً : ختان[2] الحسن بن علي رضي الله عنه :

عن جابر رضي الله عنه : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم عّقَّ عن الحسن والحسين ، وختنهما لسبعة أيام[3] ، وعن محمد بن المنكدر أن النبي صلى

---

[1] المستدرك للحاكم (٢٣٨/٤) صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي .
[2] الختان : لغة قطع القلفة أي الجلدة التي على رأس الذكر .
[3] سنن البيهقي (٣٢٤/٨) إسناده ضعيف .

الله عليه وسلم ختن الحسين لسبعة أيام[1] ، والختان من أمور الفطرة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليـــه : الفطـــرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الأبط[2] .

والختان صبغة الحنيفية ، فهو للحنفاء بمترلة الصبغ والتعميد عنــد عبــاد الصليب ، فهم يطهرون أولادهم بزعمهم حين يصبغوهم في ماء المعمودية ، ويقولون الآن صار نصرانياً ، فشرع الله سبحانه للحنفاء صبغة الحنيفية ، وجعل ميسمها الختان[3] ، فقال عز من قال : ((**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**)) (البقرة ، الآية : ١٣٨)) والمقصود أن صبغة الله هي الحنفية التي صبغت القلوب بمعرفته ومحبته والإخلاص لــه وعبادته وحده لا شريك له ، وصبغة الأبدان بخصال الفطرة من الختــان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبــط والمضمــضة والاستنشاق والسواك والاستنجاء فظهرت فطرة الله على قلوب الحنفــاء وأبدالهم[4] ، ومن اللطائف الفقهية في أمر الختان ما ذكره الخطابي : أمــا الختان فإنه وإن كان مذكوراً في جملة السنن فإنه عند كثير من العلمــاء على الوجوب ، وذلك أنه شعار الدين ، وبه يعرف المسلم من الكافر إذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين صلى عليه ودفــن في مقــابر المسلمين[5] .

---

1 البخاري (١٨٤/٧) رقم ٦٢٩٧ .
2 مسلم رقم ٢٥٧ .
3 المصدر نفسه صـ ١٥٣ .
4 موسوعة تربية الأجيال صـ ٧٥ .
5 منهج التربية النبوية للطفل ٦٩ .

ثامناً : مرضعة الحسن بن علي أم الفضل رضي الله عنهما :

عن أم الفضل قالت : قلت يا رسول الله رأيت في المنام كأن عضواً من أعضائك في بيتي أو قالت في حجرتي فقال : تلد فاطمة غلاماً إن شاء الله فتكفلينه قالت : فجئت به يوماً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فبال على ظهره فدحيت[1] في ظهره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مهلاً يرحمك الله أوجعت ابني . فقلت : إدفع إليّ إزارك فأغسله فقال : لا ، صُبِّي عليه الماء فإنَّه يُصَبُّ على بوْل الغلام ويغسل بول الجارية[2] .

وأم الفضل هي امرأة العباس بن عبد المطلب اسمها لُبَابَة بنت الحارث الهلالية وهي لبابة الكبرى ، أسلمت قبل الهجرة[3] ، وقال ابن سعد : أم الفضل أوّلُ امرأة آمنت بعد خديجة[4] . وروتْ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروي عنها أبنَاهَا عبد الله وتمام ، وعُمير بن الحارث مولاها وكُريب مولى ابنها وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الحارث بن نوفل وآخرون وأخرج الزبير بن بكار وغيره ، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : الأخوات الأربع مؤمنات : أم الفضل ، وميمونة ، وهي شقيقة أم الفضل ، وأما أسماء وسلمى فأختاهما من أبيهما وهما بنتا عُميس الخثعمية[5] وأم الفضل خالة خالد بن الوليد رضي الله عنه[6] ، فأم خالد هي لبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية[7] . وكان يقال عن والدة أم الفضل

---

1 لطمته بيدها في رواية أخرى .

2 المستدرك (١٦٦/١) وصححه ووافقه الذهبي ، وهناك من ضعفه .

3 الطبقات لابن سعد (٢٧٧/٨) .

4 المصدر نفسه (٢٧٧/٨) .

5 موسوعة عظماء حول الرسول ، خالد العك (٢١٦٢/٣) .

6 سيرة آل بيت النبي الأطهار ، مجدي فتحي صـ ٣١ .

7 الاستيعاب رقم الترجمة ٦١٠ .

بأنها أكرم الناس أصهار ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، والعبّاس تزوج أختها شقيقتها لُبابة أم الفضل ، وحمزة تزوج أختها سلمى ، وجعفر بن أبي طالب شقيقتها أسماء ، ثم تزوجها بعده أبو بكر الصديق ثم تزوجها بعده على بن أبي طالب[1] رضي الله عنهم جميعاً وقد قال ابن عمر : كانت من المنجبات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها[2] ، وفي الصحيح أن الناس شكُّوا في صيام النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، فأرسلت إليه أم الفضل بقدح لبن فشرب وهو بالموقف فعرفوا أنه لم يكن صائماً[3] ، وتحكى لنا أم الفضل رضي الله عنها عن آخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ قرأ في المغرب بسورة ((وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا)) (المرسلات ، الآية : ١) . فقالت : يا بني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة ، إنها آخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها المغرب[4] ، وعاشت أم الفضل إلى خلافة أبي بكر الصديق وخلافة الفاروق من بعده وفي أثناء خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً توفيت قبل زوجها العباس[5] رضي الله عنهما وقد ولدت للعباس ستة رجال لم تلد امرأة مثلهم وهم : الفضل وبه كانت تُكنى ويُكْنى زوجها العباس أيضاً ـــ أبو الفضل ـــ وعبد الله الفقيه ، وعبيد الله الفقيه ، ومعبد ، وقُتم ، وعبد الرحمن وأم حبيبة سابعة ـــ وفي أم الفضل هذه يقول عبد الله بن يزيد الهلالي :

[1] الإصابة في تمييز الصحابة (٤٥٠/٨) .
[2] الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٩٠٨/٤) .
[3] البخاري ، ك الحج رقم ١٦٦١ .
[4] البخاري رقم ٧٦٧ .
[5] الإصابة في تمييز الصحابة (٤٥١/٨) .

مـــا ولـــدت نجيبة مِنْ فحـــل

بَجَبَـــلٍ نعلمـــه وسَـــهْل

كستةٍ من بطن أمِّ الفضـــــــل

أُكرِمْ بها من كهلة وكَهْلِ

عم النبي المصطفى ذي الفضل

وخاتم الرسل وخير الرسل[1]

تاسعاً : زواج الحسن وزوجاته والروايات التي حولهن :

وقد ذكر المؤرخون أن من زوجاته ، خولة الفزازية ، وجعدة بنـــت الأشعث ، وعائشة الخثعمية ، وأم اسحاق بنت طلحة بنـــت عبيـــد الله التميمي ، أم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري ، وهند بنت عبد الـــرحمن بن أبي بكر ، وأم عبد الله وهي بنت الشليل بن عبد الله أخـــو جريـــر البجلي وامرأة من بني ثقيف وامرأة من بني عمرو بن أهـــيم المنقـــري ، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة وربما تجاوز هذا العدد بقليـــل ، وهو كما ترى لا يمت إلى الكثرة المزعومة بصلة بعرف ذلك العصر وأما ما رواه رواة الأثر ، في كونه تزوج سبعين وفي بعض الروايات تـــسعين والبعض الآخر مائتين وخمسين والبعض الآخر ثلاثمائة وروي غير هذا إلا أنه من الشذوذ بمكان وهذه الكثرة المزعومة موضوعة :

وأما الروايات فهي كالتالي :

[1] الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٩٠٨/٤) .

١ ـــ **الرواية الأولى** : فقد ذكرها ابن أبي الحديد وغيره[1] ، وقد أخذوها عن علي بن عبد الله البصري الشهير بالمدائن المتوفى ٢٢٥هـ وهو من الضعفاء الذين لا يعول على أحاديثهم ، فقد امتنع مسلم من الرواية عنه في صحيحه[2] ، وضعفه ابن عدي في الكامل فقال فيه ليس بالقوي الحديث وهو صاحب الأخبار قل ما له من الروايات المسندة[3] .

٢ ـــ **الرواية الثانية فهي مرسلة** : والمرسل من أنواع الضعيف .

٣ ـــ **وأما الرواية الثالثة والرابعة** : فقد ذكرها صاحب قوت القلوب لأبي طالب المكي وهو لا يعول على مؤلفة وعلى كل حال فالرقم القياسي لكثرة أزواج أمير المؤمنين الحسن مستندة إليه ومأخوذة عنه وقد اشتهر أبو طالب المكي بالزهد والوعظ وذكر في القوت أشياء منكرة[4] ، وذكر في كتابه أحاديث لا أصل لها[5] ، فقد جاء في كتابه قوت القلوب : وتزوج الحسن بن علي مائتين وخمسين ، وقيل ثلاثمائة ، وكان علي يضجر من ذلك ويكره حياءً من أهلهن إذ طلقهن ، وكان يقول : إن حسناً مطلق فلا تنكحوه ، فقال له رجل من همدان : والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء ، فمن أحب أمسك ، ومن كره فارق فسرّ علي بذلك وأنشأ يقول :

1 حياة الإمام الحسن بن علي (٤٤٥/٢ إلى ٤٦٠) .
2 ميزان الاعتدال (١٣٨/٣) .
3 لسان الميزان (٢٥٢/٤) .
4 لسان الميزان (٣٣٩/٥) .
5 البداية والنهاية (٣٤١/١١) .

لو كنت بواباً على باب جنة

لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

... وكان الحسن ربما عقد له أربعة وربما طلق أربعة[1] ، فهذه روايات لا تصح ولا تثبت وبالتالي لا يعول عليها .

وقد جاءت قصص في أسانيدها ضعف شديد تتعلق بزواج الحسن منها :

١ ــ عن الهذلي ، عن ابن سيرين قال : كانت هند بنت سهيل بن عمرو[2] عند عبد الرحمن بن
عتاب بن أسيد[3] وكان أبا عُذرتها[4] ، فطلقها فتزوجها عبد الله بن عامر بن كريز[5] ، ثم طلقها ، فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها على يزيد بن معاوية ، فلقيه الحسن بن علي فقال : أين تريد ؟ قال : أخطب هند بنت سهيل بن عمرو على يزيد بن معاوية ، قال أذكرني لها ، فأتاها أبو هريرة ، فأخبرها الخبر فقالت : خِرْلي ، قال : أختار لك الحسن . فتزوجها ، فقدم عبد الله بن عامر المدينة ، فقال للحسن : إن لي عندها وديعة فدخل إليها والحسن معه وجلست بين يديه فَرَقّ ابن عامر فقال

---

[1] قوت القلوب (٢٤٦/١) .

[2] هند بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس أسلم أبوها عام الفتح وكانت عند حفص بن عبد زمعة وولدت له ثم خلف عليها عبد الرحمن بن عتاب ثم عبد الله بن عامر ثم خلف عليها حسين بن علي هكذا في نسب قريش صـ ٤٢٠

[3] عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد كان والده والي مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الرحمن مع علي يوم الجمل وقتل في المعركة أنظر أنساب قريش صـ ١٩٣ .

[4] العُذرة : البكارة ، وقال ابن الأثير : العذرة ما للبكر من الالتحام قبل الافتضاض وجارية عذراء بكر لم يمسها رجل ، ويقال : فلان أبو عذرتها إذا كان أول من افترعها وافتضها ، لسان العرب مادة عذر (٥٥١/٤) .

[5] عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة من بني عبد شمس ابن خال عثمان بن عفان ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وجزم ابن حبان أن له رؤية للنبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت سيرته في عتابي عثمان بن عفان صـ ٣١٩ .

الحسن : ألا أنزل لك عنها ، فلا أراك تجد محللاً[1] خيراً لكما مني فقال : وديعتي ، فأخرجت سفطين فيهما جواهر ففتحهما ، فأخذ من واحد قبضة وترك الباقي فكانت تقول : سيدهم جميعاً الحسن وأسخاهم ابن عامر ، وأحبهم إليّ عبد الرحمن بن عتاب[2] ، وهذه القصة في إسنادها الهذلي وهو أخباري متروك الحديث وقال الذهبي مجمع على ضعفه[3] .

٢ ــ عن سحيم بن حفص الأنصاري ، عن عيسى بن أبي هارون المزني ، قال تزوج الحسن بن علي حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر[4] ، وكان المنذر بن الزبير هَوِيَها ، فأبلغ الحسن عنها فطلقها الحسن فخطبها المنذر فأبت أن تزوجه وقالت : شهرني ، فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب[5] فتزوجها فرقى إليه المنذر أيضاً شيئاً فطلقها ، ثم خطبها المنذر فقيل لها : تزوجيه ، فيعلم الناس أنه كان يعضهك[6] ، فتزوجته فعلم الناس أنه كذب عليها ، فقال الحسن لعاصم بن عمر : انطلق بنا حتى نستأذن المنذر فندخل عليها ، فدخل فكانت إلى عاصم أكثر نظراً منها إلى الحسن وكانت إليه أبسط في الحديث ، فقال الحسن للمنذر خذ بيدها فأخذ بيدها ، وقام الحسن وعاصم فخرجا وكان الحسن يهواها وإنما طلقها لما رقا إليه المنذر ، فقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن[7] ، وحفصة عمته هل لك في العقيق[8] ؟ قال نعم ، فخرجا

---

[1] المحلل هو : الذي يتزوج امرأة قد بانت من زوجها الأول بقصد تحليلها للزوج الأول وقد جاء النهي عن ذلك كما في الحديث : لعن الله المحلل والمحلل له انظر : الإرواء رقم ١٨٩٧ .

[2] الطبقات الكبرى ، الطبعة الخامسة من الصحابة (٣٠٣/١) .

[3] ديوان المتروكين والضعفاء صـ ٣٥٢ .

[4] حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر روت عن عمتها عائشة وخالتها أم سلمة ،

[5] عاصم بن عمر بن الخطاب من تابعي أهل المدينة توفي ٧٠هـ تقريب التهذيب (٣٨٥/١) .

[6] العَضَهُ والعِضَهُ والعضهية : البهيتة وهي : الإفك والبهتان .

[7] والنميمة ، وأن يقول في المرء ما لم يكن فيه لسان العرب (٥١٥/١٣) .

[8] العقيق : وادي بناحية المدينة فيه مزارع وبساتين .

فمرا على مترل حفصة ، فدخل إليها الحسن فتحدثا طويلاً ثم خرج ، ثم قال الحسن مرة أخرى لابن أبي عتيق : هـــل لك في العقيق ؟ فقال : يا ابن أم ألا تقول هـــل لك في حفصة[1] ؟ ، وفي إسناد هذا الحديث رجال لا توجد لهم ترجمة في كتب الجرح والتعديل ويكفـــي في ضـــعفه نكارة متنه[2] .

٣ ــ حدثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : قال علي : ما زال الحسن يتزوج ويطلق حتى خشيت أن يورثنا عـــداوة القبائل[3] ، وهذا الأثر مرسل ضعيف[4] .

إن الروايات التاريخية التي تشير إلى الأعداد الخيالية في زواج الحسن بن علي رضي الله عنه لا تثبت من حيث الإســـناد وبالتـــالي لا تـــصلح للإعتماد عليها نظراً للشبه والطعون التي حامت حولها ، ويؤيد افتعـــال تلكم الكثرة أمور منها :

١ ــ إنها لو صحت لكان للحسن بن علي رضي الله عنه من الأولاد جمع غفير يتناسب معها والحال الذي ذكر لها اثنان وعشرون ولداً ما بين ذكر وأنثى ، وهذا العدد يعتبر طبيعي بالنسبة لذلك العصر ويتناقض كلياً مع تلك الكثرة ولا يلتقي معها بصلة .

٢ ــ ومما يدل على وضع ذلك وعدم صحته مـــا روي أن أمـــير المؤمنين رضي الله عنه كان يصعد المنبر ويقول : لا تزوجوا الحسن فإنـــه

1 الطبقات الكبرى الطبقة الخامسة من الصحابة (٣٠٧/١) .
2 المصدر نفسه (٣٠٥/١) .
3 المصدر نفسه (٣٠١/١) .
4 المصدر نفسه (٣٠١/١) .

مطلاق ، كما ذكر ذلك صاحب قوت القلوب[1] ، فنهي أمير المؤمنين الناس عن تزويج ولده على المنبر لا يخلو إما أن يكون قد نهى ولده عن ذلك فلم يستجب له حتى اضطر إلى الجهر به وإلى نهي الناس عن تزويجه ، وإما أن يكون ذلك النهي ابتداء من دون أن يعرف ولده الحسن بغض والده وكراهية أبيه لذلك ، وكلا الأمرين بعيدان كل البعد أما الأول ، فهو بعيد لأن الحسن رضي الله عنه كان باراً بأبيه ولا يخالفه ولا يعصي أمره ، وأما الثاني ، فبعيد أيضاً لأن الأولى بأمير المؤمنين أن يعرّف ولده ببغضه وكراهته لذلك ولا يعلن ذلك على المنبر أمام الجماهير الحاشدة ، مما يسبب اضطراب في العلاقات الأسرية بين الوالد وولده ومضافاً إلى ذلك أن الأمر إما أن يكون سائغاً شرعاً أو ليس بسائغ فإن كان سائغاً فما معنى نهي أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وإن لم يكن سائغاً ، فكيف يرتكبه الحسن ؟ إنا لا شك في افتعال هذا الحديث ووضعه من خصوم الحسن بن علي رضي الله عنه ليشوهوا بذلك سيرته العاطرة[2] والتي توجت بمساعيه في وحدة الأمة ، وهذه عادة الرواة الكذبة في تشويه سيرة المصلحين وتاريخ الأمة ومن هنا تتضح أهمية علم الجرح والتعديل والحكم على الروايات والدور العظيم الذي قام به علماء الحديث في بيان زيف مثل هذه الأخبار ولذلك ننصح الباحثين في تاريخ صدر الإسلام الاهتمام بنقد مثل هذه الروايات حتى يميزوا صحيحها من سقيمها فيقدموا للأمة خدمة جليلة ولا يتورطوا مثل ما تورط فيه بعض السادة الذين لا نشك

---

1 قوت القلوب (٢٤٦/٢) .

2 حياة الأمام الحسن (٤٥١/٢) .

في نواياهم بسبب اعتمادهم في بحوثهم على الروايات الضعيفة والموضوعة .

٣ ـــ ومما يؤيد افتعال تلك الكثرة لأزواجه ما روي أن الحسن بن علي رضي الله عنه لما وافاه الأجل المحتوم خرجت جمهرة من النسوة حافيات حاسرات خلف جنازته وهن يقلن نحن أزواج الإمام الحسن . إن افتعال ذلك صريح واضح ، فأنا لا نتصور ما يبرر خروج تلك الكوكبة من النسوة حافيات حاسرات ، وهن يهتفن أمام الجماهير بأنهن زوجات الحسن ، فإن كان الموجب لخروجهن إظهار الأسى والحزن ، فما الموجب لهذا التعريف والسير في الموكب المزدحم بالرجال مع أنهن قد أمرن بالتستر وعدم الخروج من بيوتهن إن هذا الأثر وأمثاله لا يصح ولا يثبت من حيث الإسناد ومن الأخبار الموضوعة التي تشابه تلك الأخبار ما رواه محمد بن سيرين ، أن الحسن رضي الله عنه تزوج بامرأة فبعث لها صداقاً مائة جارية مع كل جارية ألف درهم[1] . ويستبعد أن يعطي الحسن بن علي رضي الله عنه هذه الأموال الضخمة مهراً لإحدى زوجاته ، فإن ذلك لون من ألوان الإسراف والتبذير وهو منهي عنه في الإسلام ، فقد أمر بالاقتصار على مهر السنة ، وسبب ذلك تسهيل أمر الزواج لئلا يكون فيه إرهاق وعسر على الناس ، ومن المؤكد أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا يخالف سنة جده صلى الله عليه وسلم ولا يسلك أي مسلك يتنافى مع شريعته ، إن هذا الحديث وأمثاله من الموضوعات تؤيد وضع كثرة الأزواج ، وتزيد في الافتعال وضوحاً وجلاءً

[1] البداية والنهاية (١١/١٩٧) .

وعلى أي حال ، فليس هناك دليل يثبت كثرة أزواج الحسن بن علي رضي الله عنه سوى تلكم الروايات ، ونظراً لما ورد عليها من الطعون فلا تصلح دليلاً للإثبات[1] ، ولمعرفة كيف يستفيد الأعداء من الروايات الضعيفة والباطلة ننقل ما قاله المستشرق لامنس عن زواج الحسن بن علي رضي الله عنه ، وألصق به التهم وطعن برجاله وحماته وقد كتب عن أزواج الحسن بن علي رضي الله عنه ما نصه : ولما تجاوز ـــ يعني الحسن ـــ الشباب ، وقد أنفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق فأحصى له حوالي المائة زوجة ، وألصقت به هذه الأخلاق السائبة لقب المطلاق ، وأوقعت علياً في خصومات عنيفة وأثبت الحسن كذلك أنه مبذر كثير السرف ، وقد خصص لكل من زوجاته مسكناً ذا خدم وحشم ، وهكذا نرى كيف يبعثر المال أيام خلافة علي التي اشتد عليها الفقر[2] .

لقد اعتمد المستشرق الانجليزي لامنس في قوله : إن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان كثير الزواج والطلاق على روايات موضوعة وآثار واهية وزاد عليها ، لامنس ، فذكر من البهتان والأكاذيب بما لم يقل به أحد غيره فقد قال :

١ ـــ إنه ألقى أباه في خصومات عنيفة بسبب كثرة زواجه وطلاقه و لم يشر أحد ممن ترجم لأمير المؤمنين علي أو الحسن رضي الله عنهما إلى تلك الخصومات العنيفة التي زعمها المستشرق لامنس .

---

1 حياة الإمام الحسن بن علي (٤٥٢/٢) .
2 دائرة المعارف (٤٠٠/٧)

٢ ــــ وذكر أن أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه خصص لكل من زوجاته مسكناً ذا خدم وحشم ، مع أن جميع المؤرخين الـــذين اطلعت عليهم لم ينقلوا ذلك ، وهذا من الكذب السافر والافتراء المحض .

إن لجان التنصير المسيحي التي حاربت الإسلام وبغت عليه هي التي تدفع هذه الأقلام المأجورة وتزج بها للنيل من الإسلام ، وإلى تشويه واقعه والحط من قيم رجاله وأعلامه الذين أناروا الطريق للركب الإنـــساني ، ورفعوا منار الحضارة في العالم[1] .

عاشراً : أولاده :

وأما ذريته الشريفة ، فهم : الحسن ، وزيد ، وطلحة ، والقاســـم ، وأبو بكر ، وعبد الله ، وقد قتل هؤلاء مع عمهم الحسين الشهيد بكربلاء ، وعمرو ، وعبد الرحمن ، والحسين ، ومحمد ، ويعقوب ، وإسماعيــــل ، وحمزة ، وجعفر ، وعقيل ، وأم الحسين ، ولم يعقب من ذريته إلا الحسن ، وزيد ، فللحسن المثنى خمسة أولاد أعقبوا وفيه العدد والبيت ، وأمـــه خولة بنت منظور الفزارية ، ولزيد ابن هو الحسن بن زيد ، فلا عقب له إلا منه ، وأم زيد أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري البدري . وقـــد ولى إمرة المدينة لأبي جعفر المنصور وهو والد السيدة نفيسة ، وله : القاسم ، وإسماعيل ، وعبد الله ، وإبراهيم ، وزيد ، وإسحاق ، وعلي ، رضي الله عنهم أجمعين[2] ، وهذه سيرة مختصرة لبعض أولاد الحسن .

---

[1] حياة الأمام الحسن بن علي (٤٥٥/٢) .

[2] جمهرة أنساب العرب لابن حزم صـ ٩٨ ، ٣٩ ، وسير أعلام النبلاء (٢٧٩/٣) الدوحة النبوية الشريفة صـ ١٠٠ .

١ ــ **زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب** : رضي الله عنه : أمه أم بشير بنت أبي مسعود وهو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية فولد زيد بن حسن محمداً هلك لا بقية له وأمه أم ولد ، وحسن بن زيد ولي المدينة لأبي جعفر المنصور وأمه أم ولد ، ونفيسة بنت زيد تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان فتوفيت عنده وأمها لُبابة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم .

وأخبرنا محمد بن عمر قال : أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الموال قال : رأيت الناس ينظرون إليه ويعجبون من عُظْم خلقه ويقولون : جده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخبرنا محمد بن عمر قال : أخبرني عبد الله بن أبي عُبيدة قال : ردفت أبي يوم مات زيد بن حسن ومات ببطحاء ابن أزهر على أميال من المدينة فحُمل إلى المدينة ، فما أوفينا على رأس الثنية بين المنارتين طُلع بزيد بن حسن في قبة على بعير ميتاً وعبد الله بن حسن يمشي أمامه قد حزم وسطه بردائه ليس على ظهره شئ فقال لي أبي : يا بُني أنزل وأمسك بالركاب ، فوالله لئن ركبت وعبد الله يمشي لا تُبلني عنده بالة أبداً ، فركبت الحمار ونزل أبي فمشى فما زال يمشي حتى أدخل زيداً داره ببني حُديلة ، فغسل ثم أخرج به على السرير إلى البقيع[1] .

٢ ــ حسن بن حسن بن علي بن أي طالب :

[1] طبقات ابن سند (٣١٨/٥ ، ٣١٩) .

وأمه خولة بنت منظور الفزازية ، وولد حسن بن حسن محمداً وأمه رملة بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل بن عبد العُزى ، وعبد الله بن حسن مات في سجن أبي جعفر ، وإبراهيم بن حسن مات في السجن أيضاً مع أخيه ، وزينب بنت حسن تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان ثم فارقها ، وأم كلثوم بنت الحسن وأمهم فاطمة بنت حسين بن علي بن أبي طالب ، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله بن تيم ، وجعفر بن حسن وداود وفاطمة وأم القاسم وهي قسيمة ، ومُليكة وأمهم أم ولد تُدعى حبيبة فارسية كانت لآل أبي أبس من جديلة ، وأم كلثوم بنت حسن لأم ولد[1] .

ومن مواقف الحسن بن الحسن قوله لرجل ممن غلو في أهل البيت : ويحكم أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله ، فأبغضونا . قال فقال له رجل : إنكم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته . فقال : ويحك لو كان الله مانعاً بقرابة من رسول الله أحداً بغير طاعة الله لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباً وأماً ، والله إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وإني لأرجو أن يؤتي المحسن منا أجره مرتين . ويلكم اتقوا الله وقولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون ونحن نرضى به منكم . ثم قال : لقد أساء بنا آباؤنا إن كان هذا الذي تقولون من دين الله ثم لم يُطلعونا عليه و لم يُرغبونا فيه . قال فقال له الرافضي : ألم يقل رسول الله عليه السلام لعلي من مولاه فعلي مولاه ؟ فقال أما والله أن لو يعني بذلك الإمرة والسلطان لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة

[1] سيرة آل بيت النبي الأطهار ، مجدي فتحي السيد صـ ٣١٢ .

والزكاة وصيام رمضان وحج البيت ولقال لهم الناس هذا ولـــيكم مـــن بعدي ، فإن أنصح الناس كان للناس رسول الله ، ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ولو كان الأمر كما تقولون إن الله ورسوله اختارا علياً لهـــذا الأمـــر والقيام بعد النبي عليه السلام إن كان لأعظم الناس في ذلك خطئه وجُرماً إذ ترك ما أمره به رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أن يقوم فيه كما أمره أو يعذر فيه إلى الناس[1] وهكذا يتبين موقف أهل البيت في محاربتهم للغلو .

الحادي عشر : إخوانه وأخواته :

ونتحدث عن ترجمة مختصرة عن أشقائه من أولاد الـــسيدة فاطمـــة رضي الله عنها :

١ ـــ الحسين بن علي رضي الله عنه :

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب ، سبط رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، وريحانته ومحبوبه ، وابن بنت رسول الله ، فاطمة رضي الله عنها ، كان مولده سنة ٤ هـــ ، وقيل غير ذلك ومات رضي الله عنه قتيلاً شهيداً ، في يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة إحدى وستين هجرية بكربلاء من أرض العراق فرضي الله عنه وأرضاه[2] ، وقـــد وردت في مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة منها :

---

[1] طبقات ابن سعد (٣١٩/٥ ، ٣٢٠) .
[2] البداية والنهاية (١٥٢/٨) الإصابة (٣٣١/١ ، ٣٣٤) .

أ ـــ ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلي العامري رضي الله عنه أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني إلى طعام دعوا له قال : فاستمثل رسول الله أمام القوم ، وحسين مع غلمان يلعب ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذه فطفق الصبي يفر هنا مرة وهاهنا مرة ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه قال : فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ووضع فاه وقبله وقال : حسين مني وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط[١] ، وفي ذلك منقبة ظاهرة للحسين رضي الله عنه إذ حث على محبته وكأنه صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض له ومحاربته وأكد ذلك بقوله : أحب الله من أحب حسيناً ، فإن محبته تؤدي لمحبة رسول الله ومحبة الرسول تؤدي إلى محبة الله[٢] .

ب ـــ ومنها ما رواه البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتى عبيد الله بن زياد[٣] ، برأس الحسين عليه السلام فجعل في طست فجعل ينكث وقال في حسنه شيئاً فقال أنس كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مخضوباً بالوسمة[٤] .

ت ـــ وفي رواية أخرى عن أنس أيضاً قال : لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكث بالقضيب ثناياه يقول لقد كان

1 فضائل الصحابة رقم ١٣٦١ إسناده حسن .
2 تحفة الأحوذي (٢٧٩/١٠) .
3 قتل عبيد الله عام ٧٦هـ الإعلام (١٩٣/٤) .
4 الوسمة : شجر باليمن يخضب بورقه الشجر ، البخاري رقم ٣٧٤٨ .

أحسبه قال جميلاً فقلت والله لأسؤنك إني رأيت رسول الله يلـــثم حيث يقع قضيبك قال فانقبض[1]

٢ ــ مُحَسَّن بن علي بن أبي طالب :

لا نعرفه إلا في الحديث الذي يرويه هاني بن هاني عن علي بـــن أبي طالب رضي الله عنه قال : لَمَّا ولد الحسن جـــاء رسول الله صـــلى الله عليه وسلم فقال : أروني ابني ما سميتموه ؟ قلت : سمّيته حرباً ، قال : بل هـــو حسن ، فلما ولد الحسين قال : أروني ابني ما سميتموه ؟ قلت سميته حرباً ، قال : بل هو حسين . فلما ولد الثالث جاء النبي صلى الله عليـــه وسلم فقال : أروني ابني ما سميتموه ؟ قلت حرباً ، قال : بل هو محسَّن ثم قال : إني سمّيتهم بأسماء ولد هارون شبّر وشُبَيْر ومشبّر[2] . والظاهر أنـــه مات طفلاً[3] ، ويتبين لنا من هذه الرواية الصحيحة أن محسن مـــات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يبطل مزاعم الغلاة والكـــذابين في رواياتهم الكاذبة الذين يزعمون أن عمر ضرب فاطمة وأسقط ابنها .

٣ ــ أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها :

زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته من فاطمة بنت الـــنبي صلى الله عليه وسلم من الفاروق حينما سأله زواجها منه رضي الله عنه بما يطلب ، وثقة فيه وإقراراً لفضله ومناقبه ، واعترافاً بمحاسنه وجمـــال

---

1 فضائل الصحابة (٩٨٥/٢) رقم ١١٩٧ إسناده حسن .
2 مسند أحمد (٩٨/١) إسناده صحيح .
3 التبيين في أنساب القرشيين لابن قدامة المقدسي ١٣٣ .

سيرته وإظهاراً بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة ، ويرغم أنوفهم[1] ، وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر رضي الله عنه ابنة سميت "رقية" وولد سمته زيداً ، وقد روى أن زيد بن عمر حضر مشاجرة في قوم من بني عدي بن كعب ليلاً فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره ، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشياً عليها من الحزن فماتت من ساعتها ، ودفنت أم كلثوم وابنها زيد بن عمر في وقت واحد ، وصلى عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، قدمه الحسن بن علي بن أبي طالب وصلّى خلفه[2] ، وقد فصلت سيرتها في كتابي عن عمر بن الخطاب .

٤ ــ زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما :

ولدت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت عاقلة لبيبة جزلة زوَّجها أبوها ابن أخيه عبد الله بن جعفر ، فولدت له أولاداً ، وكانت مع أخيها لما قتل ، فحملت إلى دمشق[3] .

ومن أشهر إخوانه من أبيه :

٥ ــ محمد بن الحنفيّة :

---

[1] الشيعة وأهل البيت صـ ١٠٥ .
[2] أسد الغابة (٤٢٥/٧) ونساء أهل البيت منصور عبد الحكيم صـ ١٨٥ .
[3] الإصابة في تمييز الصحابة (١٦٧/٨) .

وكانت أمه من سبي بني حنيفة ، اسمها خولة بنت جعفـــر وكـــان فاضلاً عالماً ذا علم ودين وعبادة ، وكان حامل راية أبيه يوم الجمـــل ، وكان قوياً ، وحكيماً ومما روي من كلامه أنه قال : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُداً حتى يجعل الله لـــه فرجـــاً ومخرجاً وقال : إن الله تعالى جعل الجنة ثمناً لأنفسكم ، فلا تبيعوها بغيرها : وقال من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر . وقال : كل مالا يبتغي به وجه الله يضمحل توفي سنة ثلاث وتسعين هجرية[١] .

الثاني عشر : أعمامه وعماته :

وهذه نبذة مختصرة عن أعمامه وعماته :

١ ــ طالب بن أبي طالب : هلك مشركاً بعد غزوة بدر ، وقيل إنه ذهب فلم يرجع ، ولم يُدْرَ له موضع ولا خبر ، وهو أحد الذين تاهوا في الأرض ، وكان محباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله فيه مـــدائح وكان خرج إلى بدر كرهاً ، وجرت بينه وبين قريش حين خرجـــوا إلى بدر محاورة فقالوا : والله يا بني هاشم لقد عرفنا ــ وإن خرجتم معنا ــ أن هواكم مع محمد ، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع ، وقال شـــعراً وقصيدة ثناء على النبي صلى الله عليه وسلم وبكى فيها أصحاب قليـــب بدر[٢] .

---

1 التبيين في أنساب القرشيين صـ ١٣٦ .

2 الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المرتضى للندوي صـ ٢٣ .

٢ ــ **عقيل بن أبي طالب** : فكان يكن أبا يزيد ، تأخر إسلامه إلى عام الفتح ، وقيل أسلم بعد الحديبية ، وهاجر في أول سنة ثمان ، وكان أسر يوم بدر ففداه عمّه العباس ، ووقع ذكره في الــصحيح في مواضــع كثيرة وشهد غزوة مؤتة ولم يسمع له ذكر في الفتح وحنين ، كأنه كان مريضاً ، أشار إلى ذلك ابن سعد لكن روى الزبير بن بكار بــسنده إلى الحسين بن علي ، أن عقيلاً كان ممن ثبت يوم حنين ومات في خلافــة معاوية وفي تاريخ البخاري الأصغر بسند صحيح أنه مات في أول خلافة يزيد قبل الحرة[1] ، وعمره ست وتسعون سنة[2] .

٣ ــ **جعفر بن أبي طالب** : فهو أحد السابقين إلى الإسلام ، وكان يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمونه ويحدثهم ويحدثونه ، وهاجر إلــى الحبشة ، فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه ، ولقد تحــدثت عنــه في كتابي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ــ واستشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر[3] .

٤ ــ **أم هاني بنت أبي طالب** : ابنة عم النبي صلى الله عليه وســلم فقيــل اسمها فاختة ، وقيل اسمها فاطمة وقيــل هنــد ، والأول أشــهر وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي وكان له منها عمرو ، وبه كان يكنى وفي فتح مكة أجارت أم هاني رجلين من بــني مخــزوم ،

1 الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٤٩٤) .
2 المرتضى للندوي صـ ٢٤ .
3 المرتضى صـ ٢٤ .

وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجرنا من أجرت يا أم هـــاني وروت أم هاني عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب الستة وغيرها[1] ، قال الترمذي وغيره : عاشت بعد علي رضي الله عنه[2] .

٥ ـــ جُمانة بنت أبي طالب : هي أم عبد الله بن أبي ســـفيان بـــن الحارث بن عبد المطلب ذكرها ابن سعد في ترجمة أمها فاطمة بنت أسد وأفردها في باب بنات عم النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ولدت لأبي سفيان بن الحارث ابنة جعفر بن أبي سفيان بن أبي طالـــب ، وأطعمهـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسقاً[3] .

الثالث عشر : أخواله وخالاته :

أم أخواله فقد ماتوا وهم صغار و لم يبلغ أحد منهم إلى سن البلوغ ، وهم القاسم ، وإبراهيم وزاد الزبير بن بكار عبد الله ـــ وسمي بالطيّـــب والطاهر ـــ لأنه ولد بعد النبوة[4] وعليه أكثر علماء النسب ، وقيـــل : إن الطيّب ، والطاهر ولدان آخران . ولكن عبد الله والطيب والطاهر قـــد ماتوا بمكة بإجماع العلماء[5] ، وجميع أولاده صلوات الله وسلامه عليه من خديجة بنت خويلد ، إلا إبراهيم فإنه من ماريا القبطية التي أهـــداها لـــه مقوقس مصر ، عندما أرسل له الدعوة إلى الإسلام في السنة السادسة من

[1] المرتضى صـ٢٥ .
[2] الإصابة في تمييز الصحابة (٣١٧/٩ ـ ٣١٨) .
[3] الإصابة (٢٦٠/٢٥٩/٤) المرتضى صـ ٢٧ .
[4] الدوحة النبوية الشريفة صـ ٣١ .
[5] الاستيعاب (٢٨١/٤) .

الهجرة ، وكان صلى الله عليه وسلم يكنَّى عليه الصلاة والسلام بأبي القاسم ، وقد قيل : أنه أكبر أولاده وأول من مات منهم ، ولد بمكة قبل النبوة ، ومات صغيراً ، وقيل : بل عاش حتى بلغ سن التمييز ، فقيل : إنه بلغ المشي[1] ، وقيل : بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة[2] ، وأما خالاته فزينب ، ورقية ، وأم كلثوم رضي الله عنهن .

١ ــ زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أكبر خالات الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه زينب وأدركت الإسلام ، وهاجرت ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم محباً لها ، وقد كانت أول بناته زواجاً ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان أبو العاص بن الربيع من رجال مكة المعدودين ــ مالاً وتجارة وأمانة ــ وهو ابن أخت خديجة ، أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة لأمها وأبيها فقالت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها وذلك قبل أن يترل عليه الوحي ، وكانت خديجة تعده بمترلة ولدها ، فلما أكرم الله تعالى نبيه بنبوته آمنت خديجة وبناتها رضي الله عنهن ، فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً بأمر الله تعالى ، أتوا بالعاص بن الربيع ، فقالوا : إنكم قد فرّغتم محمداً من همِّه ، فرُدّوا عليه بناته ، فاشغلوه بهنَّ ، وقالوا لأبي العاص بن الربيع : فارق صاحبتك ، ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت ، فقال : لاها الله إذا ، لا أفارق صاحبتي ، ولا أحب أن لي

[1] الدوحة النبوية الشريفة صـ ٣١ ، الذرية الطاهرة للدواليبي صـ ٤٢ .
[2] الدوحة النبوية الشريفة صـ ٣١

بامرأتي امرأة من قريش . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني على صهره خيراً[1] . وجاء عنه أنه تذكر زينب وهو في تجارته في الشام فقال[2] :

ذكرت زينـــب لمـــا ورّكت[3] إرما[4]
فقلت : سقيا لشخص يـــسكن الحرما

بنت الأمين جزاها الله صالحة
وكلُّ بعـــلٍ ســـيثُني بالــــذي علمـــا[5]

أ ــ وفاء زينب لزوجها :

وكما كان أبو العاص بن الربيع وفياً لزوجه زينب ، كانت هـــذه كذلك له ، فقد أبى أبو العاص أن يسلم بمكة ، وأقامت زوجه معه على إسلامها ، حتى كانت معركة بدر ، فحضرها أبو العاص في صفِّ كفار قريش ، فأسر فيمن أسر منهم ، فلما بعث أهل مكة في فـــداء أســـراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال ، وكانت فيه قلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها ، قالت عائشة أم المؤمنين : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهـــا رقـــة شـــديدة ، وقـــال

---

1 سيرة ابن هشام (٢/٢٩٦) .
2 طبقات ابن سعد (٨/٣٢) ، مستدرك الحاكم (٤/٤٤) .
3 وورَّكت : أي اضطجعت ، يقال: ورك يرك وروكاً : إذا اضطجع ، أي كأنه وضع وركه في الأرض .
4 الإرم : الأحجار التي تنصب علامات في الطرق والمفاوز والجمع أرم وإرم .
5 الدوحة النبوية الشريفة صـ ٣١ .

للمسلمين : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردّوا عليها مالها ، فافعلوا ، فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه ، وردّوا عليه الذي له[1] . ويجـــدر بنا أن نقف وقفة تأمل في خطابه لأصحابه وما تضمنه من سمو العبـــارة والأدب الرفيع مما ينبغي أن نتحلى به في حياتنا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه عهداً ، بأن يخلي زينب لتلحق به ، وكانت من المستضعفين بمكة من النساء واستكتمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وصدق في عهده وأرسل زينب وتعرضت لابتلاء شديد في طريقها إلى المدينة[2] .

ب ــ إسلام زوجها وأمانته :

وأقام أبو العاص بن الربيع بمكة ، وأقامت زينب عنـــد رســـول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين فرق بينهما الإسلام ، حتى إذا كـــان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، بمال له ، وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً ، لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابوا ما معـــه ، وأعجزهم هارباً ، فلما قدمت السرية بماله ، أقبل أبو العاص تحت الليـــل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستجار بها فأجارته ، وجاء في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم إلى صلاة الصبح ، فكبّر الناس وراءه صرخت زينب مـــن صُـــفّة النساء : أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رســـول

[1] سير أعلام النبلاء (٤٧٢) .
[2] تاريخ الإسلام للذهبي ، المغازي صـ ٦٩ .

الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال : أيها النـــاس هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم : قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشئ من ذلك حتى سمعت ما سمعتم ، إنه يجير علـــى المـــسلمين أدناهم . ثم انصرف ، فدخل على ابنته ، فقال : أي بنية أكرمي مثـــواه ولا يخلص إليك ، فإنك لا تَحلِّين له . وبعث رسول الله صلى الله عليـــه وسلم إلى السرية الذين أصابوا المال ، فقال ، إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا وتردوا عليه ماله الذي له فإنـــا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فئ الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق بـــه ، قالوا : يا رسول الله بل نرده عليه فردُّوه ، حتى إن الرجل ليأتي بالدلو ، والرجل يأتي بالشنَّة[1] والإداوة[2] حتى أن أحدهم ليـــأتي بالـــشطاط ، ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مالٍ من قريش ماله ، ومن كان أبضع معه . ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عنـــدي مـــال لم يأخذه ؟ قالوا : كلا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفياً كريماً ، قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رســـول الله ، والله مـــا منعني من الإسلام عنده إلا تخوُّف أن تظنـــوا أني إنمـــا أردت أن آكـــل أموالكم ، فلما أدَّاها الله إليكم ، وفرغت منها أسلمت ، ثم خرج فقدم على رسول الله صلى الله عليه[3] ، وجاء عن عامر الشعبي وغيره ، أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين ، قيل له : هـــل لك أن تُسلِم وتأخذ هذه الأموال ، فإنها أموال المشركين ؟ فقـــال أبـــو

---

1 الشنة هي : السقاء البالي .
2 الإداوة : مطهرة يتوضأ منها .
3 التاريخ الإسلامي للذهبي ، المغازي صـ ٧٠ .

العاص : بأس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي[1] . ومن أقوال أبو العاص رضي الله عنه : نتعلم قيمة عظيمة وهي الأمانة والتحلي بمكارم الأخلاق حتى مع غير المسلمين فلا ينبغي للمسلم أن يخون أمانته لأي سبب كان .

ولما قدم أبو العاص بن الربيع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً ردّ عليه زوجته زينب بالنكاح الأول ، ولم يحدث نكاحاً جديداً[2] ، وقد جاء في التحاقهما بالنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة روايات أخرى إلا أنها تتفق على وفاء أبي العاص بن الربيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتتفق على إيذاء المشركين لها في خروجها من مكة[3] .

جـ ـ وفاتها وذرِّيتها :

فقد جاء عن عروة بن الزبير : أن رجلاً أقبل بزينب بنت رسول الله فلحقه رجلان من قريش ، فقاتلاه حتى غلباه عليها ، فدفعاها حتى وقعت على صخرة ، فأسقطت وأهريقت دماً ، وذهبوا بها إلى أبي سفيان ، فجاءته نساء بني هاشم فدفعها إليهن ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة ، فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع ، فكانوا يرون أنها شهيدة ، وكانت وفاتها في أول سنة ثمان من الهجرة النبوية[4] .

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على تجهيزها ، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت : لما ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه

---

1 دلائل النبوة للبيهقي (١٥٤/١) .
2 الدوحة النبوية الشريفة صـ ٤١ .
3 المصدر نفسه صـ ٤١ .
4 مجمع الزوائد للهيثمي (٢١٦/٩) .

وسلم قال لنا : اغسلنها وتراً ، ثلاثاً أو خمساً ، واجعلن في الخامسة كافوراً ، أو شيئاً من كافور ، فإذا غسلتنها فأعلمنني ، قالت : فأعطانا حِقْوة ، وقال : أشعرها إياه[1] . وهكذا نرى حجم المصائب التي تحملها الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وصلت إلى بناته وقد استمر على طريق الدعوة صابراً محتسباً ومنه نتعلم أن طريق إعزاز الإسلام يحتاج إلى صبر واستعداد للتضحية .

وقد أنجبت زينب رضي الله عنها من أبي العاص بن الربيع ، أمامة ، وعلياً ، أما علي فقد مات وهو صغير ، وقيل مات في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد ناهز الحلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، وهو مردفه على ناقته . وكانت أمامة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموقع الكريم ، والمحل العظيم ، فقد كان يحملها على عاتقه وهو يؤم الناس في الصلاة ، فعن أبي قتادة الأنصاري قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو يحمل أمامة بنت أبي العاص ابنة ابنته على عاتقه ، فإذا ركع وضعها وإذا قام حملها[2] ، وعن عائشة رضي الله عنها أن النجاشي أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حِلْية فيها خاتم من ذهب فصُّه حبشي فأخذه وإنه لمعرض عنه ، فأرسله إلى ابنة ابنته زينب ، وقال : تَحلّيْ بهذا يا بنية[3] ، وفي رواية : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أهله ومعه قلادة جزع[4] ، فقال لاعطينَّها إلى أحبكنّ إلي ، فقلن : يدفعها إلى ابنة أبي بكر ، فدعا بابنة أبي العاص من

[1] مسلم ، ك الجنائز (٦٤٨/٢) ، طبقات ابن سعد (٣٤/٨) .
[2] مسلم رقم ٥٤٣ .
[3] مسند أحمد (١٠١/٦ ، ٢٦١) سنده ضعيف ، الدوحة النبوية الشريفة صـ ٤٣ .
[4] الجزع : هو الخرز اليماني ، واحدته جزعة .

زينب فعقدها بيده[1] ، وكان على عينها رَمَص ، فمسحه بيده صلى الله عليه وسلم . وأما أمامة فقد عاشت ، وتزوجها على بن أبي طالب بعد وفاة خالتها فاطمة الزهراء ، وكان أبو العاص بن الربيع قد أوصى بابنته أمامه إلى الزبير بن العوام ، فزوجها من علي بن أبي طالب ، واستشهد علي رضي الله عنه وهي عنده ، ثم تزوجت بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وماتت عنده ، و لم تنجب أمامة لعلي بن أبي طالب ، ولا للمغيرة بن نوفل وقيل : ولدت للمغيرة ولداً سماه يحي ومات ، فانقطع بذلك نسل السيدة زينب عليها السلام .

رقيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وقد ولدت على الأصح بعد زينب سنة ثلاث وثلاثين من عمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة وبايعت حين بايعه الناس ، وكانت قد خطبها عتبة بن أبي لهب ، فلما نزلت : ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ...)) قال له أبوه : رأسي من رأسك حرام إن تطلق ابنة محمد ، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتبة طلاقها وسألته هي ذلك . و لم يكن قد دخل بها ــ فقالت له أمه أم جميل ــ وهي حمَّالة الحطب ــ طلّقها يا بُنيّ ، فإنها قد صبأت ففارقها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهواناً له ، فتزوجت عثمان بن عفان بمكة ، وهاجر بها إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة المنورة فهي ممن هاجر الهجرتين[2] .

---

[1] طبقات ابن سعد (٤٠/٨) ، الاستيعاب لابن عبد البر (٢٤٥/٤) ، الدوحة النبوية الشريفة صـ ٤٣ .
[2] الدوحة النبوية الشريفة صـ ٤٤ ، تفسير القرطبي (٢٤٢/٤) .

هذا وقد توفيت بالمدينة بعد انتهاء غزوة بدر ، فعن ابـــن شـــهاب الزهري قال : تخلّف عثمان بن عفان عن غزة بدر على امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قد أصابتها الحصبة ، وجاء زيد بن حارثة بشيراً بوقعة بدر ، وعثمان على قبر رقية ، قال أبو عمر بن عبد البر : لا خلاف بين أهل السير أن عثمان بن عفان رضي الله عنـــه إنمـــا تخلَّف عن بدر على امرأته رقية بأمر رسول الله صلى الله عليه وســـلم ، وأنه ضرب له بسهمه وأجره[١] ، وقد ولدت رقيَّة رضي الله عنها لعثمان بالحبشة ولداً سماه عبد الله ، وكان يُكنَّى به بلغ سنتين وقيل : ست سنين ، فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات وقيل : أسقطت من عثمان سقطاً ، ثم ولدت عبد الله ، فمات ، ولم تلد له غيره حتى توفيت رضي الله عنها وأرضاها[٢] ، قال ابن سعد في الطبقات : وهاجرت معه ـــ أي عثمان ـــ إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً .. وكانت في الهجـــرة الأولى قد أسقطت من عثمان سقطاً ثم ولدت له بعد ذلك ولد فسماه عبد الله وكان عثمان يكنى به في الإسلام[٣] وبهذا يكون نسبها قد انقطع[٤] .

٣ ـــ أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وأما خالة الحسن رضي الله عنه الثالثة فهي أم كلثوم ، فقد عرفـــت بكنيتها ، ولا يعرف لها اسم إلا ما ذكره الحاكم عن مصعب الزبيري أن

[1] الاستيعاب (١٩٥٢/٤) .
[2] الذرية الطاهرة للدواليبي صـ ٥٣ الدوحة النبوية الشريفة صـ ٤٥ .
[3] الطبقات (٣٦/٨) .
[4] الدوحة النبوية الشريفة صـ ٤٥ .

اسمها أمية وهي أكبر سناً من فاطمة رضي الله عنهما[1] ، وكانت قد تزوجها عتيبة بن أبي لهب ، أخو عتبة الذي تزوج أختها رقية ـــ ولم يدخلا بهما ـــ فأمره أبوه وأمه أن يفارقها كما أمرا أخاه أن يفارق أختها . وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : كفرت بدينك ، وفارقتُ ابنتك لا تحبني ولا أحبك ، ثم سطا عليه فشق قميص النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان خارجاً إلى الشام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلباً من كلابه فخرج في تَجْر قريش ـــ أي جماعة التجار ـــ نحو الشام حتى نزلوا بمكان يقال له الزرقاء فأطاف بهم الأسد في تلك الليلة ، فجعل عتيبة يقول أيا ويل أمي هو والله آكلي كما دعا عليّ محمد ، أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام ، فعدا عليه الأسد من بين القوم ، فأخذ برأسه فضغمه ضغمة فقتله[2] ، ولما فارقها عتيبة بن أبي لهب لم تزل بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجرت إلى المدينة حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت إليها مع عياله[3] .

أ ـــ زواجها :

وقال سعيد بن المسيب : تأيَّم عثمان من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأيَّمت حفصة بنت عمر من زوجها ، فمر عمر بعثمان ، فقال : هل لك في حفصة ، وكان عثمان قد سمع رسول الله صلى الله

---

[1] المصدر نفسه صـ ٤٦ .
[2] المعجم الكبير للطبراني (٤٣٥/٢٢ ، ٤٣٦) وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف ، الذرية الطاهرة للدواليبي رقم ٧٦ .
[3] الدوحة النبوية الشريفة صـ ٤٦ .

عليه وسلم يذكرها فلم يجبه ، وذكر ذلك عمـــر للنبي صلى الله عليـــه وسلم ، فقال : هل لك في خير من ذلك . أتزوج حفصة وأزوج عثمان خيراً منها أم كلثوم[١] ، وكان زواج أم كلثوم من عثمان بن عفان رضي الله عنهما سنة ثلاث من الهجرة النبوية ، في ربيع الأول ، وبنى بهـــا في جمادي الآخرة[٢] . وجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علـــى ابنته وهي تغسل برأس عثمان رضي الله عنه ، فقال : يا بنيَّة أحسني إلى أبي عبد الله ، فإنه أشبه أصحابي خلقاً[٣] .

وفاتها :

و لم تزل أم كلثوم عند عثمان رضي الله عنـــهما إلى أن توفيـــت في شعبان سنة تسع من الهجرة وصلّى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلس على شفير قبرها عليها السلام ، فعن أنس بن مالك أنـــه رأى النبي صلى الله عليه وسلم جالساً على قبر أم كلثوم ، قال : فرأيت عينيه تدمعان ، فقال : هل منكم رجل لم يقارف الليلة ؟ فقال أبو طلحة أنا ، قال : فانزل في قبرها[٤] .وقد غسلتها أسماء بنت عُميس ، وصفية بنت عبد المطلب وهي التي شهدت أم عطية غُسلها ، وحكت قـــول رســـول الله صلى الله عليه وسلم : أغسلنها ثلاثاً ، أو خمساً ، أو أكثر من ذلك[٥] .

---

[1] مستدرك الحاكم (٤٩/٤) صحيح .
[2] سنن ابن ماجة رقم ١١٠ فيه ضعف ، الدوحة النبوية صـ ٤٧ .
[3] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨١/٩) قال الهاشمي فيه محمد بن عبد الله يروي عن المطلب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .
[4] البخاري ، ك الجنائز (٢٠٨/٣) رقم ١٢٨٥ .
[5] البخاري رقم ١٢٥٣ الاستيعاب رقم ٣٠٦٣ .

وجاء عند ابن سعد أن علي بن أبي طالب ، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد ، قد نزلوا في حفرها مع أبي طلحة ، وأن التي غسلتها هي أسماء بنت عميس ، وصفية بنت عبد المطلب[١] .

ذريتها :

اتفق العلماء على أن أم كلثوم ، لم تلد و لم تعقب[٢] . ومن الغريب أن بعض الشيعة الروافض يطعنون بصحة نسب بنات النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك يزعمون بأهم يحبون النبي صلى الله عليه وسلم مخالفين بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتاريخ ويكفي في الرد عليهم قوله تعالى ((**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا**)) (الأحزاب ، الآية : ٥٩) فذكر بناته بالجمع .

المبحث الثاني : أم الحسن بن علي بن أبي طالب السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنهما :

هي فاطمة بنت إمام المتقين سيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمها خديجة بنت خويلد ، كانت تكنى بأم أبيها[٣] ، وولدت رضي الله عنها قبل البعثة سنة خمس وثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه

[1] الطبقات (٣٨/٨ ، ٣٩) ، الاستيعاب رقم ٣٥٦٣ .
[2] طبقات ابن سعد (٣٨/٨) الاستيعاب لابن عبد البر (٤٨٧/٤) ، الإصابة (٤٨٩/٤) ، مجمع الزوائد (٢١٧/٩) ، عيون الأثر لابن سيد الناس (٣٨٠/٢) الدوحة النبوية الشريفة صـ ٤٩ .
[3] أسد الغابة (٥٢٠/٥) ، الإصابة (٣٦٥/٤) .

وسلم[1] ، زوجها النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم ، وزينب ومحسِّن ، وكانت وفاتها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر فرضي الله عنها وأرضها[2] .

أولاً : مهرها وجهازها :

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : خُطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مولاة لي : هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : لا قالت : فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوجك . فقلت : وعندي شئ أتزوج به فقالت : إنك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجك . قالت : فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت ، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة . فقال : لعلك جئت تخطب فاطمة ؟ فقلت : نعم ، فقال : وهل عندك من شئ تستحلها ؟ فقلت : لا والله يا رسول الله . فقال : ما فعلت درع سلحتكها ؟ فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعمائة درهم فقلت عندي فقال : قد زوجتكها ، فابعث إليها بها فاستحلها بها ، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] وقد جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في

---

[1] الطبقات لابن سعد (٢٦/٨) .
[2] حلية الأولياء (٣٩/٢ ، ٤٣) سير أعلام النبلاء (١١٨/٢) .
[3] دلائل النبوة للبيهقي (١٦٠/٣) إسناده حسن .

خميل[1] ، وقربة ووسادة أدم[2] حشوها إذخر[3] ، وقد جـــاء في روايـــات الشيعة مساهمة لعثمان بن عفان رضي الله عنه في الزواج الميمون حيـــث قال : علي رضي الله عنه : فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربع مائة درهم من عثمان بن عفان ، فلما قبضت الدراهم منه وقـــبض الدرع مني قال : يا أبا الحسن ، ألست أولى بالدرع منك وأنـــت أولى بالدراهم مني ؟ فقلت : نعم قال : فإن هذا الدرع هدية مـــني إليـــك ، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله صلى الله عليه وســـلم ، فطرحت الدرع والدراهم بين بيديه ، وأخبرته بما كان من أمر عثمـــان فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم بخير[4] .

ثانياً : زفافها :

قالت أسماء بنت عميس : كنت في زفاف فاطمة بنت رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبحنا جاء النبي صلى الله عليه وســـلم إلى الباب فقال : يا أم أيمن ادعي لي أخي فقالت : هو أخوك وتنكحه ؟ قال : نعم يا أم أيمن ، قالت : فجاء علي فنضح النبي صلى الله عليه وسلم من الماء ودعا له ثم قال : أدعو إلي فاطمة قالت : فجاءت تعثر من الحيـــاء فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسكتي فقد أنكحتك أحـــب أهل بيتي إلي ، قالت : ونضح النبي صلى الله عليه وسلم عليها من المـــاء ودعا لها ، قالت : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ســـواداً

---

[1] خميل : القطيفة .
[2] الأدم : الجلد .
[3] إذخر : نبات ، صحيح السيرة النبوية صـ ٦٦٧ مسند فاطمة الزهراء وما ورد في فضلها ، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي صـ ١٨٩ .
[4] كشف الغمة للأربلي (٣٥٩/١) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت صـ ١٣٧ ، ١٣٨ .

بين يديه ، فقال : من هذا ؟ فقالت : أنا ، قال : أسماء ؟ قلت : نعـــم ، قال : أسماء بنت عميس ؟ قلت : نعم ، قال : جئت في زفـــاف بنـــت رسول الله تكرمه له ؟ قلت : نعم ، قالت : فدعا لي[1] ، وفي هذه القصة قيمة اجتماعية رفيعة وهي التعاون بـــين أفـــراد المجتمـــع في المناســـبات الاجتماعية المختلفة .

ثالثاً : وليمة العرس :

عن بريدة قال : لما خطب علي فاطمة ، قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : إنه لا بد للعُرس[2] من وليمة ، قال : فقال سعد عليّ كبش ، وجمع له رهط من الأنصار آصعا من ذرة ، فلما كان ليلة البناء ، قال : يا علي لا تحدث شيئاً حتى تلقاني . . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بمـــاء فتوضأ منه ثم أفرغه على علي ، فقال : اللهم بارك فيهما وبارك عليهما ، وبارك في شبلهما[3] .

رابعاً : معيشة علي وفاطمة رضي الله عنهما :

كانت معيشة علي وفاطمة رضي الله عنهما وهما من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معيشة زهد وتقشف ، وصبر وجهد ، فقد أخرج هناد عن عطاء ، قال : نبئت أن علياً رضي الله عنه قـــال : مكثنا أياماً ليس عندنا شئ ، ولا عند نبي الله صلى الله عليـــه وســـلم ،

---

[1] فضائل الصحابة (٩٥٥/٢) رقم ٣٤٢ إسناده صحيح .
[2] للعرس : أي للعروس .
[3] المعجم الكبير للطبراني ١١٥٣ ، فضائل الصحابة (٨٥٨/٢) إسناده صحيح .

فخرجت ، فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق فمكثت هنيهـــة أوامـــر نفسي في أخذه أو تركه ، ثم أخذته لما بنا من الجهـــد ، فأعطيـــت بـــه الضفاطين[1] فاشتريت به دقيقاً ، ثم أتيت به فاطمـــة فقلـــت : أعجـــني وأخبزي ، فجعلت تعجن وإن قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهـــد الذي بها ـــ ثم خبزت ، فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : كلوا فإنه رزق رزقكموه الله عز وجل[2] ، وعن الشعبي ، قـــال : قال علي رضي الله عنه : تزوجت فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالي ولها فراش غير جلد كبش تنام عليه بالليل ، ونعلـــف عليه ناضحنا بالنهار ، وما لي خادم غيرها[3] ، وعن مجاهد قـــال علـــي : جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً ، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة ، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً ، فظننتها تريد بلّه[4] ، فأتيتها فقاطعتـــها[5] كلّ ذنوب[6] ، على تمرة ، فمددت ستة عشرة ذنوباً ، حتى مجلت يداي[7] ، ثم أتيت الماء فأصبت منه ، ثم أتيتها فقلت يكفي هذا بـــين يـــديها[8] ، فعدت لي ســـت عشرة تمرة ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فأكل معي منها[9] ، في هذا الخبر بيان لشدة الحال التي مر بهـــا والـــد الحسن في المدينة ، ونأخذ منها صورة من السلوك المشروع في مواجهـــة الشدائد حيث خرج علي للعمل بيديه للكسب المـــشروع ، و لم يجلـــس

---

1 الضفاطون : الحمالون والمكارون الذين يجلبون الدقيق من الخارج .
2 كنز العمال (٣٢٨/٧) ، المرتضى للندوي صـ ٤١ .
3 كنز العمال (١٣٣/٧) المرتضي للندوي صـ ٤١ .
4 المدر ، يعني الطين اليابس ، تريد له يعني الماء .
5 فقاطعتها : أي اتفقت معها على أجرة
6 ذنوب : دلو .
7 مجلت : تورمت من العمل .
8 يعني بسطهما وضمهما .
9 صفة الصفوة (٣٢٠/١) ، الموسوعة الحديثية ، مسند أحمد ١١٣٥ إسناده ضعيف لانقطاعه .

منتظراً ما تجود به أيدي المحسنين ، وصورة أخرى من قوة التحمل حيث قام بذلك العمل الشاق وهو يعاني من شدة الجوع ما يــضعف قوتــه ، وصورة أخرى من إيثار الأحبة والوفاء لهم ، فهو على ما به من شــدة الجوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق قد احتفظ بأجرته مــن التمر حتى لقي النبي صلى الله عليه وسلم فأكل معــه[1] ، إن مــن أهــم الدروس في هذه القصة هو أن فقر الإنسان أو غنــاه المــادي لا يعــبر بالضرورة على حب الله للعبد من عدمه للعبد وإنما المعيار الحقيقي هــو تقوى الله عز وجل وينبغي أن يكون تقييمنا للناس على هذا الأساس .

خامساً : زهد السيدة فاطمة وصبرها :

كانت حياة والد الحسن رضي الله عنهما في غاية البساطة بعيدة عن التعقيد ، وهي إلى شظف العيش أقرب منها إلى رغده[2] ، وهذه القــصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب وموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادماً من السبي ، قــال علــي لفاطمة ذات يوم والله لقد سنوت[3] ، حتى لقد اشتكيت صدري ، قال : وجاء الله أباك بسبي فاذهبي ، فاستخدميه[4] ، فقالت : أنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي ، فأتيت النــبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما جاء بك أي بنية . قالت : جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله ورجعت فقال علي : ما فعلت ؟ قالت : استحيت أن أسأله ، فأتينا جميعاً ، فقال علي :

---

1 التاريخ الإسلامي للحميدي (١٩/٤٩ ، ٥٠) .
2 أنظر : معين السيرة صـ ٢٥٥ للشامي .
3 سنوت : استقيت .
4 أي أسأليه خادماً .

يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري ، وقالت فاطمة : قد طحنت حتى مجلت يداي[1] ، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوي[2] بطونهم ، لا أجد ما أنفق عليهم ، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم ، فرجعا فأتاهما النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلا في قطيفتهما إذ غطت رؤوسهما تكشف أقدامهما ، وإذا غطيت أقدامهما تكشفت رؤوسهما ، فثارا ، فقال مكانكما ، ثم قال : ألا أخبركما بخير مما سألتماني ؟ قالا : بلا . فقال : كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام ، فقال : تسبحان في دبر كل صلاة عشراً ، وتحمدان عشراً ، وتكبران عشراً ، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين وأحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين[3] ، وفي هذه القصة السالفة بعض القيم منها ، إن هذه الحادثة تبين لنا كيف أدار النبي صلى الله عليه وسلم الأزمة الاقتصادية التي مرت بدولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، وذلك من خلال ترتيبه للأولويات ، فسد جوع أهل الصفة ضرورة ملحة وأما حاجة علي وفاطمة للخادم ، فليست بمرتبة احتياج أهل الصفة ، فقدم رسول الله أهل الصفة عليهم وكانت وسائل رسول الله في حل الأزمة الاقتصادية كثيرة ، ولقد تأثر والد الحسن بن علي رضي الله عنهما بهذه التربية النبوية ، ويمر الزمن بأمير المؤمنين علي فيصبح خليفة المسلمين ، فإذا به من آثار هذه التربية يترفع عن الدنيا وزخارفها وبيده كنوز

---

1 مسلم رقم ٢٧٢٧ السيرة النبوية للصَّلاَّبي (٩٩/٢) .
2 تطوي : طوى من الجوع ، فهو خالي البطن جائع لم يأكل .
3 البخاري رقم ٣٧٠٥ مسلم رقم ٢٧٢٧ .

الأرض وخيراتها ، لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغمر وجوده ، ولقد حـــافظ على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقد حدثنا عن ذلك فقال : فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن ، فسأله أحد أصحابه : ولا ليلة صفين فقال : ولا ليلة صفين[1] .

سادساً : محبة رسول الله للسيدة فاطمة وغيرته عليها :

عن ثوبان رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر آخر عهده بالمدينة إتيان فاطمة ، وأول من يدخل عليه إذا قدم من سفره فاطمة[2] ، وفي رواية عن أبي ثعلبة الخشني قال : كان رسل الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من غزو أو سافر بدأ بالمسجد فصلى فيـــه ركعتين ، ثم يأتي فاطمة ، ثم يأتي أزواجه[3] ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ولا دّلا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان النبي صلى الله عليه وســـلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[4] ، وفي رواية أنها كانت تقبل يديه[5] ، وعن أسامة بن زيد قال قال : رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : أحب أهل بيتي إليَّ فاطمة[6] ، وقد أراد علي رضي الله عنـــه أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة ، فخطب رسول الله صلى الله عليه

[1] مسلم (٢٠٩٢/٤) .
[2] مسند أحمد (٢٧٥/٥) الدوحة النبوية صـ ٥٦ .
[3] الاستيعاب (٣٧٦/٤) في سنده أبو فروة الرهاوي مضعف ، الدوحة النبوية صـ ٥٦ .
[4] مسلم رقم ٢٤٥٠ صحيح سنن أبي داود رقم ٥٢١٧ .
[5] سنن أبي داود رقم ٥٢١٧ وصححع الألباني صحيح سنن أبي داود (٩٧٩/٣) .
[6] مسند الطيالسي (٢٥/٢) حسن صحيح .

وسلم الناس ، إن في رواية السيدة عائشة للحديث دليل على حقيقة المحبة بين السيدتين وليست كما يدعي المغرضون[1] ، فقال : (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني[2]) ، وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول : بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب ، فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم ، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإنما ابنتي بضعة مني يربني ما رابها ويؤذيني ما آذاها[3] ، وروى الترمذي بسنده إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن علياً ذكر بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويتعبني ما أتعبها[4] ، ومن مناقب السيدة فاطمة ما رواه الحاكم أيضاً بإسناده إلى بريدة رضي الله عنه قال : كان أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ومن الرجال علي[5] ، ولا يفهم من هذا الحديث معارضته لما ثبت في الصحيح من حديث عمرو بن العاص ، أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أحب إليك ؟ قال عائشة قال من الرجال ؟ قال أبوها[6] . فالمراد من هذا الحديث والله أعلم أن فاطمة أحب النساء إليه من أهله وعلي من رجالهم وفي ذلك يقول ابن العربي عند هذا الحديث : كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه

[1] أسمى المطالب فسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (١٣٦/١) .
[2] البخاري رقم ٤١٧٣ .
[3] البخاري رقم ٥٢٣٠
[4] فضائل الصحابة (٧٥٦/٢) رقم ١٣٢٧ إسناده صحيح .
[5] المستدرك ، ك معرفة الصحابة (١٥٥/٣) صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .
[6] البخاري رقم ٤٣٥٨ .

وسلم أبو بكر وأحب أزواجه إليه عائشة ، وأحب أهله إليه فاطمة وعلي من رجالهم وبهذا الترتيب تأتلف الأحاديث ويرتفع عنها التعارض[1] .

سابعاً : صدق لهجتها :

روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم قالت : ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها ألا أن يكون الذي ولدها[2] .

وفي ذلك منقبة ظاهرة لها رضي الله عنها فقد وصفتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تشبه النبي صلى الله عليه وسلم هيئة وطريقة وحسن حال كما كان التزامها للصدق أشبه له فرضي الله عنها وأرضاها[3] .

ثامناً : سيادتها في الدنيا والآخرة :

جاءت الأحاديث الصحيحة عن الصادق المصدوق التي دلت على سيادتها في الدنيا والآخرة ، روى الترمذي بإسناده إلى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيا امرأة فرعون[4] ، وروى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا من

---

[1] عارضة الأحوذي (٢٤٧/١٣ ، ٢٤٨) ، العقيدة في أهل البيت صـ ١٣٧ .
[2] المستدرك (١٦٠/٣ ، ١٦١) صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .
[3] العقيدة في أهل البيت صـ ١٣٦ .
[4] فضائل الصحابة (٢٥٥/٢) رقم ١٣٢٥ صححه الألباني المشكاة (٧٤٥/٣) .

كان من مريم بنت عمران[1] . وقال البخاري : باب مناقب فاطمة رضي الله عنها ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : فاطمة سيدة نساء أهل الجنة[2] .

تاسعاً : الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبي صلى الله عليه وسلم :

قالت عائشة رضي الله عنها : إن فاطمة والعباس رضي الله عنهما أتيا أبو بكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر إني سمعت رسول الله يقول : لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه وسلم من هذا المال[3] ، وفي رواية قال أبو بكر رضي الله عنه : لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به ، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ[4] ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث توفي رسول الله ، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبي بكر ، ليسألنه ميراثهن من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت عائشة رضي الله عنها لهن : أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نورث ما تركنا صدقة[5] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

---

1 فضائل الصحابة رقم ١٣٣٢ إسناده حسن لغيره .
2 البخاري ، ك فضل الصحابة (٢٥٢/٤) .
3 البخاري رقم ٦٧٢٦ .
4 مسلم رقم ١٧٥٩ .
5 البخاري رقم ٦٧٣٠ ، مسلم رقم ١٧٥٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقتسم ورثتي ديناراً ، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهي صدقة[1] ، وهذا ما فعله أبـــو بكـــر الصديق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها امتثالاً لقوله صـــلى الله عليه وسلم ، لذلك قال الصديق لست تاركاً شيئاً كان رسول الله يعمل به إلا عملت به[2] ، وقال : والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يضعه فيه إلا صنعته[3] ، وقد تركت أم الحسن رضي الله عنها منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها ، وفيه دليل على قبولها الحـــق وإذعانها لقوله صلى الله عليه وسلم ، وقد غلا الشيعة في قصة ميراث النبي صلى الله عليه وسلم غلواً مفرطاً مجانبين الحق والصواب ، وقد ناقشتهم في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[4] ، وبينت فيه حقيقة ما وقع بين الصديق والسيدة فاطمة في قضية الميراث .

عاشراً : تسامح السيدة فاطمة مع أبي بكر رضي الله عنه :

وقد ثبت عن فاطمة ــ رضي الله عنها ــ أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك ، وماتت وهي راضية عنه ، على ما روى البيهقي بسنده عـــن الشعبي انه قال : لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الـــصديق ، فاســـتأذن عليها ، فقال علي : يا فاطمة هذا أبو بكر الصديق يـــستأذن عليـــك ؟ فقالت : : أتحب أن آذن له ؟ قـــال : نعم ، فأذنت له فـــدخل عليهـــا يترضاها ، فقال : والله ما تركت الدار والمال ، والأهل والعـــشيرة ، إلا

---

[1] البخاري رقم ٦٧٢٩ .
[2] مسلم رقم ١٧٥٨ .
[3] البخاري رقم ٦٧٢٦ .
[4] أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي (١٩٩/١) .

ابتغاء مرضاة الله ، ومرضاة رسوله ، ومرضاتكم أهل البيت ، ثم ترضاها حتى رضيت[1] ، قال ابن كثير : وهذا إسناد جيد قوي والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي[2]وهـذا تنـدحض مطـاعن الشيعة على أبي بكر التي يعلقونها على غضب فاطمة عليه ، فلئن كانت غضبت في بداية الأمر فقد رضيت بعد ذلك وماتت وهي راضية عنـه ، ولا يسع أحد صادق في محبته لها ، إلا أن يرضى عمن رضيت عنه[3] ، ولا يعارض هذا ما ثبت في حديث عائشة : إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه وسلم هذا المال ، وأني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صـلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فـأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئاً ، فوجدت فاطمة على أبي بكـر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت[4] ، فإن هذا بحسب علم عائشة ـــ رضي الله عنها ، رواية الحديث وفي حديث الشعبي زيادة علم ، وثبوت زيادة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه ، فعائشة رضي الله عنـها ـــ نفت والشعبي أثبت ، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافي ، لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم النافي ، خصوصاً في مثـل هذه المسألة ، فإن عيادة أبي بكر لفاطمة ـــ رضي الله عنها ـــ ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس ، ويطلع عليها الجميع ، وإنما هـي من الأمور العادية التي قد تخفى على من لم يشهدها ، والتي لا يعبأ بنقلها

---

1 السنن الكبرى للبيهقي (٣٠١/٦) .
2 البداية والنهاية (٢٥٣/٥) .
3 الانتصار للصحب والآل صـ ٤٣٤ .
4 البخاري رقم ٤٢٤٠ ، رقم ١٧٥ .

لعدم الحاجة لذكرها . على أن الذي ذكره العلماء أن فاطمة ـــ رضـــي الله عنها ـــ لم تتعمد هجر أبي بكر ـــ رضي الله عنه تلك الفترة أصلاً ، ومثلها يتره عن ذلك لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الهجـــر فـــوق ثلاث ، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك[1] ، قال القرطبي صاحب المفهم في سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم : ثم أنها (أي فاطمة) لم تلتق بأبي بكر لشغلها بمصيبتها برسول الله صلى الله عليه وسلم ولملازمتها بيتـــها فعبر الراوي عن ذلك بالهجران ، وإلا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث[2] ، وهي أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم ، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم كيف لا يكون كذلك وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وسيدة نساء أهل الجنة[3] .

لقد انشغلت فاطمة رضي الله عنها عن كل شئ بحزنها لفقدها أكرم الخلق ، وهي مصيبة تزري بكل المصائب ، كما أنها انـــشغلت بمرضـــها الذي ألزمها الفراش عن أية مشاركة في أي شأن من الشئون فضلاً عـــن لقاء خليفة المسلمين المشغول بكل لحظة من لحظاته ، بـــشئون الأمـــة ، وحروب الردة وغيرها ، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها فقـــد أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها أول من يلحق به من أهله[4] ، ومن كان في مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا ، وما أحـــسن قـــول المهلب الذي نقله العيني ، ولم يرو أحد أنهما التقيا وامتنعا عن التـــسليم

---

[1] الانتصار للصحب والآل صـ ٤٣٤

[2] البخاري رقم ٦٠٧٧ .

[3] المفهم (٧٣/١٢) .

[4] مسلم رقم ٢٤٥٠ .

وإنما لازمت بيتها ، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران[1] ، وقد دل على ذلك زيارة أبي بكر لها وترضيته لها كما مر معنا .

الحادي عشر : وفاة السيدة فاطمة رضي الله عنها :

ومما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبي بكر أسماء بنت عميس هي التي كانت تمرض فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها في مرض موتها ، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة وشاركت في غسلها وترحيلها إلى مثواها الأخير ، وكان علي رضي الله عنه يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رضي الله عنها ، وقد وصتها بوصايا في كفنها ودفنها وتشيع جنازتها ، فعملت أسماء بها[2] ، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها ، فقالت أسماء يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً ، فقالت فاطمة ما أحسن هذا وأجمله ، به تعرف المرأة من الرجال[3] ، وعن ابن عبد البر : فاطمة رضي الله عنها أول من غطى نعشها في الإسلام ، ثم زينب بنت جحش وكان الصديق دائم الاتصال بعلي من ناحية ليسأله عن أحوال بنت النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ما يزعمه القوم ، فمرضت ، أي فاطمة رضي الله عنها وكان علي يصلي في المسجد الصلوات الخمس ،

---

[1] أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ صـ ١٠٨ .
[2] الشيعة وأهل البيت صـ ٧٧ .
[3] الاستيعاب (٣٧٨/٤) .

فلما صلى قال له أبو بكر وعمر : كيف بنت رسول الله ؟ ومن ناحية أخرى كان الصديق يسأل زوجته أسماء بنت عميس حيث كانت هي المشرفة والممرضة الحقيقية لها ، ولما قبضت فاطمة من يومها ، فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان علياً ويقولان : يا أبا الحسن ، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله[1] ، وقد توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة ، عن مالك بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين ، قال : ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم ، فلما وضعت ليصلى عليها ، قال علي تقدم يا أبا بكر ، قال أبو بكر رضي الله عنه : وأنت يا أبا الحسن ؟ قال : نعم فوالله لا يصلي عليها غيرك ، فصلى عليها أبو بكر رضي الله عنه ودفنت ليلاً وجاء في رواية : صلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه على فاطمة بنت رسول الله فكبر عليها أربعاً[2] ، وفي رواية مسلم صلى عليها علي بن أبي طالب وهي الرواية الراجحة[3] وأما ما يوجد في بعض الكتب الشيعية من كون السيدة فاطمة أوصت علي رضي الله عنهما ، بأن لا يقوم على قبرها أحد من الذين ظلموها وجحدوا حقها لأنهم أعداؤها وأعداء أبيها ، فهذا من الأباطيل ، ولا تصح رواياته ، بل هي موضوعة ، مثل التي ذكرها صاحب كتاب حياة الإمام الحسن بن علي[4] .

[1] الشيعة وأهل البيت صـ ٧٧ ، كتاب سليم بن قيس صـ ٢٥٥ .
[2] المختصر من كتاب الموافقة صـ ٦٨ في سنده ضعف .
[3] مسلم رقم ١٧٥٩ .
[4] حياة الإمام الحسن بن علي ، باقر القرشي (١٦٤/١) .

وهذه أبيات رقيقة وعذبة قالها محمد إقبال في قصيدته العـــصماء في السيدة فاطمة رضي الله عنها :

نسب المسيح بـــنى لمريـــم ســـــيرة

بقيت على طـــول المـــدى

ذكرها

والمجـــد يشـــرف فـــي ثلاث مطالع

في مهـــد فاطمـــة فمـــــا

أعـــلاها

هي بنت من هي زوج من هي أم من

من ذا يداني فـــي الفخـــار

أباها

هي ومضة مـــن نور عين المصطفي

هـــادي الشعوب إذا تـــروم

هداها

من أيقظ الفطر النيـــام بروحـــــه

وكأنـــه بعـــــد البـــــلى

أحيــــــاها

وأعـــاد تـــاريخ الحيـــاة جديـــدة

مثـــل العرائس في جديـــد

حلاها

هـــي أســـوة للأمهات وقـــــدوة

يترسـم القمـر المـنير

خطـاها

جعلت مـن الصبر الجميل غذاءها

ورأت رضى الزوج الكـريم

رضاها

إلى أن قال :

لولا وقوفي عنـد شرع المصطفى

وحدود شرعته ونحـن

فداها

لمضيت للتطواف حول ضريحها

وغمرت بـالقبلات طيـب

ثراها

وقال في قصيدة في بيان أن السيدة فاطمة أسوة للنساء المسلمات :

وهي أم السَّيدينِ الأكرمين

حسنٍ خيرِ حليم وحسين

ذا سراج في ظلام الحَرم

حافظ وحدة خير الأمم

ازدرى الملك ابتغاء الألفة

أطفأ النِّيران بين الإخوة

ذاك فـــي الأبـــــرار ربُّ العَلَمِ

أسوةُ الأحرار في الخَطْــــب

العَمي

ســـيرةُ الأولاد صنعُ الأمهـــات

وخلالُ الخـــير طبـــــــع

الأمَّهات

زهرةٌ في روضة الصدق البتول

أســـوة النِّـــسوة في الحـــق

البتول

نُشِّئت ما بين صبر ورضـــــــا

في الفَمِ القـــرآنُ والكـــفَّ

الرَّحَي

دمعهـــا من خشية الله جـــرى

في مصلاَّها يفـــوق الجوهرا[١]

المبحث الثالث : مكانة الحسن عند جده الحبيب المصطفى صـــلى الله عليه وسلم :

كانت بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمولد الحـــسن عظيمـــة ، وكان صلى الله عليه وسلم يحمله ويداعبه ، ويـــدعوه ليتـــسلق صـــدره ويلعب معه ، وترعرع الحسن رضي الله عنه في حجر النبوة ، ولاحظتـــه

[1] ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة ، سيد عبد الماجد غوري (١/٢٣٥ ، ٢٣٦) .

عين الرعاية النبوية ، والعناية المصطفوية ، من ولادته حتى يفاعته ، لاسيما شبهه بالنبي صلى الله عليه وسلم ظاهر في محيَّاه وأساريره ، وقد تمتع الحسن رضي الله عنه بمكانة كبيرة وتقدير عال من جده الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وهذا ليس لكونه سبطه فحسب ، بل لما تحمله نفس الحسن رضي الله عنه من صفات طيبة وخلق عال وتواضع كريم[1] ، وهذه بعض الأحاديث والمواقف التي تبين مكانة الحسن عند جده صلى الله عليه وسلم .

أولاً : محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمته بالحسن وملاعبته له :

١ ــ **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب الحسن والحسين فقد أحبَّني ومن أبغضهما فقد أبغضني[2]

٢ ــ **وعن عبد الله بن مسعود** قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصلي والحسن والحسين يثبان على ظهره ، فيباعدهما الناس فقال دعوهما ، بأبي هما وأمي ، من أحبني فليحب هذين[3] .

٣ ــ **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحسن : اللهم إني أحبه ، فأحبه ، وأحب من يحبه[4] قال أبو هريرة : فما رأيته إلا دمعت عيناي[5] .

---

1 الحسن بن علي سيرته ودوره السياسي والإداري ، فتيخان كردي صـ ٤٥ ، الدوحة النبوية الشريفة صـ ٧٢ .

2 سنن النسائي رقم ٨١٦٨ قام الشيخ عثمان الخميسي بتخريج الحديث وحكم على درجته بأنه حسن لذاته في رسالته أحاديث بشأن السبطين صـ ٣١٢ .

3 أحاديث بشأن السبطين صـ ٢٩٣ عثمان الخميس ، حديث حسن .

4 مسند أحمد (٢٤٩/٢ ، ٣٣١) سنده صحيح .

5 الدوحة النبوية الشريفة صـ ٧٤ .

٤ ــ **وعن البراء بن عازب** قال : رأيت الحسن بن علي على عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : اللهم إني أحبه فأحبه[1] .

٥ ــ **وعن عليّ** رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين وقال : من أحبَّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمَّهما كان معي في درجتي يوم القيامة أخرجه أحمد والترمذي وقال : كان معي في الجنَّة وقال حديث غريب[2]

٦ ــ **وعن يعلى بن مرة** قال : جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أحدهما قبل الآخر ، فجعل يدَه في عنقه فضمَّه إلى بطنه وقبَّل هذا ثم قبَّل هذا ثم قال : إني أحبُّهما ، فأحبوهما . أيها الناس : الولد مبخلة مجبنة[3]

٧ ــ **عن إسرائيل** قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أحبَّ الحسن والحسين فقد أحبَّني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني[4] .

٨ ــ **عن زهير بن الأقمر** قال : قال رجل من الأزد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للحسن بن علي : من أحبَّني فليُحبه ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب . ولولا عزمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدّثْتُكم[5]

---

1 مسلم رقم ٢٤٢٢ .

2 مسند أحمد (٧٧/١) ، سنن الترمذي رقم ٣٧٣٤ ، سير أعلام النبلاء (٢٥٤/٣) ثم قال : إسناده ضعيف ، والمتن منكر وأورده في الميزان (١١٧/٣) .

3 مسند أحمد (١٧٢/٤) ، سنن ابن ماجة رقم ٣٦٦٦ في الأدب وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات : أنظر : سير أعلام النبلاء (٢٥٥/٣) .

4 ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى صـ ٢١٥ ، المسند (٢٨٨/٥) ، تاريخ دمشق (٢٦/١٤) .

5 مستدرك (١٧٣/٣ ـ ١٧٤) ، سير أعلام النبلاء (٢٥٣/٣ ، ٢٥٤) ، إسناده صحيح .

٩ ــ وعن أسامة بن زيد ــ رضي الله عنهما ــ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه ، ويقعد الحسن علـى فخذه الأخرى ويقول : اللهمَّ إني أرحمهما فرْحمهما[1]

١٠ ــ وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : دخل الأقـرع بـن حابس على النبي صلى الله عليه وسلم فرآه يقبِّل إما حسناً وإما حـسيناً فقال : تقبِّله ، ولي عشرة من الولد ما قبَّلت واحداً منهم : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ[2] .

١١ ــ عن معاوية بن أبي سفيان ــ رضي الله عنه ــ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصُّ لسان الحسن أو شفته ، وإنَّه لـن يُعَـذَّبَ لسانٌ أو شفتان مصَّهما رسول الله[3] . ورواية معاوية للحديث يدل على محبته للحسن .

١٢ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه لقِيَ الحسن بن عليٍّ في بعض طرق المدينة فقال له : أكشف لي عن بطنك ــ فداك أبي ــ حتى أقبِّـل حيث رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبِّلُه . قال : فكشف عـن بطنه ، فقبَّل سرته[4]

١٣ ــ عن عكرمة عن أبي عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم حاملاً الحسن بن علي رضي الله عنهما على عاتقه ، فقال رجل : نعـم

[1] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤١٥/١٥) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى صـ ٢١٦ .
[2] مسلم رقم ٢٣١٨ .
[3] مسند أحمد (٩٣/٤) ، إسناده صحيح ، سير أعلام (٢٥٩/٣) .
[4] المستدرك (١٦٣/٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

المركب ركبت يا غلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ونعم الراكب هو[1] .

١٤ ــ وعن أبي الزبير ، عن جابر قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو على أربع والحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره يحبو بهما في البيت وهو يقول : نعم الجمل جملكما ، ونعم العِدْلان أنتما[2] .

١٥ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره ، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما على الأرض ، فإذا عاد عادا حتى يقضي صلاته[3] .

١٦ ــ حدثنا ابن بريدة عن أبيه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إذ أقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران إذ نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فرفعهما إليه وقال : صدق الله : ((**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**)) (التغابن ، آية : ١٥) نظرت إلى هذين الصبيين يمضيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما[4] .

١٧ ــ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتى جاء

---

1 الشريعة للآجري (٥٢١٦٠)إسناده ضعيف

2 الشريعة للآجري (٥٢١٦٠)إسناده ضعيف فيه مسروح أبو شهاب : تكلم فيه ، قال العقيلي : لا يتابع عليه ـ أي هذا الحديث وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن مسروح وعرضت عليه بعض حديثه فقال : يحتاج إلى التوبة من حديث باطل رواه عن الثوري . وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج بخبره لمخالفته الإثبات في كل ما يوري . المجروحين (١٩/٣) ، الميزان (٩٧/٤) .

3 الشريعة (٢١٦١/٥) إسناده ضعيف فيه محمد بن عيسى بن حيان المدائني . قال الدارقطني : ضعيف متروك .

4 الشريعة للآجري (٢١٦٢/٥) .

سوق بني قينقاع ثم انصرف حتى أتي خباء[1] فاطمة فقال : أثم لكـــع[2] أثم لكع يعني ((حسناً)) فظننا أنه إنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخابا[3] ، فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه[4] .

١٩ ـــ وعن سلمة بن الأكوع قال :لقد قُدت بنبي الله صلى الله عليـــه وسلم والحسن والحسين بغلته الشهباء حتى أدخلتهم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم هذا قدامه ، وهذا خلفه[5] ، فمن هذا المعين فليتعلم الآباء المحبة وليغترفوا العطف والحنان على الأبناء ، وفيها الشئ الكثير من هدي النبي صلى الله عليه وسلم لمحبته للحسن ورحمته به وملاعبته وفيها إرشاد نبوي للمسلمين في كيفية بناء نفس الطفل وتكوينه ، وفيها إجابة لهذا السؤال المهم كيف نبني عاطفة الطفل ؟ ونؤدي له حقه ليكون إنساناً ســـوياً في مستقبله ؟ فقد أشارت الأحاديث النبوية إلى مجموعة من الأســـس الـــتي بتطبيقها نسير على هدى ونور بيّن .

أ ـــ الأساس العاطفي الأول : القُبلة والرأفة والرحمة للأطفال :

إن للقبلة دوراً فعالاً في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته ، كما أن لها دوراً كبيراً في تسكين ثورانه وغضبه ، بالإضافة إلى الـــشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير ، وهـــي

---

[1] خباء فاطمة : أي بيتها .
[2] لكع : يريد به الصغير ، وإذا قيل للكبير ، فمعناه قليل العلم .
[3] السخاب : القلادة ، وجمعه سُخُب ، ويصنع من القرنفل والعود والسك وغير ذلك ، وقيل : خيط فيه خرز .
[4] مسلم (١٨٨٢/٤ ـ ١٨٨٣) .
[5] مسلم رقم ٢٤٢٣ .

دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ ، وهي برهـــان علـــى تواضع الكبير للصغير ، وهي النور الساطع الذي يبهر فؤاد الطفل ، ويشرح نفسه ويزيد من تفاعله مع من حوله ، ثم هي أولاً وأخـــيراً السنة الثابتة في المصطفى صلى الله عليه وسلم ــ مع الأطفال[1] ، وإن الرحمة بالأطفال والشفقة عليهم صفة من صفات النبوة المحمدية وهي طريق لدخول الجنة والفوز برضوان الله تعالى .

ب ــ الأساس الثاني ــ المداعبة والممازحة مع الأطفال :

وقد بينا بعض الأحاديث النبوية التي تدل على ذلك وفيهـــا دروس وعبر من هدي النبي صلى الله عليه وســـلم في مداعبـــة الأطفال ، تارة بالحمل وأخرى بالمضاحكة .. وإلى غير ذلك وقد اقتدى الصحابة رضوان الله عليهم برسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم ، فسارعوا إلى ممازحة ومداعبة أطفالهم ويترلون منازلهم ، ويتصابون لهم ويلاعبونهم ، وقد قال عمر رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالـــصبي ــ أي في الأنـــس والبـــشر وسهولة الخلق والمداعبة مع أولاده . وكان رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يلاعب الحسن والحسين رضي الله عنهما .

وبهذه المداعبة والملاعبة ، كان تعامل رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ــ مع الأطفال وهو يغذي نفوسهم بهـــذه العاطفـــة الصادقة الطيبة ، بعيداً عن الجفاء والقسوة وعدم إعطاء الطفـــل حقه[2]

[1] منهج التربية الإسلامية للطفل ١٧٩ .
[2] منهج التربية النبوية صـ ١٨٤ .

جـ ـ الأساس العاطفي الثالث : الهدايا والعطايا :

للهدايا أثر طيب في النفس البشرية عامة ، وفي نفوس الأطفال أكثر تأثيراً وأكبر وقعاً ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين لنا عملية هذا الركن القوي في بناء عاطفة الطفل وتحريكها وتوجيهها وتهذيبها ، وقد بينا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابنة خالة الحسن بن علي ، أمامة بنت أبي العاص من بنت رسول الله زينب ، فعن عائشة رضي الله عنها أن النجاشي أهدي للنبي صلى الله عليه حِلْية فيها خاتم من ذهب فصّه حبشي ، فأخذه ، وإنه لمعرض عنه ، فأرسله إلى ابنة ابنته زينب ، وقال : تَحلِّي بهذا يا بنية[1] .

ح ـ الأساس الرابع : مسح رأس الطفل :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يداعب عواطف الأطفال بمسح رؤوسهم فيشعرون بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف الأمر الذي يشعر الطفل بوجوده وحب الكبار له ، واهتمامهم به وعن مصعب بن عبد الله قال : عبد الله بن ثعلبة ولد قبل الهجرة بأربع سنين وحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح وجهه وبرك عليه عام الفتح وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة[2] .

خ ـ الأساس الخامس ـ حسن استقبال الطفل :

---

[1] سنن ابن ماجة رقم ٣٦٤٤ ، الدوحة النبوية الشريفة صـ ٤٣ .
[2] مستدرك الحاكم (٣٧٩/٣) .

إن اللقاء مع الطفل لا بد منه وأهم ما في اللقاء اللحظات الأولى ، فإذا كان اللقاء طيباً استطاع الطفل متابعة الحـــديث وفتح الحوار والتجاوب مع المتكلم ، فيفتح قلبه وما يـــدور في خاطره ويعرض مشاكله ويتحدث عن أمانيه ، كل ذلك يحصل إذا أحسن استقبال الطفل بفرح وحب ومداعبة[1] ، وعن عبـــد الله بن جعفر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا قدم مـــن سفر تلقى الصبيان من أهل بيته ، وأنه جاء من سفر ، فسبق بي إليه ، فحملني بين يديه ثم جـــئ بأحد ابني فاطمة الحسن والحسين رضي الله عنهما فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة[2] .

س ــ الأساس السادس ــ تفقد حال الطفل والـــسؤال عنه:

كثيراً ما يمشي الطفل وحده فيضل الطريـــق ويتيـــه في الشارع ، فإذا كان الوالدان مهتمين بحال الطفل تنبها ســـريعاً لشروده ، وتم تتبع أثر الطفل والعثور عليه بأسرع مـــا يمكـــن والعكس بالعكس وهذه السرعة تلعب دوراً كـــبيراً في نفـــس الطفل فالتأخير عليه يزيد من مخاوفه وآلامه وبكائه ويشتد عذابه النفسي كلما زادت فترة تأخر وصول أحد والديه إليـــه لهـــذا سارع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأمـــر أصـــحابه

[1] منهج التربية النبوية للطفل صـ ١٨٥ .
[2] مسلم رقم ٢٤٢٨ ، سير أعلام النبلاء (٤٥٨/٣) .

بمساعدته والانتشار في الطرقات حتى يتم العثور على الحسن والحسين[1] ، فقد روى الطبراني عن سلمان رضي الله عنه قال : كنا حول رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فجاءت أم أيمن رضي الله عنهما فقالت : يا رسول الله لقد ضل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، قال : وذاك وأد النهار ـــ يقول ارتفاع النهار ـــ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ـــ قوموا فاطلبوا ابني وأخذ كل رجل وجهة وأخذت نحو النبي صلى الله عليه وسلم ـــ فلم يزل حتى سفح جبل وإذا الحسن والحسين رضي الله عنهما ملتزق كل واحد منهما صاحبه . وإذا شجاع ـــ أي حية الذكر وقيل الحية مطلقاً ـــ قائم على ذنبه يخرج من فيه شرار النار ، فأسرع إليه رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فالتفت مخاطباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ ثم انساب ـــ أي جرى ـــ فدخل بعض الأحجار ثم أتاهما ، فأفرق بينهما ثم مسح وجوههما وقال : بأبي وأمي أنتما ما أكرمكما على الله ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر ، فقلت : طوبى لكما نعم المطية مطيتكما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ ونعم الراكبان هما ، وأبوهما خير[2] منهما فأنت تلاحظ الخوف الذي حصل للحسن والحسين حيث التزق كل واحد بالآخر خائفاً من الحيَّة ، ومسارعة الرسول ـــ صلى

[1] منهج التربية النبوية للطفل صـ ١٨٦ .
[2] معجم الطبراني (٦٥/٣) رقم ٢٦٧٧ وفي المجمع (١٨٢/٩) وفيه أحمد بن راشد الهلالي وهو ضعيف ، ضعفه الذهبي في المغنى (٣٩/١) .

الله عليه وسلم ـــ لفك هذا الخوف ثم التفريـــق بينـــهما .. ثم مسح وجههما ـــ ثم دعا لهما ثم أكرمهما بحملهما على عاتقه ثم مدحهما ، بقوله : ونعم الراكبان هما وما ذلك إلا من شدة حبه وحرصه واهتمامه بالحسن والحسين[١]

ش ـــ الأســـاس السابع : لعب الكبار مـــع الـــصغار والأطفال :

كان النبي صلى الله عليه وسلم ـــ وهو الرسول القائد ـــ يلعب مع الحسن والحسين ـــ كما مرّ معنا ـــ وما هذا إلا ليربي الوالدين والكبار ، وليقتدوا به ويلعبوا مع أطفالهم ، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشجع الحسن علـــى الحسين فعن أبي عباس قـــال : اتَّحد الحسن والحـــسين عنـــد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول : هي يا حسن ، خذ يا حسين ، فقالت عائشة : تعين الكبير ؟ قال إن جبريـــل يقول : خذ يا حسين[٢] ، وجاء في رواية ضعيفة عن جعفر بـــن محمد عن أبيه قال : قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع الجنائز ، فطلع الحسن والحسين فاعتركا ، فقال النبي صـــلى الله عليه وسلم : إيها حسن . فقال عليٌّ : يا رسول الله : أعلـــى حسين تواليه ؟ فقال : هذا جبريل يقول : إيها حسين[٣] ، فأنت شاهدت أنواعاً مختلفة من لعبه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مـــع

[1] منهج التربية النبوية للطفل صـ ١٨٧ .
[2] سير أعلام النبلاء (٢٦٦/٣) إسناده حسن .
[3] سير أعلام النبلاء فيه انقطاع ضعيف جداً وقوله : إيها معناه التحريض والتشجيع والاستحسان والأصل فيها أنها للكف أنظر سير أعلام النبلاء (٢٨٤/٣) .

الحسن والحسين وما ذاك إلا ليدلك النبي صلى الله عليه وسلم ـ إلى فكرة التنوع في اللعب مع الأطفال ، وأنت لاحظت أيضاً ثناءه ومدحه لهما في اللعب وذلك ليزيد من نشاطهما النفسي في اللعب فيستمران بلا كلل ولا تعب ويتابعان اللعب بحب وشغف وذلك ليكون غذاء جسمياً ونفسياً في آن واحد[1] ، كما أن اللعب للأطفال فيه مجموعة من الفوائد والقيم منها جسدية ، وتربوية ، واجتماعية ، وخلقية ، وذاتية ، وعلاجية[2] ..الخ .

ثانياً : شبه الحسن بن علي رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم :

١ ـ عن أبي خالد ، قال : قلت لأبي جُحَيْفَة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم : كان أشبه الناس به الحسن بن علي[3] .

٢ ـ عن عقبة بن الحارث ، قال : إني لمع أبي بكر إذ مرَّ على الحسن بن علي فوضعه على عنقه ثم قال : بأبي شِبْهَ النبي لا شبيهاً بعلي قال : وعلي معه فجعل علي يضحك[4] ، وفي رواية أخرى عن عقبة بن الحارث ، قال : خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بليال وعلي يمشي إلى جنبه فمر بحسن بن علي وهو يلعب مع غلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول : وبأبي شبه النبي ليس بشبه بعلي

---

[1] منهج التربية النبوية للطفل صـ ٢٠٩ إلى ٢١٦ .
[2] المصدر نفسه صـ ٢١٦ .
[3] الطبقات الكبرى ، الطبقة الخامسة من الصحابة (٢٤٥/١) أخرجه البخاري رقم ٣٥٤٤ إسناده صحيح .
[4] البخاري رقم ٣٧٥٠ .

وعلي يضحك[1] ، ونرى حقيقة المحبة والانسجام بين أبي بكر وعلي وهذا ما تؤكده هذه الرواية الصحيحة ليس كما يدعي بعض الناس .

٣ ــ عن هانئ بن هانئ ، عن علي قال : الحسن أشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل ذلك[2] .

٤ ــ عن عاصم بن كليب ، قال : حدثني أبي ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رآني في النوم فقد رآني فإن الشيطان لا ينتحلُني . قال أبي : فحدثته ابن عباس وأخبرته أني قد رأيته[3] ، قال : رأيته ؟ قلت : أي والله لقد رأيته ، قال : فذكرت الحسن بن علي ؟ قال إي والله ، لقد ذكرته وتَفَيّئه[4] في مشيته[5] . قال ابن عباس : إنه كان يُشبهُهُ[6] .

٥ ــ عن البهي مولى الزبير قال : تذاكرنا من أشبه النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته ؟ فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال : أنا أحدثكم بأشبه أهله به ،أحبهم إليه ، الحسن بن علي ، رأيته يجئ وهو ساجد فيركب رقبته ، أو قال ظهره ، فما يتزله حتى يكون هو الذي يتزل ، ، ولقد رأيته يجئ وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر[7] .

---

[1] الطبقات ، الطبقة الخامسة من الصحابة (٢٤٧/١) إسناده صحيح .
[2] الطبقات ، الطبقة الخامسة (٢٤٧/١) إسناده ضعيف .
[3] أي رأي النبي صلى الله عليه وسلم في المنام .
[4] تفيئه : أي تحركه يميناً وشمالاً أنظر : لسان العرب (١٢٥/١) .
[5] الطبقات ، الطبقة الخامسة (٢٤٨/١) .
[6] المصدر نفسه (٢٤٨/١) إسناده حسن .
[7] المصدر نفسه (٢٤٩/١) إسناده ضعيف .

٦ ــ قال قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أخبرني أنس قال : لم يكن أحد أشْبَه بالنَّبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي[1] وعنه قال : كان الحسن بن علي من أشبههم وجهاً بالنبي صلى الله عليه وسلم[2] .

٧ ــ عن فاطمة بنت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنها أتــت بالحسن والحسين إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في شــكواه الذي توفِّي فيه ، فقالت : يا رسول الله هذان ابناك ، فورِّثهما شــيئاً . فقال : أما الحسن فله هيبتي وسُؤدُدِي وأمّا حُسينٌ فله جُرأتي وجُودِي[3] .

٨ ــ وعن أبي مليكة قال كانت فاطمة رضي الله عنها تنقــر الحــسن وتقول بني شبيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بشبيه علي[4] رضي الله عنهما .

٩ ــ وممن يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم : جعفر بن أبي طالب ، والحسن بن علي ، وأبو سفيان بن الحارث ، وقثم بن العباس ، والسائب بين عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب[5] .

١٠ ــ عن أبي اسحاق أنه سمع هبيرة بن يَرِيم أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول : من سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين عنقه إلى وجهه وشعره فلينظر إلى الحسن بن علي ومن ســرّه أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بــين عنقــه إلى كعبه خلقاً فلينظر إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما[6] .

---

[1] الصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوي صـ ٢٦٣ .

[2] ذخائر ذوي القربى صـ ٢٢١ .

[3] الأحاديث الواردة بشأن السبطين صـ ٢٨٧ قال الشيخ عثمان الخميس : في ضوء دراسة إسناد الحديث تبين أنه ضعيف جداً لمكان محمد بن حميد وإبراهيم بن علي صـ ٢٨٩ .

[4] مجمع الزوائد (١٧٦/٩) مرسل وفيه زمعة بن صالح وهو لين .

[5] التبيين في أنساب القرشيين صـ ١٠٢ .

[6] الشريعة للآجري (٢١٤٦/٥) .

ثالثاً : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة :

١ ــ عن حذيفة قال : سألتني أُمِّي منذ متى عهدك بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فقلت لها : منذ كذا وكذا . قال : فنالت منِّي وسبَّتني . قال : فقلت لها : دَعيني فإنِّي آتي النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ــ فأُصلي معه المغرب ، ثمَّ لا أدعه حتّى يستغفر لي ولك ، قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصليت معه المغرب ، فصَلَّى النبي العشاء ثم انفتل فتبعته فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب ، فاتبعته فسمع صوتي : فقال : : من هذا ؟ فقلت : حذيفة . قال : ما لك ؟ فحدثته بالأمر ، فقال : غفر الله لك ولأُمِّك ــ ثم قال : أمّا رأيت العارض الذي عرض لي قُبْيلُ ؟ قال : قلت : بلى . قال : فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة ، فاستأذن ربَّه أن يُسلم عليَّ ويبشرني أن الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة[1] .

٢ ــ عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة[2] .

٣ ــ عن الحكم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ويحي بن زكريا عليهما السلام[3] ، وقد قام الشيخ

---

[1] مسند أحمد (٣٩١/٥) الحديث فيه المنهال بن عمرو تكلم فيه بعضهم لترك شعبة له ولكنه مقبول الحديث على الصحيح ثم هو قد توبع من قبل عدي بن ثابت وعاصم وهما وإن كان في الطريقين عنهما كلام إلا أنه يمكن أن يقوي بعضمهما أنظر : الأحاديث الواردة بشأن السبطين صـ ١٧٦ .

[2] الأحاديث الواردة بشأن السبطين صـ ١٨٢ حسن لغيره .

[3] الشريعة للآجري (٢١٤٤/٥) إسناده حسن .

عثمان الخميس بدراسة طرق هذا الحديث وبين أنه روي عن ستة عشر صحابياً[1] ، وقال والحديث سئل عنه أحمد بن حنبل ، فقال صحيح[2] ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ، وقال : في أسانيده كلها ضعف[3] ، وقال الذهبي : روِيَ من وجوه يُقوِّي بعضها بعضاً[4] . ثم قال عثمان الخميس : والذي يظهر لي أنه يمكن الجمع بين أقوال هؤلاء الأئمة ، فهو كما قال الحافظ ابن كثير : في أسانيده كلها ضعف . انتهى ، وبعضها حسن وبعضها حسن لغيره ، فيقويٍّ بعضها بعضاً ، كما قال الحافظ الذهبي وبالتالي فهو صحيح كما قال الإمام أحمد ولكن لغيره[5] والله أعلم .

رابعاً : هما ريحانتايَ من الدنيا :

عن أبي نُعيم ، قال : سمعت عبد الله بن عمر وسأله عن المُحْرِمِ ـ قال شعبه أحسبه يقتل الذباب ـ فقال أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسل الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال النبي صلى الله عليه وسلم ـ : هما ريحانتايَ من الدنيا[6] ، وعن الحسن ، عن أبي بكرة قال : رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما يثبان على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فيمسكهما بيده حتى إذا استقر على الأرض تركهما ، فلما صلى أجلسهما في حجره ثم مسح رؤوسهما ، ثم

---

1 الأحاديث الواردة بشأن السبطين صـ ٢١١ .
2 السؤال رقم ١٢٤ المنتخب من العلل للخلال ، لابن المقدسي .
3 البداية والنهاية (٢٠٨/٨) .
4 سير أعلام النبلاء (٢٨٣/٣) .
5 الأحاديث الواردة شأن السبطين صـ ٢١٢ .
6 البخاري رقم ٣٧٥٣ .

قال : إن ابنيَّ هذين ريحانتاي من الدنيا ثم أقبل على الناس فقال : إن ابني هذا سيد ، وأرجو أن يصلح الله عز وجل به بين فئتين عظيمتين في آخر الزمان[1] ، قال محمد بن الحسين الآجري : يعني به الحسن رضي الله عنه[2] ، وعن أبي بكرة قال : كان النبي يصلي ، فكان إذا سجد جاء الحسن فركب ظهره ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه أخذه فوضعه على الأرض وضعاً رفيقاً ، فإذا سجد ركب ظهره ، فلما صلى أخذه فوضعه في حجره ، فجعل يقبله ، فقال له رجل : أتفعل بهذا الصبي هكذا ؟ فقال : إنهما ريحانتاي ، وعسى الله عز وجل أن يصلح به بين فئتين من المسلمين[3] .

خامساً : سيادته في الدنيا والآخرة :

أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة الحسن بن علي رضي الله عنه وبين جلالة قدره ، على مرأى ومسمع من الناس في غير ما مرة وقد تواترت الروايات بقوله صلى الله عليه وسلم عن الحسن ، وإن ابني هذا سيد ، قال بن عبد البر : وتواترت الآثار الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الحسن بن علي : إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين[4] ، ورواه جماعة من الصحابة ، وفي حديث أبي بكرة في ذلك : وأنه ريحانتي من الدنيا ، ولا أسود ممن

---

1 صحيح ابن حبان رقم ٦٩٦٤ .
2 الشريعة للآجري صـ ٢١٥٧ .
3 الشريعة للآجري صـ ٢١٥٧ إسناده حسن .
4 مسند أحمد (٥١/٥) والبخاري بنحوه (٢٤٤/٣) .

سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدا[1] . وعن أبي بكرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ، والحسن إلى جنبه ينظر إلى النـــاس مرة وإليه مرة ويقول : إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح بيه فئتين من المسلمين[2] ، فهذا الحديث فيه منقبة للحسن رضي الله عنه فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيد . قال ابن الأثير : قيل أراد به الحليم لأنـــه قال في تمامة : وإن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[3] . وجاء في تحفة الأحوذي " فيه أن السيادة لا تختص بالأفضل بل هو الرئيس على القوم والجمع سادة وهو مشتق من السؤدد وقيل من السواد لكونه يرأس على السواد العظيم من الناس : أي الأشخاص الكثيرة ولعل الله أن يصلح به بين فئتين تثنيه فئة وهي الفرقة[4] ، ووصفه عليه الصلاة والسلام للفئتين بالعظيمتين ، كما في راوية عند البخاري[5] ، لأن المسلمين كانوا يومئــذ فرقتين فرقة مع الحسن رضي الله وفرقة مع معاوية وهذه معجزة عظيمـــة من النبي صلي الله عليه وسلم حيث أخبر بهذا فوقع مثل ما أخبر ، وأصل القضية أن عليّ بن أبي طالب لما ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيـــت مـــن رمضان سنة أربعين من الهجرة وبويع لابنه الحسن بالخلافـــة في شـــهر رمضان من هذه السنة وأقام الحسن أياماً مفكراً في أمره ثم رأى اختلاف الناس فرقة من جهته وفرقة من جهة معاوية ولا يستقيم الأمـــر ، ورأى

---

1 الاستيعاب (٤٣٧/١) .
2 البخاري ، ـ فضائل الصحابة رقم ٣٧٤٦ .
3 النهاية في غريب الحديث (٤١٧/٣) .
4 تحفة الأحوذي (٢٧٧/١) .
5 البخاري ، فضائل الصحابة رقم ٣٧٤٦ .

النظر في إصلاح المسلمين وحقن دمائهم أولى من النظر في حقه سلم الخلافة لمعاوية في الخامس من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وقيل من ربيع الآخر وقيل في غرة جمادي الأولى وكانت خلافته ستة أشهر إلا أياماً وسمي هذا العام عام الجماعة وهذا الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم : لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين[1] . فالحديث فيه علم من أعلام النبوة ، ومنقبة للحسن بن علي فإنه ترك الملك لا قلة ولا ذلة ولا لعلة بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة وعن سعيد بن أبي سعيد قال : كنا مع أبي هريرة جلوساً ، فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب ، فسلم علينا ، فرددنا عليه ، وأبو هريرة لا يعلم فمضى ، فقلنا : يا أبا هريرة هذا حسن بن علي قد سلم علينا ، فقام فلحقه ، فقال : يا سيدي ، فقلت له : تقول يا سيدي ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنه لسيد[2] ، وعن جابر بن عبد الله أنه قال : من سرّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة ، فلينظر إلى الحسن بن علي[3] وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين في الجنة جمع غفير من الصحابة ، وما ذلك إلا لإعلان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك مرة بعد مرة ، أو في محافل جامعة ، وممن جاء عنهم ، عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وجابر بن عبد الله ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، وقرة بن

---

[1] فتح الباري (٦٦/١٣) .
[2] مستدرك الحاكم (١٦٩/٣) وقال : صحيح ، وأقرّه الذهبي والطبراني رقم ٢٥٩٦ وقال الهيثمي في المجمع (١٧٨/٩) رجاله ثقات .
[3] صحيح بن حبان (٤٢١/١٥ ، ٤٢٢) مناقب الحسن ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية وذكر إسناده وقال لا بأس به .

إياس ، ومالك بن الحويرث ، والبراء بن عازب ، وأبو هريرة رضـــي الله عنهم وغيرهم[1] .

سادساً : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعِوِّذُ الحسن والحسين ويقول إنّ أباكما ـــ أي إبراهيم عليه السلام ـــ كـــان يُعَوِّذُ بها إسماعيل وإسحاق ، أعوذ بكلمات الله التامّة من كـــل شـــيطان وهامّة[2] ومن كل عين لامّة[3] ، وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَوِّذُ الحسن والحسين يقول أُعِيذُكُما بكلمات الله التامـــة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّةٍ : ويقول : هكذا كان إبراهيم يُعوِّذُ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام[4] . وهذا علاج يتفرد بـــه الطـــب النبوي للأطفال ، وهو ركن من أركان المحافظة على صحة الطفل عنـــد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما فعله ـــ صلى الله عليه وســـلم ـــ مع الحسن والحسين[5] ، وفي هذا الحديث قيمة رفيعة حيث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أهمية دعاء الوالدين لأبنائهم وما فيها من فوائـــد عظيمة منها ، جلب الراحة والطمأنينة والحفظ والبركة للأبناء والآباء من جهة ، ومن جانب آخر صرف الشر عنهم بإذن الله من الحسد والشيطان

---

[1] روايات هذه الأحاديث في مجمع الزوائد (١٨٣/٩) والمعجم الكبير (٢٤/٣) الدوحة النبوية الشريفة صـ ٨١ .
[2] هامّة : كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها .
[3] لامّة : هي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء ، البخاري رقم ٣٣٧١ .
[4] سنن الترمذي رقم ٢٠٦٠ حديث حسن صحيح .
[5] منهج التربية النبوية للطفل صـ ٢٤٨ .

وهوام الأرض وفوق هذا كله ، فإن الدعاء هو مخ العبادة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه شعور بالفقر والالتجاء إلى الله وحده وهذا من أهم مقاصد الإسلام .

سابعاً : الأحاديث التي رواها الحسن بن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن مما اتفق عليه المسلمون أن أصول العلم والمعرفة التي توصل إلى مرضاة الحق سبحانه وتعالى القرآن الكريم وما ثبت من أقوال وأفعال وتقريرات الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا ما يعرف بالسنة النبوية وهي لا تُعْرَفُ عبر الحقب والأجيال إلا بالنقل والرواية والأخبار وقد اتجه أهل العلم والمعرفة إلى ضبط أسماء الرواة ومعرفتهم ، ثم البحث عن سيرهم وأحوالهم ، ليخلصوا إلى التأكد من أمرين اثنين وإعطاء كل راوٍ قدره في ميزانهما :

١ ـ العدالة ، وهي استقامة السيرة ، وصلاح الحال ، والتقصِّي عن المحرمات بعد القيام بالواجبات ، والتحلي بالمروءة وارتداء لبوسها السابغ .

٢ ـ الضبط والإتقان للحديث المروي والنص المنقول ، والوعي والاستيعاب له ، حفظاً أو كتابة أو هما معاً وهذا الذي تقدم حكم عام شامل لجميع الرواة ونقلة السنة النبوية ، خلا الصحابة ، رضوان الله عليهم ، لأنهم حملة الرسالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رباهم على عينه ونشأهم بكريم رعايته وعميق عنايته .

ولقد كان الأئمة من أهل البيت الكرام ، رضوان الله عليهم محل تقـــدير علماء الحديث والرواية ، في الأخذ عنهم ما رووه عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، لما تمتعوا به من عدالة وإتقان ، وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأبناه الحسن والحسين من جلَّة الصحابة فهـــم فـــوق التعـــديل والسؤال لكونهم من سادات الصحابة رضي الله عنهم . وأبو الحـــسن ، أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . روى له بقي بن مخلد الأندلسي المتوفى ٢٧٦هـــ في مسنده ـــ وهو أوسع المسانيد في الإسلام ـــ خمسمائة وستة وثمانين حديثاً (٥٨٦)[1] . وروى له أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـــــ في مسنده المتداول بين أيدينا ثمانمائة وتسعة عشر حـــديثاً بتكـــرار الطـــرق (٨١٩)[2] وأخرج له أصحاب الكتب الستة : البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة ، ثلاثمائة واثنين وعشرين حديثاً (٣٢٢)[3] ، اتفق البخاري ومسلم على عشرين حديثاً منها (٢٠) وانفرد البخاري بتسعة (٩) ، ومسلم بخمسة عشر حديثاً (١٥) وفي هذه الأحاديث مـــن المضامين والمعاني ما يتعلق بجميع وسائل الحيـــاة : العقائـــد والأحكـــام والتفسير وغيرها[4] .

ويعتبر أمير المؤمنين علي أكثر الخلفاء الراشدين رواية لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا راجع إلى تأخر وفاته عن بقيـــة الخلفـــاء ، وكثرة الرواة عنه ، وانتشار طلبة العلم من التابعين الذين كانوا يكثـــرون السؤال ، ووقوع الأحادث التي تقتضي البلاغ والرواية ، في أمور كثيرة

---

1 الدوحة النبوية الشريفة صـ ١٣٩ مقدمة مسند بقي بن مخلد صـ ٨٠ .
2 مسند أحمد (١٦٤/١) .
3 تحفة الإشراف بمعرفة الأطراف للمزي (٣٤٦/٧) .
4 الدوحة النبوية الشريفة صـ ١٤٠ .

فنقلوا عنه ما بلغهم بأمانة ونزاهة[1] ، وقد استفاد ابنه الحسن منه استفادة عظيمة أما من جده صلى الله عليه وسلم ، فقد توفي صلى الله عليه وسلم ، والحسن صغير كما هو معلوم ، فعقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحاديث وأموراً ذكرها منسوبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كصغار الصحابة الآخرين ، ابن عباس ومحمود الربيع ، فقد حفظ الحسن عن جده وعن أبيه وأمه وحدَّث عنه ابنه الحسن بن الحسن ، وسويد بن غفلة وأبو الحوراء السعدي ، والشعبي ، وهبيرة بن بَرِيم ، وأصبغ بن نُباته والمسَّيبُ بن نجبة[2] ، وقد روى له بقي بن مخلد في مسنده عن رسول الله ثلاثة عشر حديثاً (١٣)[3] ، وروى له أحمد في مسنده عشرة أحاديث (١٠) ، وله في السنن الأربعة ستة أحاديث[4] وهذه الأحاديث منها :

١ ـ عن أبي الحوراء عن الحسن بن علي قال : علمني رسول الله صلي الله عليه وسلم كلمات أقولهن في قنوت الوتر : اللهمَّ أهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيمن أعطيت وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضي عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت[5] . ونرى هنا كيف حرص سيد البشر على تعليم الحسن محبة الله سبحانه وتعالى وعبوديته ودعاؤه والتعلق بالله

---

1 المصدر نفسه صـ
2 سير أعلام النبلاء (٢٤٦/٣) .
3 تلقيح أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي صـ ٣٦٩ .
4 مسند أحمد (١٦٧/٣) تحقيق أحمد شاكر ، مسند أهل البيت تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري صـ ٢٥ ، الدوحة النبوية صـ ١٤٢ .
5 مسند أحمد (١٦٨/٣) قال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

وحده لا شريك له وهذه هي حقيقة التوحيد الخالص الـذي يجـب أن يحققه المسلم في حياته ويربي عليه أبنائه .

٢ ـــ عن هبيرة قال : خطبنا الحسن بن عليّ ، فقال : لقـد فـارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأوّلون بعلم ، ولا يدركه الآخرون ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه بالراية ، جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، لا ينصرف حتى يُفتح له[1] .

٣ ـــ عن عمرو بن حبشي قال : خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي فقال : لقد فارقكم رجل بالأمس ، ما سبقه الأوّلون بعلم ، ولا أدركـه الآخرون ، إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبعثه ويعطيه الراية ، فلا ينصرف حتى يفتح له ، وما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سـبعمائة درهم من عطائه ، كان يرصدها لخادم لأهله[2] .

٤ ـــ عن محمد بن علي عن الحسن بن علي : أنـه مرّ بهم جنـازة ، فقام القوم ولم يَقُمْ ، فقال الحسن : ما صنعتم ؟ إنما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تأذِياً بريح اليهودي .[3] .

٥ ـــ عن أبي الحوراء السعدي قال : قلت للحسن بن علي ما تـذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أذكر إني أخذت تمرة من تمر الصدقة ، فألقيتها في فمي ، فانتزعها رسول الله صلى الله عليـه وسـلم بلعُابها فألقاها في التمر ، فقال له رجل : ما عليك لو أكل هذه التمرة ؟ قال : إنا لا نأكل الصدقة ، قال : وكان يقول : دع ما يَرِيبك إلى ما لا

---

[1] مسند أحمد (١٦٧/٣ ، ١٦٨) إسناده صحيح .

[2] مسد أحمد (١٦٧/٣ ، ١٦٨) إسناده صحيح .

[3] مسند أحمد (١٦٧/٣ ، ١٦٩) إسناده ضعيف لانقطاعه .

يَرِيبك ، فإن الصدق طُمأنينة ، وإن الكذب ريبة ، قال : وكان يعلمنا هذا الدعاء : اللهم أهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شرت ما قضيت ، إنه لا يَذِلّ من واليت ، وربما قال : تباركت ربنا وتعاليت[1] .

ومن خلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يتضح أن آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لهم الصدقة ، والصدقة نوعان ، صدقة الفرض ، وهي الزكاة ، وصدقة التطوع ، يقول الله تعالى : ((**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**)) (التوبة ، الآية : ١٠٣) قال المفسرون : هي الزكاة أي الصدقة المفروضة ، وليس هناك خلاف في أن الصدقة بنوعيها لا تحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدقة الفرض ، كما تحرم عليه صلى الله عليه وسلم ، تحرم على آله رضوان الله عليهم ، ولكن في حرمة صدقة التطوع على آل البيت خلاف ، فاللشافعي رضي الله عنه فيها قولان ، أصحهما بالحرمة ، وسبب حرمة الصدقة أو الزكاة على آل البيت الطاهرين أوضحه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، في حديث شريف طويل ، نأخذ منه قوله عليه الصلاة والسلام : إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس[2] ، قام الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث في صحيح مسلم : ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم ، كما قال تعالى : ((**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**)) (التوبة ، الآية : ١٠٣) ، فهي كغسالة الأوساخ

---

[1] مسند أحمد (١٦٧/٣ ، ١٦٩) إسناده صحيح .

[2] مسلم رقم ١٠٧٢ .

. وفي هذا تتريه لهم ، وإعلاء لمكانتهم ، والتنويه بطهارتهم[1] ، رضـي الله عنهم ، ولهذا لم يكونوا يأخذون شيئاً من الصدقات في عهد رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بعد ذلك ، وكانوا يأخذون نصيبهم من خمس الغنائم ، يقول الله تبارك وعالى ((**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**)) (الأنفال ، آية : ٤١) . قال المفسرون قوله تعالى ((**وَلِلرَّسُولِ**)) أي سهم من الخمس يعطي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذي القربى. وقد اختلف العلماء في المراد بالآل في الزكاة وفي تحديدهم إلى قولين :

أ ـــ

ذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية إلى أنهم بنو هاشم فقط وهم آل علي ، وآل العباس ، وآل جعفر ، وآل عقيـل ، وآل الحارث بن عبد المطلب ، و لم يدخل فيهم أبو لهب فيجوز الدفع إلى بنيه ، لأن حرمة الصدقة لبني هاشم كرامة من الله تعالى لهم ولذريتهم حيث نصروا النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم في جاهليتهم وإسلامهم ، أما أبو لهب فكان حريـصاً علـى أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم فلم يستحقها بنوه[2] ، وقال بعض علماء الحنابلة : ويدخل فيهم آل أبي لهب لأنهـم من سلالة هاشم[3] ، وكيف لا يدخلون وقد أسلم من أبناء أبي لهب عتبة ومعتب يوم الفتح وسر النبي صلى الله عليه وسلم وآله

---

[1] شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٣/٧ ـ ١٨٧) .
[2] شرح فتح القدير لابن الهمام (٢٧٢/٢ ـ ٢٧٤) .
المنتقى للباجي (١٥٣/٢) ، نيل الأوطار (١٧٢/٤) .
[3] الإنصاف للمرداوي (٢٥٥/٣ ـ ٢٥٦) .

وسلم بإسلامهما ودعا لهما وشهدا معه حنيناً والطائف لهم عقب عند أهل النسب[1] .

ب ــ ويرى الشافعي أنهم بنو هاشم وبنو المطلب :

واستدل على ذلك بما يلي :

- أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى سهم ذوي القربى من الخمس لبني هاشم وبني المطلب و لم يعط أحداً من قبائل قريش غيرهم كما أخرج البخاري من حديث جبير بن مطعم قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله فقلنا : يا رسول الله أعطيت بني عبد المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد[2] . ووجه الدلالة من الحديث أن بني المطلب مع بني هاشم في سهم ذوي القربى ، وهم آله ، فدل على أن بني المطلب آل صلى الله عليه وسلم أيضاً ، وعلى أن الزكاة تحرم عليهم وأن هذه العطية إنما هي عوض عما حرموه من الصدقة وبالتالي فإن هذا الحكم ((منع الزكاة)) يتعلق بذوي القربى ، كاستحقاق الخمس فوجب أن يستوي فيه الهاشمي والمطلبي[3] ، وعن الإمام أحمد في بني المطلب روايتان :

[1] التبيين في أنساب القرشيين صـ ١٤٣ .
[2] البخاري ك فرض الخمس رقم ٣١٤٠ .
[3] معالم السنن للخطابي (٧١/٢) ، الأم للشافعي (٦٩/٢) المجموع للنووي (٢٤٤/٦) العقيدة في أهل البيت صـ ١٨١ .

أحدهما : تحرم عليهم الزكاة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : إنا وبنو المطلب لم نفترق في جاهلية ولا إسلام إنما نحن شئ واحد[1] . وفي لفظ رواه الشافعي في مسنده : ((إنما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين أصابعه[2] ، ولأنهم يستحقون من خمس الخمس فلم يكن لهم الأخذ من الزكاة كبني هاشم .

ثانيهما : لهم الأخذ منها وفقاً لمذهب أبي حنيفة ومالك لدخولهم في عموم قوله تعالى : ((**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ**)) (التوبة ، آية : ٦) . لكن خرج بنو هاشم لقول صلى الله عليه وسلم : إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد[3] ، فيختص المنع بهم[4] ، وقالوا إن قياس بني المطلب على بني هاشم غير صحيح لأن بني هاشم أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأشرف وأما مشاركتهم لهم في خمس الخمس فلم يستحقوا ذلك بمجرد القرابة ، بل لنصرقم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنصرة لا تقتضي المنع[5] .

وقد تحدث الفقهاء عن حكم دفع الزكاة إليهم في حال منعهم من خمس الخمس ، فإذا لم يعطوا حقهم من خمس الخمس لخلو بيت المال من الفئ أو الغنيمة ، أو لاستيلاء

---

1 سنن أبي داود ، الإمارة رقم ٢٩٨٠ .
2 سنن النسائي رقم ٤١٣٧ .
3 مسلم رقم ١٠٧٢ .
4 العقيدة في أهل البيت صـ ١٨١ .
5 المغنى لابن قدامة (١١١/٤ ـ ١١٢) .

الظلمة واستبدادهم بهما ، فقد قال بعض العلماء من المتقدمين والمتأخرين أنهم يعطون من الزكاة ، فقد روي عن الإمام أبي حنيفة أنه يجوز الدفع إلى بني هاشم في زمانه ، لأن عوضهما وهو الخمس لم يصل إليهم ، وإذا لم يصل إليهم العوض ((الخمس)) عادوا إلى المعوض ((الزكاة[1])) ، وقال بعض المالكية : إذا حرموا حقهم من بيت المال وصاروا فقراء جاز أخذهم وإعطائهم من الزكاة[2] ، وفي ذلك يقول أبو بكر الأبهري[3] : قد حلت لهم الصدقات فرضها ونفلها[4] ، وقال أبو سعيد الاصطخري من الشافعية : إن منعوا حقهم من الخمس جاز الدفع إليهم إنما حرموا الزكاة لحقهم في خمس الخمس ، فإذا منعوا منه وجب أن يدفع إليهم[5] ، وذلك لحديث إن لكم في خمس الخمس ما يكفيكم ، أو يغنيكم[6] ، فجعلوا الغنى عن الزكاة بخمس الخمس ، فإذا عدم زال الغنى ، فخمس الخمس علة لاستغنائهم وشرط لمنعهم ، فإذا زال الشرط انتفى المانع ، وقال بعض علماء الحنابلة : يجوز الأخذ من الزكاة إذا منعوا من خمس الخمس لأنه محل حاجة وضرورة[7] ، واختاره بن تيمية[8] .

---

[1] حاشية ابن عابدين (٩١/٢) .
[2] بلغة السالك (٢٣٢/١) حاشية الدسوقي (٤٥٢/١ ـ ٤٥٣) .
[3] هو : محمد بن عبد الله بن محمد صالح أبو بكر التميمي شيخ المالكية في العراق توفي ٣٧٥هـ : أنظر شذرات الذهب (٨٥/٣ ـ ٨٦) .
[4] المنتقى للباجي (١٥٣/٢) .
[5] المجموع للنووي (٢٤٤/٦ ـ ٢٤٦) .
[6] تفسير ابن كثير (٣١٣/٢) قال ابن كثير حديث حسن الإسناد .
[7] الإنصاف للمرداوي (٢٥٥/٣) وكشاف القناع للبهوني (٢٩١/٢) .
[8] الاختيارات (١٠٤) ، العقيدة في أهل البيت صـ ١٨٦ .

٦ ــ **حدثنا ربيعة بن شيبان أنه قال للحسن بن علي** : ما تذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال " أدخلني غرفة الصدقة ، فأخذت منها تمرة فألقيتها في فمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلقها فإنها لا تحل لرسول الله ولا لأحد من أهل بيته[1] صلى الله عليه وسلم .

٧ ــ **حدثنا بُريدة بن أبي مريم عن أبي الحوراء** قال : كنا عند حسن بن علي ، فسُئِل : ما عَقَلْتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كنت أمشي معه فمَّرعلى جَرِين من تمر الصدقة ، فأخذت تمرة فأليقتها في فمي ، فأخذها بلعابي ، فقال بعض القوم : وما عليك لو تركتها ؟ قال : إنا آل محمد لا تحلُّ لنا الصدقة ، وعقلت منه الصلوات الخمس[2] .

٨ ــ **عن أيوب بن محمد** : أن الحسن بن علي وابن عباس رأيا جنازة ، فقام أحدهما وقَعد الآخر ، فقال الذي قام : ألم يَقمْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقال الذي قعد : بلى وقعد[3] .

هذه بعض الأحاديث التي رواها الحسن بن علي رضي الله عنهما عن جده صلى الله عليه وسلم ويعتبر الحسن بن علي رضي الله عنه من علماء الصحابة المفتين وهو من ضمن الطبقة الثالثة ، فقد قسم المحدِّثون علماءَ الصحابة إلى ثلاث طبقات ، وذلك نظراً إلى قلة أو

[1] مسند أحمد (١٧٠/٣) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر .
[2] مسند أحمد (١٧٠/٣) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر .
[3] مسند أحمد (١٧١/٣) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر .

كثرة فتاواهم . قال ابن القيم رحمه الله ــ : كانوا بين مكثـــر منـــها ومقل ومتوسط .

أ ــ **المكثرون من الفتيا** : والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة ونيف وثلاثون نفساً ما بـــين رجل وامرأة ، وكان المكثرون منهم سبعة : عمر بن خطـــاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود وعائشة أم المـــؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم : قال أبو محمد بن حزم : ويمكن أن يجمع في فتـــوى كـــل واحد منهم سفر ضخم ، قال : وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فتيا ابن عباس رضي الله عنه في عشرين كتاباً ، وأبو بكر محمد المذكور أحد أئمة الإسلام في العلم والحديث .

ب ــ **المتوسطون في الفتيا** : قال أبو محمد : والمتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا أبو بكر الصديق ، وأم سلمة ، وأنـــس بـــن مالك ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعثمان بن عفـــان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم .. الخ .

جـ ــ **المقلِّون في الفتيا** : والباقون منهم مقلِّون في الفتيا ، ولا يروي عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان والزيادة اليسيرة على ذلـــك .. وهم أبو الدرداء ، وأبو اليسر ، وأبو سلمة المخزومي ، وأبـــو عبيدة بن الجراح ، والحسن والحسين ابنا علي بـــن أبي طالـــب ،

والنعمان بن بشير ، وأبي بن كعب ، وأبو أيوب ، وأبو طلحة وأبو ذر ، وأم عطية ، وصفية أم المؤمنين ، وحفصة ، وأم حبيبة رضي الله عنهم أجمعين[1] .

ثامناً : صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يرويها الحسن بن علي :

١ ــ **عن الحسن بن علي عن خاله هند بن أبي هالة** قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل[2] الأحزان ، دائم الفكرة ليست له راحة ، طويل السكت لا يتكلم من غير حاجة ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه[3] ، ويتكلم بجوامع الكلم[4] ، كلامه فصل[5] ، لا فضول ولا تقصير ، ليس بالجافي[6] والمهيمن[7] ، يعظم النعمة وإن دقت[8] ، لا يذم منها شيئاً ، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً[9] ، ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا ولا مكان لها[10] ، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح[11] ، وإذا فرح غض طرفه ، جُل[12] ضحكه التبسم ، يفتر[1] عن

1 إعلام الموقعين (١٢/١ ، ١٣) ، سيرة عائشة سليمان الندوي صـ ٣٢٧ .
2 أي لا ينفك حزن عن حزن يعقبه .
3 جمع شدق بالكسر طرف الفم أي أنه يستعمل جمع فمه للتكلم ولا يقتصر على تحريك الشفتين كفعل المتكبرين .
4 أي بكلمات قليلة الحروف جامعة لمعان كثيرة وقيل الجوامع القواعد الكلية المحتوية على الفروع المتكثرة .
5 الفاصل بين الحق والباطل .
6 الجافي : الغليظ الطبع السئ الخلق العديم البر .
7 المهيمن : لم يكن غليظ الخلق ولا ضعيفه بل كان معتدلاً من أنواع المهابة والوقار والجلالة .
8 صغرت وقلت .
9 المأكول والمشروب فعال بمعنى المفعول من الذوق .
10 أي ولا يغضبه أيضاً إلا ما كان له علاقة بالدنيا
11 جد في الإعراض وبالغ فيه .
12 معظمه أو أكثره .

مثل حب الغمام[2] ، وكان فخماً[3] مفخماً[4] يتلألأ[5] وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، مسيح[6] القدمين ينبو[7] عنهما الماء ، إذا زال زال[8] قلعاً يخطو تكفياً[9]، ويمشي هوناً ذريع المشية[10] ، إذا مشى كأنما ينحط من صبب[11] ، وإذا التفت التفت جميعاً[12] ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة[13] ، يسوق أصحابه ، يبدأ من لقى بالسلام[14] .

٢ ـ وعن الحسن بن علي عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جاء وصف النبي كالتالي : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً[15] ولا صاخباً[16] في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح[17] . ما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادماً ، ولا امرأة ، ما رأيته منتصراً من مظلمة ظُلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شئ ، فإذا انتهك من محارم الله تعالي كان من أشدهم غضباً ، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، وإذا دخل بيته

---

1 من افتر ضحك ضحكاً حسناً حتى بدت أسنانه من غير قهقهة .
2 أي البرد .
3 أي عظيماً في نفسه .
4 أي المعظم في الصدور والعيون .
5 يتلألأ : أي يستنير .
6 مسيح : أملسهما .
7 ينبو : يتباعد ويتجافى .
8 أي رفع رجله عن الأرض رفعاً بائناً بقوة لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطاه تبختراً .
9 جملة مؤكدة لما قبلها وهو بكسر الفاء المشددة بعدها ياء أي يمشي مائلاً إلى سنن المشي لا إلى طرفيه يقال يتكفأ أي يتمايل إلى قدام .
10 أي سريعها .
11 أي محل منحدر .
12 إي لا يسارق النظر .
13 وهي مفاعلة من اللحظ وهو النظر باللحاظ يقال لحظه ولحظ إليه
14 مختارات من أدب العرب لأبي الحسن النووي صـ ١٣ .
15 إي ولا المتكلف به أي لم يكن الفحش له خلقياً ولا كسبياً .
16 صاخباً : صيَّاحاً .
17 صفح عنه : أعرض عنه وتركه ، بابه فتح .

كان بشراً من البشر يفلي[1] ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه ، كان يخـــزن لسانه إلا فيما يعنيه ويؤلّفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليــه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي على أحد منـــهم بشره[2] ، ولا خلقه ، ويتفقد[3] أصحابه ويسأل عما في الناس ، ويحـــسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيه[4] ، معتدل الأمر غير مختلـــف ، ولا يغفل مخافة أن يغفلوا ويملوا ، لكل حال عنده عتاد[5] ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، أفضلهم عنـــده أعمهـــم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة[6] ومؤازرة[7] ، لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلـــس ويأمر بذلك ، يعطي كل جلسائه بنصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحـــداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو فاوضه[8] ، في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ، ومن سأله حاجته لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قـــد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق ســـواء ، مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن[9] فيه الحرم ولا تنثى[10] ، فلتاته[11]، متعادلين[12] يتفاضـــلون فيهـــا بـــالتقوى ،

---

1 فلا يفلي فلياً رأسه أو ثوبه : نقاهما من القمل .
2 بشره : بالكشر طلاقة الوجه وبشاشته .
3 يتفقد : يتعرف ويطلب من غاب منهم .
4 يوهيه : يضعفه .
5 العتاد : هو العدة والتأهب مما يصلح لكل ما يقع أعتدُ وعُتُد وأعتدِة .
6 المداراة وهي إصلاح أحوال النار بالمال والنفس .
7 مؤازرة : المعاونة .
8 فاوضه : عامله في حاجة أو خالطه .
9 ولا تؤبن : هو العيب والتهمة أي لا تقذف ولا تعاب .
10 ولا تنثى : لا تشاع ولا تذاع .
11 فلتاته : زلاته ومعائبه على تقدير وجود وقوعها جمع فلتة .
12 متعادلين : متساوين .

متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويـــؤثرون ذا الحاجـــة ويحفظون الغريب .[1]

٣ ــ عن الحسن بن علي عن الحسين بن علي عن علي رضي الله عنهم ملتقطاً من جزء الشمائل للترمذي : كان دائم البشر سهل الخلق لـــين الجانب[2] ليس بفظ[3] ، ولا غليظ وصخاب ولا فحّـــاش ولا عيـــاب ولا مشاح[4] ، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه ولا يجيب[5] فيه ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء[6] ، والإكبار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث كان لا يذمّ أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته . ولا يتكلم إلا فيما رجـــا ثوابه وإذا تكلم أطرق[7] ، جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطـــير ، فـــإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ، ومن تكلم عنده أنصتوا لــــه حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أولهم[8] ، يضحك ممـــا يـــضحكون ويتعجب ممّا يتعجبون ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه يستجلبوهم ويقول إذا رأيتم طالـــب حاجـــة يطلبـــها فأرفدوه[9] ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ[10] ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام ، أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة[1]

---

1 مختارات من أدب العرب لأبي الحسن الندوي صـ ١٥ .
2 أي سريع العطف كثير اللطف ، جميل الصفح ، وقيل قليل الخلاف وقيل كناية عن السكون والوقار والخشوع والخضوع .
3 الغليظ السيئ الخلق الخشن الكلام .
4 اسم فاعل من باب المفاعلة من الشح وهو البخل وقيل أشده .
5 أي لا يجب أحداً فيما لا يشتهي بل يسكت عنه عفواً وتكرماً .
6 الجدال .
7 أمالوا رأسهم وأقبلوا ببصرهم إلى صدورهم .
8 أي حديث أفضلهم أو كأول تكلمهم أي لا عن ملالة وسآمة .
9 الإرفاد الإعطاء والإعانة .
10 أي من مقارب في مدحه غير مجاوز به عن حد مثله ولا مقصر به عما رفعه الله إليه من علو مقامه .

لهجة[1] ، وألينهم عريكة[2] ، وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبَّه ويقول ناعته لم أرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم[3] .

تاسعاً : آية التطهير وحديث الكساء :

آية التطهير هي قول الله عز وجل : ((**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)) (الأحزاب ، آية : ٣٣) وأما حديث الكساء ، فقد روت عائشة رضي الله عنها ، فقالت : خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل[4] ، فأدخل علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، قال ": ((**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)) (الأحزاب ، آية : ٣٣) وإن رواية عائشة للحديث يبين لنا كذب من يقول أن الصحابة يكتمون فضائل علي ، فهذه عائشة التي يدعون أنها تبغض علياً هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة[5] والحسن والحسين رضي الله عنهم .

إن الخطاب في الآيات الكريمة كله لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم حيث بدأ بهم وختم بهن قال تعالى : ((**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جميلاً ، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ**

---
[1] اللسان .
[2] الطبيعة .
[3] مختارات من أدب ب الحسن الندوي صـ ١٦ نقلاً عن الشمائل للترمذي .
[4] كساء من خز أو صوف أو كتان لسان العرب (٤٠١/٧) والمرحل نقش فيه تصوير الرحال .
[5] حقبة من التاريخ صـ ١٨٧ .

لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يسيراً ، وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا)) إلى قوله تعالى : ((((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا *وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)) (الأحزاب ، آية : ٢٨ ـ ٣٤) فالخطاب كله لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ومعهنّ الأمر والنهي والوعد والوعيد ، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر ، حيث تناول أهل البيت كلهم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك لذلك خصهم النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء لهم ، كما أن أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم يتعدى علياً والحسن والحسين وفاطمة إلى غيرهم كما في حديث زيد بن أرقم وأنه لما قيل له نساؤه من أهل بيته ؟ قال نساؤه ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس[1] وقد تعمد علماء الشيعة الإثني عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاءت فيه والذي خاطب الله به نساء النبي صلى الله عليه وسلم إغفالاً لنساء النبي صلى الله عليه وسلم من الخطاب ، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ، قالت : خرج النبي صلى الله عليه وسلم

[1] مسلم رقم ١٠٧ .

غداة وعليه المرط[1] المرحل[2] من شعر أسود فجاء الحسن بن علي ، فأدخله ثم جاء الحسين ، فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ((**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)) ، وحديث أم المؤمنين أم سلمة لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم : ((**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)) **قالت** أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : أنت على مكانك ، وأنت على خير[3] لتثبيت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة[4] ، ويرى علماء الشيعة أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين ، من الخطايا والذنوب صغيرها وكبيرها بل ومن الخطأ والسهو البشري[5] ، ويعتقدون أن الحسن بن علي هو الإمام الثاني المعصوم عندهم .

إن عصمة الإمامة عند الشيعة الإمامية شرط من شروط الإمامة وهي من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي ولها أهمية كبرى عندهم ونتيجة لما أضفاه الشيعة الرافضة على أئمتهم من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة ، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسئولاً أمام أحد من الناس ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال ، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه لأن عنده من العلم وما لا قبل لأحد بمعرفته ، ومن هنا قرر الشيعة الرافضة للإمام ضمن ما

---

[1] مرط : يعني كساء ..
[2] وهو الموشي المنقوش عليه صور رجال الإبل .
[3] سنن الترمذي ، ك المناقب رقم : ٣٧٨٨ .
[4] ثم أبصرت الحقيقة صـ ١٧٦ .
[5] المصدر نفسه صـ ١٧٦ .

قرروا العصمة ، فذهبوا إلــى أن الأئمة معصومون في كــل حيــاتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا يصدر
عنهم أي معصية ، ولا يجوز عليهم خطأً ولا نسيان[1] ، وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد ، فقال : إن الأئمة القائمين مقــام الأنبيــاء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرع وتأديب الأنام معصومون ، كعصمة الأنبياء ، وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة وأنه لا يجوز منهم سوء في شيء من الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام ، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم ، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب[2] ، وقد تحدثت عن هذه العقيدة بنوع من التفصيل في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بــن أبي طالب[3] ، فمن أراد المزيد فليرجع إليه .

وأما حجة الشيعة الإمامية في آية التطهير فنقدها من وجوه :

أ ــ حديث أم سلمة السابق ، فقد ورد بعدة صيغ :

فروي عن أم سلمة أنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، فجعلت لهم خزيرة ، فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ، ثم قال : اللــهم هؤلاء أهل بيتي ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وفي رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم أجلسهم على كساء ، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله ، فضمه فوق رؤوسهم ، وأومــأ

---

1 دراسات عن الفرق د. أحمد جلي صـ ٢٠٣ .
2 أوائل المقالات للمفيد صـ ٣٥ .
3 أسمى المطالب سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٣٠٢/٢) .

بيده اليمنى إلى ربه ، فقال : هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وفي رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم أجلسهم على كساء ، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله ، فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه ، فقال : هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة الآية ، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم[1] ، وقد وردت روايات عن أم سلمة فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أحاديث الكساء ، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صح منها من جملتها هذه الرواية : لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً ، فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : أنت على مكانك وأنت على خير[2] ، وهناك رواية هامة جداً رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه[3] ، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء

---

[1] ثم أبصرت الحقيقة صـ ١٧٧ .

[2] فضائل الصحابة (٧٢٧/٢) رقم ١٩٩٤ إسناده فيه ضعف وله طرق قوية .

[3] ثم أبصرت الحقيقة صـ ١٧٧ .

واحد فلذلك أدخلها رسول الله صلى الله عليه وسـلم بعـد خروج أهل الكساء منه ، فعن شهر قال : سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين جاء نعي الحسين بـن علـي ، لعنت أهل العراق ، فقالت : قتلوه قتلهم الله ، غـروه وذلـوه لعنهم الله ، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءتـه فاطمة غدية ببرمة قد وضعت فيها عصيدة تحملها في طبق لها ، حتى وضعتها بين يديه ، فقال لها : أين ابن عمك ؟ قالت : هو في البيت ، قال : اذهبي فادعيه وائتني بابنيه ، قال : فجـاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد ، وعلي يمشي في إثرهما ، حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجلـسهما في حجره وجلس علي على يمينه وجلس فاطمة على يساره ، قالت أم سلمة : فاجتبذ كساء خيبرياً كان بساطاً لنا على المنامـة ، فلفّه رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعاً فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل : قال : اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قلت يا رسول الله : ألست من أهلك ؟ قال بلى فادخلي في الكساء ، فدخلت في الكساء بعدما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة[1] ، فشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة أنها من أهـل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم[2] .

[1] فضائل الصحابة (٨٥٢/٢) رقم ١١٧٠ إسناده حسن .
[2] ثم أبصرت الحقيقة صـ ١٧٨ .

ب ــ ومما يدل على أن الآية ليست دالة على العصمة والإمامة أن الخطاب في الآيات لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم حيث بدأ بهن وختم بهنّ :

قال تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جميلاً * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يسيراً * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا *يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا معروفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا *وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)) (الأحزاب ، آية : ٢٨ ــ ٣٤) .

فالخطاب كله لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد ، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر ،

لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر ، حيث تناول أهل البيت كلهم ، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك ، لذلك خصهم النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء لهم ، كما أن زوج الرجل من أهل بيته ، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه : كيف أهلك ؟ أي امرأتك ونساؤك ، فيقول : هم بخير ، وقد قال تعالى : ((قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ)) (هود : ٧٣) والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هي سارة زوجة إبراهيم عليه السلام ، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت[1] .

وقوله تعالى : ((فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)) (القصص : ٢٩) .

والمخاطب هنا أيضاً زوجة موسى عليه السلام .

وقوله تعالى : ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا)) (مريم : ٥٤ ــ ٥٥) . فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصَّلاة ؟ وهذا كقوله تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم : ((وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا))

[1] الإمامة والنص ، فيصل نور صـ ٣٨٦ .

(طه : ١٣٢) . ولا شك في دخول زوجاته أو خديجة رضي الله عنها على أقل تقدير في الأهل ، باعتبار أن السورة مكية[1] ، وقال تعالى : ((وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (يوسف ، آية : ٢٥) ، فالمخاطب هنا عزيز مصر ، وقولها : ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ؟ أي زوجتك ، وهذا بين[2] .

جـ ـ إذهاب الرجس لا يعني في لغة القرآن معنى العصمة :

يقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن مادة رجس ، الرجس الشئ القذر ، قال : رجل رجسي ، ورجال أرجاس ، قال تعالى : ((رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)) (المائدة : ٩٠) .. والرجس من جهة الشرع والخمر والميسر .. وجعل الكافرين رجساً من حيث أن الشرك بالعقل أقبح الأشياء ، قال تعالى : ((وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ)) (التوبة : ١٢٥) وقوله تعالى : ((وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ)) (يونس : ، آية : ١٠٠) .

قيل الرجل : النتن ، وقيل العذاب ، وذلكم كقوله : ((إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ)) وقال : أو لحم خنزير فإنه رجس وبالجملة لفظ ((الرجس)) أصله القذر يطلق ويراد به الشرك كما في قوله

---

[1] المصدر نفسه صـ ٣٩١ .
[2] المصدر نفسه صـ ٣٩٣ .

تعالى : ((فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)) (الحج ، آية : ٣٠) ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات ونحو قوله : ((قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا)) (الأنعام ، آية : ١٤٥) وقوله تعالى : ((إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)) (المائدة ، آية : ٩٠) ، ولم يثبت أن استخدم القرآن لفظ ((الرجس)) بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهان الرجس عن إثبات لعصمته[1] .

د ـ التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد :

فكما أن كلمة ((الرجس)) لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه في الاجتهاد وإنما يُراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية فإن كلمة التطهير لا تعني العصمة ، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط ، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير ، فقد قال الله تعالى عن صحابة رسوله : ((مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ)) (المائدة ، : ٦) وقال عز من قال : ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)) (التوبة ، آية : ١٠٣) وقال ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)) (البقرة ، آية : ٢٢٢) ، فكما أخبر الله عز وجل

---

[1] ثم أبصرت الحقيقة صـ ١٨١ .

بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ، ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم ، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة : ((فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)) (التوبة ، آية : ١٠٨) ، و لم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق ، وقال تعالى عن أهل بدر وهو ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً : ((وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ)) (الأنفال ، آية : ١١) و لم يكن في هذا إثبات لعصمته مع أنه لا فرق يذكر في الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت ليذهب عنكم الرجز أهل البيت ويطهركم تطهيراً وبين قوله في أهل بدر : ((وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ)) فالرجز والرجس متقاربان ويطهركم في الآيتين واحد ، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى والعجيب في علماء الشيعة الرافضة أهم يتمسكون بالآية ويصرفوها إلى أصحاب الكساء ، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة ، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم ، ويقولون بانقلاهم على أعقاهم مع أن الله عز وجل نص على

إرادته تطهيرهم بنص الآية[1] ، ((وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)) .

ـــ الإرادة في الآية إرادة شرعية ، وهي غير الإرادة القدرية :
يعني يحب الله أن يذهب عنكم الرجس ، وقد تحدث علماء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية ، والإرادة القدرية الكونية ، فقالوا :

ـــ **إرادة شرعية دينية** : وهي تتضمن معنى المحبة والرضى ، كقوله تعالى : ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)) (البقرة ، آية : ١٨٥) وقوله تعالى : ((وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا)) (النساء ، آية : ٢٧ ـــ ٢٨) .

ـــ **إرادة قدرية خلقية** : وهي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات ، وذلك مثل الإرادة في قوله تعالى : ((وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)) **(البقرة ، آية : ٢٥٣)** وقوله : ((وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ)) (هود ، آية : ٣٤) ، فالمعاصي إرادة كونية قدرية فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها ، بل يبغضها ويسخطها ، ويكرهها وينهي عنها ، هذا قول السلف والأئمة قاطبة ، فيفرقون بين إرادته التي تتضمن محبته ورضاه وبين إرادته ومشيئته الكونية

[1] ثم أبصرت الحقيقة صـ ١٨٢ .

القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضى[1] ، ولا شك أن الله عز وجل أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن الإرادة في هذه الآية ، إرادة شرعية ولذلك جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جللهم بالكساء قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس[2]

هـ ــ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يحسم القضية :

آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله : اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس[3] ، بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الأخبار الرباني عن التطهير ، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءه لهم[4] ، فطهرهم كما طهر الله نساء النبي بنص الآية[5] .

و ــ من الردود الدالة على عدم دلالة الآية الإمامة والعصمة :

ومنها : أن ما اختص به أمير المؤمنين علي والحسن والحسين رضي الله عنهم من الآية بزعم القوم ثبت للسيدة فاطمة رضي

---

[1] وسطية أهل السنة بين الفرق ، محمد با عبد الله صـ ٣٨٧ .
[2] سنن الترمذي ، ك مناقب أهل البيت رقم ٣٧٨٧ .
[3] سنن الترمذي ، ك مناقب أهل البيت رقم ٣٧٨٧ ، صححه الألباني .
[4] ثم أبصرت الحقيقة صـ ١٨٢ .
[5] أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي (٣١٤/٢) .

الله عنها ، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء ، فلو كان هـذا دليلاً لكان من يتصف بما في الآية يستحق العصمة والإمامة ، وفاطمة رضي الله عنها كذلك وبذات الاعتبار ، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة ، ومنها خروج تسعة من الأئمة المزعومين لعدم شمول الآية لهم ، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم[1] وهم :

- علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
- والحسن بن علي رضي الله عنه .
- والحسين بن علي رضي الله عنه .

عاشراً : آية المباهلة ووفد نصارى نجران :

جاء وفد نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كنا مسلمين قبلكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعكم من الإسلام ثلاث : عبادتكم الصليب ، وأكلكم الخنزير ، وزعمكم أن لله ولداً[2] ، وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم ، والنبي يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة ، وكان مما قالوه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا ، وتقول إنه عبد الله ، فقال : أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، فغضبوا وقالوا : هل رأيت إنساناً قط من غير أب ، فإن كنت

1 الإمامة والنص صـ ٣٨٧ .
2 زاد المعاد (٦٣٣/٣) سنده فيه ضعف .

صادقاً فأر مثله ؟ فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه : ((إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)) (آل عمران ، آية : ٥٩ ــ ٦٠) . فكانت حجة دامغة شبّه فيها الغريب بما هو أغرب منه[١] ، فلما لم تجد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة[٢] ، امتثالاً لقوله تعالى : ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)) (آل عمران ، آية : ٦١) . وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الحسن والحسين وفاطمة وقال : وإذا أنا دعوت فأمِّنوا[٣] ، فائتمروا فيما بينهم ، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقاً ، وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا ، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا : أحكم علينا بما أحببت فصالحهم على الفي حلة ، ألف في رجب ، وألف في صفر[٤] .

وهكذا يتضح المقصد الحقيقي لتزول الآية ومناسبتها وأنه ليس لها علاقة لا من قريب ولا من بعيد على ما ادعاه الشيعة على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنص وقد رددت على

[1] زاد المعاد (٣/٦٢٩ ـ ٦٣٨) .
[2] السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/٥٤٧) .
[3] المصدر نفسه (٢/٥٤٧) .
[4] السيرة النبوية لأبي شهبه (٢/٥٤٧) .

زعمهم في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بـــن أبي طالب رضي الله عنه[1] ، فمن أراد التوسع فليرجع إليه .

الحادي عشر : أثـــر التربية الأسرية على الحسن بن علي رضـــي الله عنه :

نشأ الحسن بن علي رضي الله عنه في بيت النبوة وتربى علـــى يدي جده ووالده علي وأمه فاطمة رضي الله عنهما ، فأخذ عن جده ووالديه مفاهيم الإسلام ولهذه النشأة تأثير كبير في بنـــاء وتكوين شخصيته القوية التي التزمت بأوامـــر الإسلام واستقامة على تعاليمه ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقـــول : النـــاس معادن كمعادن الفضة والذهب ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام[2] ، فمعدن الحسن بن علي نادر الوجود ولم ينشأ في الجاهلية وإنما نشأ في بيت النبوة ، مما جعله يكون سيداً بما تعني هذه الكلمة من معنى ، وقد اجتمع للحسن بن علي من أصالة النسب والتربية الأسرية ما لم يجتمع لغيره من الناس .

فجده الحبيب المصطفي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ .

وأبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وأمه فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

---

[1] أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي (٣٣٤/٢ إلى ٣٣٦) .

[2] البخاري ، رقم ٣٣٨٣ .

وجدته لأمه السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى أمير المؤمنين علي تربية الحسن والحسين وأشرف عليهم إشرافاً مباشراً ، وكانت شخصية أمير المؤمنين تتوفر فيها شروط الأب المربي ولا شك أنه فهم واستوعب قول الله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يؤمرون)) (التحريم ، آية : ٦٦) ومن الشروط الواجب توافرها في الأب المربي المسئول هي :

١ ـ الإخلاص والشعور بأهمية القضية والاهتمام بها :

فقد اهتم أمير المؤمنين علي بتربية وتعليم الحسن والحسين أبنائه وشمَّر عن ساعد الجد ، وتعهدهم بالرعاية والإهتمام ويكون هدفه من ذلك رضاء الله وثوابه والتقرب إليه بتربية علي أولاده على طاعة الله وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ إعطاء القدوة الحسنة للأبناء :

تعتبر القدوة من أهم وسائل التربية إن لم تكن هي أهمها على الإطلاق ، وذلك لوجود تلك الغريزة الفطرية الملحة في كيان الإنسان التي تدفعه نحو التقليد والمحاكاة ، خاصة الأطفال الصغار[1] يقول ابن خلدون : ويبدأ التقليد غايته في سن الخامسة

[1] مسئولية الأب ، عدنان با حارث صـ ٦٥ .

أو السادسة ويستمر معتدلاً حتى الطفولة المتأخرة[1] ، وكان أمير المؤمنين علي قدوة عظيمة لابنه الحسن فهـــو مـــن ســـادات الصحابة ومن الخلفاء الراشدين ، وكان الحسن بن علي يقلـــد أباه وأمه عن حب عميق .

٣ ــ كان أمير المؤمنين علي رحيماً رفيقاً ليناً في تربيته :

فقد كان أمير المؤمنين متحلياً بالرحمة والحلم وكان رفيقاً وليناً بالحسن والحسين في تربيتهم ويعرف لهم فضلهم ومكانتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسيدة فاطمة رضي الله عنها .

٤ ــ التوسط في المعاملة والعدل بين الأبناء :

ويظهر هذا الخلق جلياً في وصيته للحسن والحسين عندما أصبح من الدنيا راحلاً ولأصحابه مفارقاً ولكأس المنية شارباً ، وقـــد اتبع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه التوجيهـــات القرآنيـــة في تربيته وتعليمه وتوجيهه لأبنائه مثل قوله تعـــالى : ((وَإِذْ قَـــالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْـــمٌ عظيم *وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْـــنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَـــيَّ الْمَـــصِيرُ)) (لقمان ، آية : ١٣ ، ١٤) .

والمقصود أن الهدي القرآني اهتم بتذكير الأنبياء بتربية الأبنـــاء وحياة أمير المؤمنين علي تطبيق لأوامر الله عز وجل ، وابتعـــاد

[1] مقدمة ابن خلدون نقلاً عن موسوعة تربية الأجيال المسلمة ، لنصر بن محمد العنقري صـ ٨٦ .

عن نواهييه ، هذه بعض الصفات المهمـــة في شخـــصية أمـــير المؤمنين علي والتي ساعدته في تربية ابنيه الحسن والحسين .

الثاني عشر : أثر الواقع الاجتماعي على تربية الحسن :

إن البيئة الاجتماعية المحيطة لها دور فعال ومهم قي صناعة الرجـــال وبناء شخصيتهم ، فالحسن بن علي رضي الله عنه عاش في زمن ساد فيه الصحابة ، والرعيل الأول الذي تربى على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيمنت الفضيلة والتقوى والصلاح على ذلك المجتمع الفريـــد ، وكثر الإقبال على طلب العلم والعمل بالكتاب والسنة فهذه الحالة دفعت الحسن بن علي إلى الاستفادة والاقتداء بالمجتمع الذي يعيش فيه ، فكـــان عدد الصحابة الذين استوطنوا المدينة في حياة الرسول كم كبير ، واستمر عدد كبير في المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم ، وإن مجتمعاً عاش فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وتربي فيه على يديه النـــواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس ، لهو مجتمع لا يدانيه أي مجتمع آخر ، فقد شاهد هذا المجتمع الوحي وصاحب الدعوة ، ولازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان لهذه الملازمة والصحبة آثار نفسية ومعان إيمانية وتعلق روحي[1] فكان هذا المجتمع محل جذب الناس والتأثير فيهم بالسلوك والقول ، وأن هذا المجتمع له قوة التأثير في صياغة شخصية الحسن بن علي التربوية والعلمية .

[1] الإمام الزهري ، شرّاب صـ ٢٦ .

المبحث الثالث : الحسن بن علي في عهد الخلفاء الراشدين :

أولاً : مكانة الحسن بن علي في عهد الصديق رضي الله عنه :

كان للحسن والحسين بن علي رضي الله عنهما مكانة مرموقة لدي الصديق ، وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعاً ، فقد كانوا يحبوهم ويتعاملون معهم بشكل خاص ، فبينما كان أبو بكر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يمضيان بعد صلاة العصر فرأى أبو بكر رضي الله عنه الحسن يلعب مع الغلمان ، فأخذه أبو بكر فحمله على عنقه وقال :

بأبي شبيه النبي

ليس شبيهاً بعلي

وعلي يبتسم[1] . وقد تأثر الحسن بن علي بسيرة الصديق حتى أنه سمّى أحد أبنائه على أبي بكر ، ولا يسمّى أحد من الناس أسماءً على شخص معين إلا نتيجة حب ومعرفة مفصلة بسيرته ، وقد تعلم الحسن بن علي من عهد الصديق سواء في حياته أو بعد وفاة أبي بكر أموراً منها :

١ ــ هول فاجعة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وموقف أبي بكر منها :

قال ابن رجب : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اضرب المسلمون ، فمنهم من دُهش فخولط ومنهم من أقعد فلم يُطق القيام ، ومن اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ، ومنهم من أنكر

[1] نسب قريش (٢٣/١) ، البخاري (٩٣/٥) .

موته بالكلية[1] ، وقال ابن إسحاق : ولما توفي رسول الله صلة الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين فكانت عائشة فيما بلغني تقول لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرأبت اليهودية ، والنصرانية ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الثانية لفقد نبيهم[2] ، وقال القاضي أبو بكر بن العربي : .. واضطربت الحال .. فكان موت النبي صلى الله عليه وسلم قاصمة الظهر ، ومصيبة العمر ، فأما علي فاستخفى في بيت فاطمة ، وأما عثمان فسكت ، وأما عمر فأهجر ، وقال : ما مات رسول الله وإنما واعده ربه كما واعد موسى ، وليرجعن رسول الله ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم[3] ، ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح ، حتى نزل ، فدخل المسجد ، فلم يكلِّم الناس ، حتى دخل على عائشة فتيمَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُغشّى بثوب حبرة ، فكشف عن وجهه ، ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي عليك فقد متها[4] ، وخرج أبو بكر وعمر يتكلم فقال : أجلس يا عمر ، وهو ماضي في كلامه ، وفي ثورة غضبه ، فقام أبو بكر في الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، فقال : أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمد قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا هذه الآية : ((**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ**

[1] لطائف المعارف صـ ١١٤ .
[2] سيرة ابن هشام (٣٢٣/٤) .
[3] القواصم من العواصم صـ ٣٨ .
[4] البخاري ، ك المغازي ـ رقم ٤٤٥٢ .

الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)) (آل عمران ، آية : ١٤٤). فنشج الناس يبكون .

وبهذه الكلمات القلائل ، واستشهاد الصديق بالقرآن الكريم خرج الناس من ذهولهم وحيرتهم ورجعوا إلى الفهم الصحيح رجوعاً جميلاً ، فالله هو الحي وحده الذي لا يموت ، وأنه وحده الذي يستحق العبادة ، وأن الإسلام باق بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم[1] ، كما جاء في رواية من قول الصديق : إن دين الله قائم ، وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصر من نصره ، ومعز دينه ، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء وبه هدى الله محمد صلى الله عليه وسلم وفيه حلال الله وحرامه ، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله ، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد ، ولنجاهدنّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله فلا يبغين أحد إلا على نفسه[2] .

كان موت محمد صلى الله عليه وسلم مصيبة عظيمة ، وابتلاءاً شديداً ، ومن خلالها وبعدها ظهرت شخصية الصديق كقائد للأمة فذ لا نظير له ولا مثيل[3] ، فقد أشرق اليقين في قلبه وتجلى ذلك في رسوخ الحقائق فيه ، فعرف حقيقية العبودية ، والنبوة ، والموت ، وفي ذلك الموقف العصيب ظهرت حكمته رضي الله عنه ، فانحاز

[1] استخلاف أبو بكر الصديق ـ جمال عبد الهادي صـ ١٦٠ .
[2] دلائل النبوة للبيهقي (٢١٨/٧) .
[3] دولة ـ مجدي حمدي صـ ٢٥ ، ٢٦ .

بالناس إلى التوحيد (من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) ومـــا زال التوحيد في قلوبهم غضاً طرياً ، فما إن سمعوا تذكير الصديق لهم حتى رجعوا إلى الحق[1] ، تقول عائشة رضي الله عنها : فوالله لكـــأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكـــر رضي الله عنه فتلقاها منه الناس ، فما يسمع بشر إلا يتلوها[2] . ولا شك أن هذه الحادثة أخذت مكانها الطبيعي في ذاكرة الحسن بـــن علي وأصبحت من ضمن ثقافته ومعرفته ، فقد كان عمر الحـــسن عندما مضى رسول الله إلى الرفيق الأعلى سبع أو ثماني سنين وهـــو طور تنمو فيه مدارك الطفولة ، وتكون فيه فكرة الطفل كالعدســـة اللاقطة تنقل إلى ذاكرته كثيراً من المشاهدات والصور ، والحسن من الأطفال الأذكياء وله من الاستعداد لأن يستوعب مجريـــات ذلـــك العهد ويفهم الغايات السامية والأعمال العظيمة ، والمواقف المشهودة والقيم الكبرى التي قام بها الصديق ، ولقد أثرت تلـــك الأعمـــال والمواقف على نفسية الحسن وتملك قلبه حب الصديق وسمّى أحـــد أبنائه عليه . ومن أهم الدروس التي تعلمها الحسن من وفاة النبي هي أن البقاء للمبادئ وليست للأشخاص وأهمية التعلق بالله وحده فهو الباقي وهو النافع والضار وهو على كل شئ قدير .

٢ ـــ سقيفة بني ساعدة :

لما علم الصحابة رضي الله عنهم بوفاة رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة في اليوم نفسه وهو يوم

---

[1] استخلاف أبو بكر الصديق صـ ١٦٠ .
[2] البخاري ، رقم ١٢٤١ ، ٢٤٢ .

الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة ، وتداولوا الأمر بينهم في اختيار من يلي الخلافة من بعده[1] ، والتف الأنصار حول زعيم الخزرج سعد بن عبادة رضي الله عنه ، ولما بلغ خبر اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة إلى المهاجرين وهم مجتمعون مع أبي بكر لترشيح من يتولى الخلافة[2] ، قال المهاجرون لبعضهم : انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فإن لهم في هذا الحق نصيباً[3] ، .. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا رجل مزمّل بين ظهرانيهم ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا سعد بن عبادة ، فقلت : ما له ؟ قالوا : يُوعَك ، فلما جلسنا قليلاً تشهَّد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط ، وقد دفت دافة من قومكم[4] ، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر[5] ، فلما سكت أردت أن أتكلم ــ وكنت قد زوَّرتُ مقالتي أعجبتني أريد أقدّمها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحدِّة ، فلما أردتُ أن أتكلم قال أبو بكر : على رسلك . فكرهت أن أغضبه ، فتكلم أبو بكر ، فكان هو أحلم مني وأوقر ، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت ، فقال : ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له

---

1 التاريخ الإسلامي (٢١/٩) .
2 عصر الخلافة الراشدة للعمري صـ ٤٠ .
3 المصدر نفسه صـ ٤٠ .
4 أي عدد قليل .
5 أي يخرجوننا من أمر الخلافة .

أهل ، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيِّ من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ــ فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ــ فلم أكره مما قال غيرها ، والله أن أقدّم فتضرب عنقي لا يُقرِّبني ذلك من إثم أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، اللهم إلا أن تُسوِّل إليَّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن . فقال قائل من الأنصار : أنا جُذيلها المحكَّك ، وعُذيقُها المرجَّب[١] ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش ، فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى فرقت من الاختلاف فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار[٢] . وفي رواية أحمد .. فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فلم يترك شيئاً في الأنصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم وإلا ذكره ، وقال : ولقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار . ولقد علمت يا سعد[٣] ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد : قريش ولاة هذا الأمر فَبَرُّ الناس تبع لبرِّهم ، وفاجر الناس تبع لفاجرهم ، قال فقال له سعد : صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء .[٤]

.

---

[1] الجزيل : عود ينصب للإبل الجَرْبَى لتحتك به ، والمحكك : الذي يحتك به كثيراً ، أراد أن يستشفي برأيه ، والعذيق النخلة : أي الذي يعتمد عليها .

[2] البخاري ، ك الحدود ـ رقم ٦٨٣٠ .

[3] يعني سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه .

[4] مسند أحمد (٥/١) ، صحيح لغيره .

وكان أبو بكر الصديق زاهداً في الإمارة وظهر زهده في خطبته التي اعتذر فيها من قبول الخلافة حيث قال : والله ما كنت حرصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغباً ولا سـألتها الله عـزَّ وجل في سر وعلانية ، ولكني أشفقت من الفتنة ، ومالي في الإمارة من راحة ولكن قلدت أمراً عظيماً مالي به طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل ، ولو وددت أن أقوي الناس عليها مكاني[1] ، وقـد قـام بإستبراء نفوس المسلمين من أي معارضة لخلافته واستحلفهم علـى ذلك فقال : أيها الناس أذكر الله أيمـا رجل ندم على بيعتي لما قـام على رجليه ، فقال علي بن أبي طالب ، رضي الله عنـه ، ومعـه السيف ، فدنا منه حتى وضع رِجلاً على عتبة المنبر ، والأخرى على الحصى وقال : والله لا نقيلك ولا نستقيلك قدّمك رسول الله فمن ذا يؤخرك[2] ، هذه هي الحقائق التي عرفها وتعلمها الحسن بن علـي عن حادثة السقيفة لا كما يدعي مزورو التاريخ و لم يكن أبو بكـر وحده الزاهد في أمر الخلافة والمسئولية ، بل أنهـا روح العـصر ـــ ويمكن الرجوع إلى النصوص التي تمّ ذكرهـا بتوسـع في كتـابي الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق[3] ، ويمكن القول : إن الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة لا يخرج عن هذا الاتجاه ، بل يؤكد حرص الأنصار على مستقبل الدعوة الإسلامية واسـتعدادهم المستمر للتضحية في سبيلها ، فما أن اطمأنوا علـى ذلـك حـتى

---

[1] المستدرك (٦٦/٣) قال الحاكم : حديث صحيح وأقره الذهبي .
[2] الأنصار في العصر الراشدي صـ ١٠٨ ، الرياض النضرة (٢١٦/١) .
[3] الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي البكر الصديق صـ ١٣٦ إلى ١٨٧ .

استجابوا سراعاً لبيعة أبي بكر الذي قبل البيعة لهذه الأسباب ، وإلا فإن نظرة الصحابة مخالفة لرؤية الكثير مما جاء بعدهم ممن خالفوا المنهج العلمي ، والدراسة الموضوعية ، بل كانت دراستهم متناقضة مع روح ذلك العصر ، وآمال وتطلعات أصحاب رسول الله من الأنصار وغيرهم ، وإذا كان اجتماع السقيفة أدي إلى إنشقاق بين المهاجرين والأنصار كما زعمه بعضهم[١] ، فكيف قبل الأنصار بتلك النتيجة وهم أهل الديار وأهل العدد والعدة ؟ وكيف انقادوا لخلافة أبي بكر ونفروا في جيوش الخلافة شرقاً وغرباً مجاهدين لتثبيت أركانها ؟ لو لم يكونوا متحمسين لنصرتها ؟ فالصواب اتضح من حرص الأنصار على تنفيذ سياسة الخلافة والاندفاع لمواجهة المرتدين ، وأنه لم يتخلف أحد من الأنصار عن بيعة أبي بكر فضلاً عن غيرهم من المسلمين وأن أخوة المهاجرين والأنصار أكبر من تخيلات الذين سطروا الخلاف بينهم في رواياتهم المغرضة[٢] والتي زعموا أن حادثة السقيفة أثرت في نفسية الحسن بن علي لما رأى من التآمر والمكر والخديعة كما زعم صاحب كتاب حياة الإمام الحسن بن علي[٣] .

فالحقيقة التي يعرفها الحسن بن علي رضي الله عنه أنه لم يحدث أزمات لا بسيطة ولا خطيرة ، و لم يثبت أي انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع في الخلافة كما زعم بعض كتاب التاريخ الذين

1 أنظر : الإسلام وأصول الحكم ، محمد عمارة صـ ٧١ إلى ٧٤ .
2 الأنصار في العصر الراشدي .
3 أنظر : حياة الحسن بن علي ، باقر شريف القرشي (١٢٣/١ إلى ١٣٩) .

اعتمدوا على روايات الروافض ، وكتب الأدب ، وأكاذيب التاريخ ، ولم يثبت النقل الصحيح تآمراً حدث بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] ، فهم كانوا أخشى لله وأتقى من أن يفعلوا ذلك .

إن الحسن رضي الله عنه حدثنا بأنه عقل الصلوات الخمس في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يتردد على مسجد رسول الله ولا شك في أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم أبا بكر على غيره أثناء مرضه صلى الله عليه وسلم ، وقد علم ببيعة المسلمين لأبي بكر بعد جده ، فمعتقد الحسن بن علي رضي الله عنه في خلافة أبي بكر ، معتقد أهل السنة والجماعة القائل بصحة وشرعية خلافة أبي بكر الصديق بعد النبي صلى الله عليه وسلم لفضله وسابقته وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم إياه في الصلوات على جميع الصحابة وقد فهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مراد المصطفى عليه الصلاة والسلام من تقديمه في الصلاة ، فأجمعوا على تقديمه في الخلافة ومتابعته ولم يختلف منهم أحد ولم يكن الرب جلا وعلا ليجمعهم على ضلالة فبايعوه طائعين وكانوا لأوامره ممتثلين ولم يعارض أحد في تقديمه[2] ، فعندما سئل سعيد بن زيد متى بويع أبو بكر ؟ قال : يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم : كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة[3] ، وقد نقل جماعة من أهل

[1] استخلاف أبو بكر ، جمال عبد الهادي صـ ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ .
[2] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٥٥٠/٢) .
[3] تاريخ الطبري (٢٠٧/٣) .

العلم المعتبرين إجماع الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر رضي الله عنه أولى بالخلافة من كل أحد[1]، كالخطيب البغدادي[2] وأبي الحسن الأشعري[3]، وعبد الملك الجويني[4] وأبي بكر البقلاني[5]، وقد استوعب الحسن بن علي رضي الله عنه أسس الخلافة الإسلامية الراشدة وبأنها تقوم على الشورى، والبيعة، وقد أجمع المسلمون على وجوب الخلافة، وأن تعيين الخليفة فرض على المسلمين يرعى شئون الأمة ويقيم الحدود ويعمل على نشر الدعوة الإسلامية وعلى حماية الدين والأمة بالجهاد وعلى تطبيق الشريعة وحماية حقوق الناس ورفع المظالم وتوفير الحاجات الضرورية لكل فرد[6].

هذا وقد قام أهل الحل والعقد في سقيفة بني ساعدة ببيعة الصديق خاصة ثم رشحوه للناس في اليوم الثاني وبايعته الأمة في المسجد البيعة العامة[7].

وقد تعلم الحسن رضي الله عنه مما دار في سقيفة بني ساعدة مجموعة من المبادئ منها، أن قيادة الأمة لا تقام إلا بالاختيار، وأن البيعة هي أصل من أصول الاختيار وشرعية القيادة، وأن الخلافة لا يتولاها إلا الأصلب ديناً والأكفأ إدارة، فاختيار الخليفة يكون وفق مقومات إسلامية، وشخصية، وأخلاقية، .. وأن الحوار الذي دار

---

1 عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/٥٥٠).
2 تاريخ بغداد (١٠/١٣٠ ـ ١٣١).
3 الإبانة عن أصول الديانة صـ ٦٦.
4 كتاب الإرشاد صـ ٣٦١.
5 الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به صـ ٦٥.
6 الخلافة والخلفاء الراشدون صـ ١٦٣.
7 الخلافة والخلافاء الراشدون صـ ٦٦، ٦٧.

في سقيفة بني ساعدة قام على قاعدة الأمن النفسي السائد بين المسلمين حيث لا هرج ولا مرج ، ولا تكذيب ولا مؤامرات ولا نقض للاتفاق ، ولكن تسليم للنصوص التي تحكمهم حيث المرجعية في الحوار إلى النصوص الشرعية[1] .

٣ ـ بعض ملامح الحكم في عهد الصديق :

إن الحسن بن علي رضي الله عنه قد استوعب هدي النبي صلى الله عليه وسلم وهدي الخلفاء الراشدين ، ولذلك نجده عندما تنازل لمعاوية شرط عليه الالتزام بالكتاب والسنة ومنهج الخلفاء الراشدين ، وهذا يدلنا على أنه على علم ودراية بعهد الصديق رضي الله عنهما ، وخطة الصديق عندما تولى القيادة تعتبر من عيون الخطب الإسلامية على إيجازها وقد قرر فيها قواعد العدل والرحمة في التعامل بين الحاكم والمحكوم وركز على أن طاعة ولي الأمر مرتبة على طاعة الله ورسوله ، ونص على الجهاد في سبيل الله لأهميته في إعزاز الأمة ، وعلى اجتناب الفاحشة لأهميته ذلك في حماية المجتمع من الانهيار والفساد[2] ، ومن خلال الخطبة ، والأحداث التي تمت بعد وفاة رسول ، تعلم الحسن بن علي ملامح نظام الحكم في بداية عهد الخلافة الراشدة والتي من أهمها :

أ ـ القرآن الكريم والسنة النبوية : ، المرجعية العليا في دولة الصديق رضي الله عنه :

1 دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، للشجاع صـ ٢٥٦ .
2 التاريخ الإسلامي (٢٨/٩) .

قال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم[1] .

ب ــ حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته :

وجاء في خطبته : فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني[2]

ت ــ إقرار مبدأ العدل والمساواة بين الناس :

وجاء في خطبته أيضاً : الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله[3] .

ث ــ الصدق أساس التعامل بين الحكم والمحكوم :

وجاء في خطبته أيضاً : الصدق أمانة والكذب خيانة[4] . أن الصدق بين الحاكم والأمة هو أساس التعامل ، في العهد الراشدي .

ج ــ إعلان التمسك بالجهاد وإعداد الأمة لذلك :

قال أبو بكر رضي الله عنه : وما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل[5] ، وهذا ما فهمه الصديق من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تبايعتم بالعينة ، ،اخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه ، حتى ترجعوا إلى دينكم[6] .

---

1 البداية والنهاية (٣٠٦/٦) .
2 البداية والنهاية (٣٠٥/٦) .
3 البداية والنهاية (٣٠٥/٦) .
4 المصدر نفسه (٣٠٥/٦) .
5 المصدر نفسه (٣٠٥/٦) .
6 سنن أبي داود رقم ٣٤٦٢ صححه الألباني .

ح ــ تطهير المجتمع من الفواحش :

قال أبو بكر رضي الله عنه : ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء[1] ، والصديق هنا يذكر الأمة بقول النبي صلى الله عليه وسلم : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا[2] . هذه بعض الأهداف التي بينها الصديق في خطابه للأمة بعد البيعة العامة والذي رسم فيه سياسة الدولة فحدد مسئولية الحاكم ومدى العلاقة بينه وبين المحكومين وغير ذلك من القواعد المهمة في بناء الدولة وتربية الشعوب[3] .

٤ ــ مبايعة والد الحسن للصديق رضي الله عنهما :

جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن علياً والزبير رضي الله عنهما بايعا الصديق في أول الأمر وقد ذكرت تفاصيلها في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[4] ، وقد رأى الحسن والده في مواقفه الداعمة للصديق ، فقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات ، وكان يشاركه في المشورة ، وفي تدبير أمور المسلمين ، وكان رضي الله عنه لأبي بكر عيبة نصح[5] له مرجحاً لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شئ آخر ، ومن الدلائل

---

[1] البداية والنهاية (٦/٣٠٥) .
[2] صحيح ابن ماجة للألباني رقم ٤٠١٩ .
[3] الإنشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق صـ ١٨٣ .
[4] أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (١/١٨٧) .
[5] العيبة : وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصور ووعاء من أدم يكون فيه المتاع .

الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين ما جاء في موقفه من توجه أبي بكر رضي الله عنه بنفسه إلى ذي القصة، وعزمه على محاربة المرتدين ، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه ، وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي[1] ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما برز أبو بكر إلى ذي القصة واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؟ أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك ، وارجع إلى المدينة ، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً ، فرجع[2] ، فلو كان علي رضي الله عنه ـــ أعاذه الله من ذلك ـــ لم ينشرح صدره لأبي بكر ، وقد بايعه على رغم من نفسه ، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها علي ، فيترك أبا بكر وشأنه ، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو له الجو ، وإذا كان فوق ذلك ـــ حاشاه الله ـــ من كراهته له ، وحرصه على التخلص منه ، أغرى به أحداً يغتاله ، كما يفعل السياسيون الانتهازيون بمنافسيهم ، وأعدائهم[3] ، وقد كان رأي علي رضي الله عنه مقالتة المرتدين وقال لأبي بكر لما قال لعلي ، ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال أقول : إنك إن تركت شيئاً مما كان أخذه منهم رسول الله ، فأنت على خلاف سنة الرسول ، فقال : أما لئن قلت : ذاك لأقاتلنهم وإن منعوني عقالاً[4] ،

---

[1] المرتضى للندوي صـ ٩٧ .
[2] البداية والنهاية (٣١٤/٦ ـ ٣١٥) .
[3] المرتضى للندوي صـ ٩٧ .
[4] المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري صـ ٤٨ .

ولا شك أن الحسن بن علي سمع والده في مدحه لأبي بكر وعمر مثل قوله : لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى[1] ، وقوله : ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر وعمر[2] ، وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : خير الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر . وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة قيل أنها تبلغ ثمانين طريقاً[3] ، وعن صلة بن زفر العبسي قال : كان أبو بكر إذا ذكر عند علي قال : السباق تذكرون والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر[4] ، وقد كان علي رضي الله عنه يمتثل أوامر الصديق فعندما جاء وفد من الكفار إلى المدينة ، ورأوا بالمسلمين ضعفاً وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة وأحس منهم الصديق خطراً على عاصمة الإسلام والمسلمين ، أمر الصديق بحراسة المدينة وجعل الحرس على انقابها يبيتون بالجيوش ، وأمر علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس ، وبقوا ذلك حتى آمنوا منهم[5] ، وللتعامل الموجود بينهم وللتعاطف والتوادد والوئام الكامل كان عليّ وهو سيد أهل البيت ووالد سبطي الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يتقبل الهدايا والتحف داب الأخوة المتساورين ما بينهم والمتحابين كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت

[1] فضائل الصحابة (٨٣/١) في سنده ضعف .
[2] مسند أحمد (١٠٦/١ ، ١١٠ ، ١٢٧) صحح أحمد شاكر .
[3] منهاج السنة (١٦٢/٣) .
[4] الطبراني في الأوسط (٢٠٧/٧ ، ٢٠٨) إسناده ضعيف .
[5] تاريخ الطبري (٦٤/٤) ، الشيعة وأهل البيت صـ ٧١ .

في معركة عين التمر ، وولدت له عمر ورقيـــة[1] ، وأيـــضاً منحـــه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع من أسر في حرب اليمامة وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد بن الحنفية ، وكانت خولة من سبي أهل الردة وبها يعرف ابنها ونسب إليها محمد بن الحنفية[2] ، يقول الأمام الجويني عن بيعة الصحابة لأبي بكر : وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكر ـــ رضي الله عنه ـــ وكان علي رضي الله عنه سامعاً لأمره ، وبايع أبا بكـــر على ملأ من الأشهاد ، ونهض إلى غـــزو بـــني حنيفـــة[3] ، ووردت روايات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية والخمس من الغنائم وأموال الفئ من الصديق رضي الله عنهم أجمعين وكان علـــيّ هـــو القاسم والمتولي في عهده على الخمس والفئ وكانت هذه الأمـــوال بيد علي ، ثم كانت بيد الحسن ، ثم بيد الحسين ، ثم الحـــسن بـــن الحسن ثم زيد بن الحسن[4] ، وكان علي رضـــي الله عنـــه يـــؤدي الصلوات الخمسة في المسجد خلف الصديق ، راضـــياً بإمامتـــه ، ومظهراً للناس إتفاقه ووئامه معه[5] وهذا ما عرفه الحسن بن علي في علاقة والده بالصديق ، بالإضافة إلى المصاهرات بين الصديق وأهل البيت ، وتسمية أهل البيت بعض أسمائهم باسم أبي بكـــر ، فقـــد كانت صلة أبي بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] الطبقات (٢٠/٣) المصدر نفسه .
[2] الطبقات (٢٠/٣) .
[3] الإرشاد للجويني صـ ٤٢٨ نقلاً عن أصول مذهب الشيعة للغفاري .
[4] الشيعة وأهل البيت صـ ٧٢ .
[5] المصدر نفسه صـ ٧٢ .

بأعضاء أهل البيت ، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم ، وكانت هذه المودة والثقة متبادلة وكانت من المتانة بحيث لا يتصور معها التباعد والاختلاف مهما نسج المسامرون الأساطير والأباطيل ، فالصديقة عائشة بنت الصديق بنت أبي بكر كانت زوجة جد الحسن بن علي صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب الناس إليه مهما احترق الحساد ونقم المخالفون ، فإنها حقيقة ثابتة وهي طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون ، ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق علي ، فمات عنها وتزوجها الصديق وولدت له ولداً سماه محمداً الذي ولاه على مصر ، ولما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له ولداً سماه يحي[1] ، وكان من حب أهل البيت للصديق والتوادد ما بينهم أنهم سموا أبنائهم بأسماء أبي بكر ، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام علي للصديق رضي الله عنهما ، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة ، بل بعد وفاته كما هو معروف بداهة ، وعلي رضي الله عنه لم يسم ابنه بأبي بكر إلا متيمناً بالصديق ، وإظهاراً له المحبة والوفاء وحتى بعد وفاته وإلا فلا يوجد في بني هاشم رجل قبل علي سمي ابنه بهذا الإسم ، ثم لم يقتصر علي بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصديق بل بعده بنوه أيضاً مشوا مشيه ونهجوا نهجه ، فالحسن والحسين سميا كل واحد منهم أحد أولادهما بأبي بكر ، وحتى اليعقوبي والمسعودي ذكر ذلك

[1] خلافة علي بن أبي طالب وترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية للسُلمي صـ ٢٢ .

، وهما من مؤرخي الشيعة[1] ، واستمر أهل البيت يسمون من أسماء أولادهم بأبي بكر ، ولا شك أن العلاقة المتينة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما كان لها أثرها البالغ في نفسية وقلب الحسن بن علي مما ترتب عليه تقديره للصديق واحترامه ومعرفة فضله ومكانته في الإسلام .

٥ ـ إنفاذ الصديق جيش أسامة رضي الله عنهما :

ومن الأحداث المشهورة في عهد الصديق والتي لها أثرها الخاص في ثقافة الحسن وجيله إنفاذ أبي بكر لجيش أسامة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وإصراره على ذلك تنفيذاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد اقترح بعض الصحابة على الصديق رضي الله عنه بأن يبقى الجيش فقالوا : إن هؤلاء جل المسلمين ، والعرب كما ترى ـ قد انتقضت بك فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين[2] ، وأرسل أسامة من معسكره من الجرف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس ، وقال : إنَّ معي وجوه المسلمين وجلتهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله ، وحرم رسول الله ، والمسلمين أن يتخطفهم المشركون[3] ، وبعد مناقشات ومداولات أمر الصديق بفض الاجتماع الأول ثم دعاهم إلى اجتماع عام آخر في المسجد ، وفي هذا الاجتماع طلب من الصحابة أن ينسوا فكرة إلغاء مشروع وضعه رسول الله بنفسه

[1] تاريخ اليعقوبي (٢/٢٢٨) .
[2] البداية والنهاية (٦/٣٠٨) .
[3] الكامل لابن الأثير (٢/٢٢٦) .

وأبلغهم أنه سينفذ هذا المشروع حتى لو تسبب تنفيذه في احتلال المدينة من قبل الأعراب المرتدين ، فقد وقف خطيباً وخاطب الصحابة[1] قائلاً : والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته[2] وطلبت الأنصار رجلاً أقدم سناً من أسامة يتولى أمر الجيش وأرسلوا عمر بن الخطاب ليحدث الصديق في ذلك ، فقال عمر رضي الله عنه : فإن الأنصار تطلب رجلاً أقدم سناً من أسامة رضي الله عنه فوثب أبو بكر رضي الله عنه وكان جالساً وأخذ بلحية عمر رضي الله عنه وقال : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب : استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأمرني أن أعزله[3] ، .. ثم خرج أبو بكر الصديق حتى أتاهم ، فأشخصهم ، وشيعهم ، وهو ماش راكب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر رضي الله عنهما ، فقال له أسامة رضي الله عنه : يا خليفة رسول الله : والله لتركبن أو لأنزلن . فقال : والله لا تنزل ، والله لا أركب . وما عليَّ أن أُغبِّر قدميَّ في سبيل الله[4] . ثم قال الصديق رضي الله عنه لأسامة رضي الله عنه : إن رأيت تعينني بعمر رضي الله عنه فافعل ، فأذن له[5] . ثم توجه الصديق رضي الله عنه إلى الجيش فقال : يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر ، فاحفظوها عني لا

---

[1] الشورى بين الأصالة والمعاصرة صـ ٨٣ .
[2] تاريخ الطبري (٤/٤٥) .
[3] المصدر نفسه (٤/٤٦) .
[4] المصدر نفسه (٤/٤٦) .
[5] تاريخ الطبري (٤/٤٦) .

تخونوا ولا تغلوا ، وتغدروا ولا تمثلوا[1] ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغّوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منه شيئاً بعد شئ فاذكروا اسم الله عليها . وتلقون أقواماً قد فحصوا[2] أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فأخفقوهم[3] بالسيف خفقاً . اندفعوا باسم الله[4] ، وأوصى الصديق أسامة رضي الله عنهما أن يفعل ما أمر به النبي الكريم قائلاً : أصنع ما أمرك به نبي الله صلى الله عليه وسلم أبدأ ببلد قضاعة ثم إيت آبل[5] ، ولا تقصِّرن في شئ من أمر رسول الله ، ولا تعجلنَّ لما خلَّفت عن عهده[6] ، ومضى أسامة بجيشه وانتهى إلى ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من بث الخيول من قبائل قضاعة ، والغارة على آبل ، فسَلِم وغنم[7] ، وكان مسيره ذاهباً وقافلاً أربعين يوماً[8] .

وقد قدم بنعي رسول الله على هِرَقل وإغارة أسامة في ناحية أرضه خبراً واحداً ، فقالت الروم : ما بال هؤلاء يموت صاحبهم ثم أغاروا على أرضنا[9] ، وقال العرب : لو لم يكن لهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش[10] ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه[1] ولقد اختلق

---

1 ولا تمثلوا : يقال مثلت بالحيوان أمثل به مثلا إذا قطعت أطرافه وشوّهت به .
2 فحصوا : حلقوا .
3 فأخفقوهم : من أخفق فلاناً أي صرعه .
4 تاريخ الطبري (٤/٤٦) .
5 آبل : منطقة في جنوب بلاد الأردن اليوم .
6 تاريخ الطبري (٤/٤٧) .
7 تاريخ الطبري (٤/٤٧) .
8 المصدر نفسه (٤/٤٧) ، تاريخ خليفة بن خياط صـ ١٠١ .
9 عهد الخلفاء الراشدين للذهبي صـ ٢٠ .
10 قصة بعض أبي بكر جيش أسامة د. فضل إلهي صـ ١٤ .

اختلق بعض الشيعة الرافضة حديثاً نسبوه لرسول الله ، لا أصل له في كتب السنة فقالوا : بأن رسول الله لعن من تخلف عن جيش أسامة ، وهذا الحديث منكر لا أصل له وهم ما احتجوا بهذا الحديث المختلق إلا ليجعلوا من أبي بكر وعمر أول الملعونين . فقد قالوا : وقد تخلف أبو بكر وعمر عن جيش أسامة و لم يجد الرافضة الحديث مسنداً إلا من طريق منبوذ مجهول لدى الرافضة والسنة لقد استفاد الحسن بن علي رضي الله عنه وشباب ذلك الجيل من قصة انفاذ جيش أسامة دروساً وعبراً منها .

أ ـ الأحوال تتغير وتتبدل والشدائد لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين :

فقد علّم الصديق الأمة إذا نزلت بها الشدة وألمت بها المصيبة أن تصبر ، فالنصر ، مع الصبر ، وأن لا تيأس ولا تقنط من رحمة الله ((إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)) (الأعراف ، آية : ٥٦) . وليتذكر المسلم دائماً أن الشدة مهما عظمت ، والمصيبة مهما اشتدت وكبرت فإن من سنن الله الثابتة ، ((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)) (الإنشراح ، آية : ٥ ـ ٦) . وإن المسلم لأمره عجيب في هذه الدنيا فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء

---

[1] الكامل لابن الأثير (٢/٢٢٧) .

شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له[1] .
فالشدائد والمصائب مهما عظمت وكبرت لا تشغل أهل الإيمان عن أمر الدين ، فوفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم تشغل الصديق عن أمر الدين وأمر ببعث أسامة في ظروف كالحة مظلمة بالنسبة للمسلمين ولكن ما تعلمه الصديق من رسول الله من الاهتمام بأمر الدين مقدم على كل شئ وبقي هذا الأمر حتى ارتحل من هذه الدنيا[2] ، وقد تعلم الحسن بن علي رضي الله عنه هذا الدرس واستوعبه وعاش به في حياته .

ب ــ المسيرة الدعوية لا ترتبط بأحد ، ووجوب اتباع النبي صلي الله عليه وسلم فقد تعلم الحسن بن علي من قصة إنفاذ جيش أسامة بأن مسيرة الدعوة لم ولن تتوقف ، حتى بموت سيد الخلق ، وإمام الأنبياء وقائد المسلمين صلى الله عليه وسلم ، وقد كان الصديق رضي الله عنه قبل ذلك قد بين في خطبته التي ألقاها إثر بيعته عن عزمه على مواصلة بذل الجهود لخدمة هذا الدين[3] ، وقد جاء في رواية قوله : فاتقوا الله أيها الناس ، واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم ، وإن كلمة الله تامة ، وإن الله ناصر من نصره ، ومعز دينه والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله ، إن سيوف الله لمسلولة ، وما وضعناها بعد ، ولنجاهدنَّ من خالفنا كما جاهدنا مع

---

[1] مسلم (٢٢٩٥/٤) .
[2] قصة بعث أبي بكر جيش أسامة صـ ٢٤ .
[3] قصة بعث أبي بكر جيش أسامة صـ ٢٧ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يبغين أحد إلا على نفسه[1] . ومن الدروس التي استفادها الحسن بن علي من قصة أنفاذ الصديق جيش أسامة رضي الله عنهم أنه يجب على المسلمين اتباع أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، في السراء والضراء ، فقد بين الصديق من فعله أنه عاض على أوامر النبي صلى الله عليه وسلم بالنواجذ ومنفِّذها مهما كثرت المخاوف وشدّت المخاطر فمن أقوال الصديق الخالدة في تلك الحادثة : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته[2] ، وقدَّم بموقفه هذا صورة تطبيقية لقول الله تعالى : ((**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**)) (الأحزاب ، آية : ٣٦) ، وقد تعلم المسلمون أن الله تعالى ربط نصر الأمة وعزها باتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن أطاعه فله النصر والتمكين ، ومن عصاه فله الذل والهوان ، فسر حياة الأمة في طاعتها لربها واقتدائها بسنَّة نبيها صلى الله عليه وسلم[3] .

جـ ـ حدوث الخلاف بين المؤمنين وردَّه إلى الكتاب والسنَّة:

[1] البداية والنهاية (٢١٣/٥ ، ٢١٤) .
[2] تاريخ الطبري (٤٥/٤) .
[3] الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق للصَّلاَّبيِّ صـ ٢٢٧ ، قصة جيش أسامة صـ ٢٢٧ .

ومما إستفاده الحسن بن علي رضي الله عنه من هذه القصة أنـــه قد يحدث الخلاف بين المؤمنين الصادقين حول بعض الأمور فقد اختلفت الآراء حول تنفيذ جيش أسامة رضي الله عنه في تلك الظروف الصعبة ، وقد تعددت الأقوال حول إمارته و لم يـــصر أحد على رأي بعد وضوح فـــساده وبطلانـــه ، وعنـــدما ردّ الصديق الخلاف إلى ما ثبت من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ببعث أسامة وبين رضي الله عنه أنه ما كان ليفرِّط فيما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما وضحه لهم الـــصديق ، وكما أنه لا عبرة لرأي الأغلبية إذا كان مخالفاً للنص ، فقد رأى عامّة الصحابة حبس جيش أسامة ، وقالوا للصديق : إن العرب قد انتقصت عليك وإنك لا تصنع بتفريق الناس شيئاً[1] ، فأولئك الناس لم يكونوا كعامة الناس بل كانوا من الصحابة الذين هم خير البشر وجدوا على الأرض بعد الأنبياء والرســـل علـــيهم السلام ، لكن الصديق رضي الله عنه لم يستجب لهم مبينـــاً أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أجل وأكرم ، وأوجب مـــن رأيهم كلهم[2] ، قال الحافظ بن حجـــر : تعليقـــاً علـــى رأي الأكثرية ، حول وفاته صلى الله عليه وسلم : فيؤخذ منـــه أن الأقل عدداً في الاجتهاد قد يصيب ويخطئ الأكثرية ، فلا يتعين الترجيح ، بالأكثر[3] ، فخلاصة الكلام إن مما نستفيده من قصة

---

1 تاريخ خليفة بن خياط صـ ٢٢٧ .
2 قصبة بعث أبي بكر جيش أسامة صـ ٤٤ .
3 فتح الباري (١٤٦/٨) .

تنفيذ الصديق جيش أسامة رضي الله عنهما أن تأييد الكثرة لرأي ليس دليلاً على إصابته[1] ، ومما يستفاد من هذه القصة انقياد المؤمنين وخضوعهم للحق إذا اتضح لهم ، فعندما ذكرهم الصديق أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بتنفيذ جيش أسامة وهو الذي عين أسامة أميراً على الجيش ، انقاد أولئك الأبرار للأمر النبوي الكريم[2] .

س ـــ جعل الدعوة مقرونة بالعمل :

فقد تعلم الحسن بن علي رضي الله عنه من قصة جيش أسامة أهمية جعل الدعوة مقرونة بالعمل ، فقد علم أن الصديق لم يقتصر على الإصرار على إمارة أسامة فحسب بل قدم اعترافاً عملياً بإمارته ، وقد تجلى ذلك في أمرين :

- **مشى أبو بكر رضي الله عنه مع أسامة رضي الله عنه** ، وهو راكب وقد كان ابن عشرين سنة من عمره وأصر على المشي مع أسامة رضي الله عنه ، كما أصر على بقاء أسامة راكباً لما طلب منه أسامة رضي الله عنه إما أن يركب هو ، أو يأذن له بالنزول ، فلم يوافق رضي الله عنه لا على هذا ولا على ذاك ، وكأن الصديق بمشيه ذلك يخاطب الجيش فيقول : انظروا أيها المسلمون أنا أبو بكر رغم كوني

---

[1] قصة بعث أبي بكر جيش أسامة ٤٦ .
[2] المصدر نفسه صـ ٥٢ .

خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشي مع أسامة وهو راكب إقراراً وتقديراً لإمارته .

- **كان أبو بكر الصديق يرغب في بقاء عمر بن الخطاب** نظراً لحاجته إليه ، لكنه لم يأمره بذلك ، بل استأذن من أسامة في تركه إياه بالمدينة إن رأى هو ذلك مناسباً ، وبهذا قدَّم الصديق رضي الله عنه صورة تطبيقية أخرى لاعترافه واحترامه لإمارة أسامة رضي الله عنه ، وفيها بلا شك دعوة قوية للجيش إلى الإقرار والانقياد لإمارته وهذا الذي اهتم به الصديق رضي الله عنه من جعل دعوته مقرونة بالعمل هو الذي أمر به الإسلام ووبّخ الرب عز وجل أولئك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم[1] ، قال تعالى : ((**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)) (البقرة ، آية : ٤٤) .

ش ـــ مكانة الشباب في الإسلام :

ومما يتجلى في هذه القصة كذلك منزلة الشباب العظيمة في خدمة الإسلام ، فقد عين رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاب أسامة بن زيد رضي الله عنهما أميراً على الجيش المعدّ لقتال الروم ـــ القوة العظمى في زعم الناس في ذلك الوقت ـــ وكان عمره آنذاك عشرين سنة ، أو ثماني عشرة سنة ، وأقره أبو بكر الصديق رضي الله عنه على منصبه رغم انتقاد الناس ،

[1] قصة بعث أبي بكر جيش أسامة صـ ٦٦ .

وعاد الأمير الشاب بفضل الله من مهمته التي أسندت إليه غانماً ظافراً وفي هذا توجيه للشباب في معرفة مكانتـــهم في خدمـــة الإسلام[1] . فعلى الدعاة والمربين إعطاء هـــذا الجانـــب حقـــه بالإهتمام ، وفتح المجال أمام الطاقات الشابة لكـــي تبـــدع في خدمة دينها وهذه السنة النبوية تجدد الحيوية والنشاط في الأمة وتساهم في تفجير طاقات خلاَّقة تقوم بالدور الحضاري المنوط بالمسلمين .

ل ـــ صورة مشرقة من آداب الجهاد في الإسلام :

وتعلم الحسن بن علي رضي الله عنه من قصة بعـــث أبي بكـــر لجيش أسامة الصورة المشرفة للجهاد الإسلامي وقد تجلت تلك الصورة المشرقة في وصية أبي بكر الصديق لجيش أسامة عنـــد توديعهم إياهم ، ولم يكن أبي بكر الصديق رضي الله عنـــه في وصاياه للجيوش إلا مستناً بسنَّة المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث كان عليه الصلاة والسلام يوصي الأمراء والجيوش عنـــد توديعهم[2] ، ومن خلال الوصية التي جاءت في البحث تظهـــر الغاية من حروب المسلمين فهي دعوة إلى الإسلام ، فـــإذا مـــا رأت الشعوب جيشاً يلتزم بهذه الوصايا لا يملك إلا الدخول في دين الله طواعية واختياراً[3] .

ي ـــ أثر جيش أسامة على هيبة الدولة الإسلامية :

---

[1] المصدر نفسه صـ ٧٠ .
[2] المصدر نفسه صـ ٨٠ .
[3] تاريخ الدعوة إلى الإسلام صـ ٢٦٩ .

عاد جيش أسامة ظافراً غانماً بعدما أرهب الروم حتى قال لهم هرقل وهو بحمص بعد ما جمع بطارقته ، هذا الذي حذرتكم ، فأبيتم أن تقبلوا مني !! قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر فتغير عليكم ثم تخرج من ساعتها و لم تكلم[1] ، وأصاب القبائل العربية في الشمال الرعب والفزع من سطوة الدولة الإسلامية ، وكان لهذه الغزوة أثر في حياة المسلمين وفي حياة العرب الذين فكروا في الثورة عليهم ، وفي حياة الروم الذين تمتد بلادهم على حدودهم[2] فقد فعل هذا الجيش بسمعته ما لم يفعله بقوته وعدده ، فأحجم من المرتدين من أقدم ، وتفرق من اجتمع ، وهادن المسلمين من أوشك أن ينقلب عليهم ، وصنعت الهيبة صنيعها قبل أن يصنع الرجال ، وقبل أن يصنع السلاح[3] ، حقاً لقد كان إرسال هذا الجيش نعمة على المسلمين ، إذ أمست جبهة الردة في الشمال أضعف الجبهات ، ولعل من آثار هذا أن الجبهة في وقت الفتوحات كان كسرها أهون على المسلمين من كسر جبهة العدو في العراق ، كل ذلك يؤكد أن أبا بكر رضي الله عنه كان في الأزمات ، من بين جميع الباحثين عن الحل ، أثقبهم نظراً ، وأعمقهم فهماً[4] ، وقد أثبتت الأحداث تأثر الحسن بن علي ، بالخلفاء الراشدين في إدارته للأزمات ، فكان

---

[1] ولم تكلم : تصاب بالجروح .
[2] الصديق ـ لهيكل باسا صـ ١٠٧ .
[3] عبقرية الصديق ـ للعقاد صـ ١٠٧ .
[4] حركة الردة د. علي العتوم صـ ١٦٨ .

في خلافته من أعمق الناس فهماً وأبعدهم نظراً وأشدهم حرصاً على وحدة المسلمين .

٧ ــ حروب الردة :

كان رأي الصديق في حرب المرتدين رأياً ملهماً ، وهو الرأي الذي تمليه طبيعة الموقف لمصلحة الإسلام والمسلمين ، وأي موقف غـــيره سيكون فيه الفشل والضياع والهزيمة والرجوع إلى الجاهلية ، ولـــولا الله ثم القرار الحاسم من أبي بكر رضي الله عنه في قتال أهل الـــردة لتغير وجه التاريخ وتحولت مسيرته ، ورجعت عقارب الـــساعة إلى الوراء ولعادت الجاهلية تعيث في الأرض فساداً[1] ، لقد تجلى فهمـــه الدقيق للإسلام وشدة غيرته على هذا الدين في قوله : قـــد انقطـــع الوحي وتم الدين ، أينقص وأنا حي[2] ؟ لقد سمع أبو بكر وجهـــات نظر الصحابة في حرب المرتدين ، وما عزم على خوض الحـــرب إلا أنه كان سريع القرار حاسم الرأي فلم يتردد لحظة واحدة بعد ظهور الصواب له وعدم التردد كان سمة بارزة من سمات أبي بكر ــ هـــذا الخليفة العظيم ــ في حياته كلها[3] ، ولقد اقتنع المسلمون بصحة رأيه ورجعوا إلى قوله واستصوبوه ، وأصبح قوله : والله لو منعوني عقالاً[4] ، كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه[5] ، مـــن أقوالـــه الخالدة التي حفظها لنا التاريخ و لم تهملها الليالي و لم تفـــصلها عنـــا

---

[1] الشورى بين الأصالة والمعصارة صـ ٨٦ .

[2] المرتضى لأبي الحسن الندوي صـ ٧٠ مشكاة المصابيح ٦٠٣٤ .

[3] الشورى بين الأصالة والمعاصرة صـ ٨٧ .

[4] العقال : هو الحبل الذي يعقل به البعير .

[5] البخاري رقم ٦٩٢٤ .

حواجز الزمن ولا أسوار القرون ولقد استخدم في جهاده للمرتدين دهاء وحنكة سياسية ورؤية استراتيجية واضحة تمثلت في أساليب عدة منها ، النفسية والدعوية ، والإستخباراتية ، والإعلامية ، والعلمية ، وتوجها بجيوشه المظفرة التي قضت على حركة الردة في جزيرة العرب ولقد فهم وتعلم الحسن فقه الصديق في التعامل مع المرتدين ولمس بعض فقه التمكين في جهاده للمرتدين والتي من أهم معالمه :

ـــ استقرار التنظيم الإداري في الجزيرة[1] .

ولا شك أن حروب الردة وأسبابها ، وفقه الصديق في القضاء عليها أخذت بلباب الحسن بن علي وشكلت جزءاً من ثقافته سواء عن طريق السماع أو المشاهدة .

ـــ كما أن معالم السياسة الخارجية في دولة الصديق كانت واضحة في حس أبناء ذلك الجيل الذي من نوابغه الحسن بن علي رضي الله عنه ، فقد رسمت خلافة الصديق رضي الله عنه أهدافاً في السياسة الخارجية ، للدولة الإسلامية والتي كان من أهمها :

ـــ بذر هيبة الدولة في نفوس الأمم الأخرى .

ـــ العدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها .

ـــ رفع الإكراه على الأمم المفتوحة .

ـــ مواصلة الجهاد الذي أمر به المولى عز وجل في القرآن .

[1] الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر صـ ٣٢٩ إلى ٣٦٥ .

ـــ كما أن معالم التخطيط الحربي عند الصديق أصبحت من ثقافة ذلك الجيل وأدبياته خصوصاً للاطلاع القيادة الشبابية وعلى رأسهم الحسن بن علي ، فقد وضع الصديق مع مستشاريه من الصحابة خطوطاً رئيسية للخطة الحربية التي سار عليها ، وقد كانت هذه الخطة المحكمة عاملاً من عوامل نزول النصر والتمكين من الله عز وجل للمسلمين ومن هذه الخطوط :

ـــ عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين .

ـــ التعبئة وحشد القوات .

ـــ تنظيم عملية الإمداد للجيوش .

ـــ تحديد الهدف من الحرب .

ـــ إعطاء الأفضلية لمسارح العمليات .

ـــ عزل ميدان المعركة .

ـــ التطور في أساليب القتال .

ـــ سلامة خطوط الاتصال مع القادة .

ـــ ذكاء الخليفة وفطنته[١] . فقد امتازت الخطط الحربية الإسلامية في بداية الفتوحات بوجود العقل المدبر ، ذي الفطنة والذكاء والكياسة والفراسة ، وهو الصديق وقد ساعد أبو بكر على فهمه الواسع للتخطيط الحربي طول ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقد تربى على تعليمه وتوجيهاته .

---

[١] المصدر نفسه صـ ٤٥٤ إلى ٤٥ .

فكسب علوماً شتى ، وخبرات متنوعة ، فقام بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام الخلافة خير قيام ، فحمل البصيرة الواعية ، وزود الجيوش بالنصائح الغالية ، وأرسل الإمدادات في أوقاتها تسعف المجاهدين ، وتمدهم بالهمة والعزيمة الماضية[1] إن الحسن بن علي رضي الله عنه تربى على كتاب الله وهدي رسوله وتشرّب هدى الخلفاء الراشدين المهديين والذين في مقدمتهم أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ثانياً : في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

كان عمر رضي الله عنه شديد الإكرام لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيثارهم حتى على أبنائه ، وأسرته وله في ذلك مواقف كثيرة منها :

١ ـــ أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر :

جاء فيما رواه الحسين بن علي رضي الله عنه : إن عمر قال لي ذات يوم : إي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا ؟ فجئت يوماً وهو خال بمعاوية ، وابن عمر بالباب لم يؤذن له ، فرجعت فلقيني بعد ، فقال : يا بني لم أراك تأتينا ؟ قلت : جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع ، فرجعت فقال : أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر ، إنما أنبت في رؤوسنا ما ترى : الله ثم أنتم ، ووضع يده على رأسه[2] .

٢ ـــ والله مهنأ لي ما كسوتكم :

[1] تاريخ الدعوى الإسلامية صـ ٣٣٦ .
[2] المرتضى صـ ١١ ، كنز العمال (١٠٥/٧) الإصابة (١٣٣/١) .

روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه على بن الحسين ، قال : قدم على عمر حلل من اليمن ، فكسا الناس فراحوا في الحلل ، وهو بين القبر والمنبر جالس ، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له ، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس ، ليس عليهما من تلك الحلل شئ ، وعمر قاطب صار بين عينيه ثم قال : والله ما هنأ لي ما كسوتكم ، قالوا يا أمير المؤمنين ، كسوت رعيتك فأحسنت ، قال : من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شئ كبرت عنهما وصغرا عنها ثم كتب إلى والي اليمن أن أبعث بحلتين لحسن وحسين وعجل ، فبعث إليه بحلتين فكساهما[1] .

٣ ـ تقديم الحسن والحسين وبني هاشم في العطاء :

عن أبي جعفر أنه لما أراد عمر أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه ، وجمع ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : أبدأ بنفسك ، فقال : لا والله بالأقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن بني هاشم رهط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرض للعباس ، ثم لعلي ، حتى وإلى ما بين خمس قبائل ، حتى انتهى إلى بني عدي ابن كعب ، فكتب : من شهد بدراً من بني هاشم ، ثم من شهد بدراً من بني أمية بن عبد شمس ، ثم الأقرب ، فالأقرب ففرض الاعطيات لهم[2] ، وألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما مع أهل بدر لقرابتهما من رسول الله صلى

[1] المرتضى صـ ١١ ، الإصابة (١٠٦/١) .
[2] الخراج لأبي يوسف صـ ٢٤ ، ٣٥ المرتضى ص ١١٨ .

الله عليه وسلم ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم[1] . وفي هذه القصة تظهر حقيقة محبة عمر لآل البيت عموماً والحسن والحسين خصوصاً ، حيث خصهم بأن جعلهم مع الطبقة الأولى من سادات الصحابة في الغطاء وما ذلك إلا محض المحبة لهما وتقديراً لهما من مكانتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤ ـ معاملة عمر بن الخطاب للسيدة فاطمة والدة الحسن رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن أسلم العدوي قال : لما بويع لأبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان علي والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها ، فبلغ عمر فدخل على فاطمة ، فقال : يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك ، وكلمها ، فدخل علي والزبير على فاطمة فقالت : انصرفا راشدين ، فما رجعا إليهما حتى بايعا[2] ، وهذا هو الثابت الصحيح والذي مع صحة سنده ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له وقد زاد رواة الشيعة الرافضة في هذه الرواية واختلقوا إفكاً وبهتاناً وزوراً وقالوا بأن عمر قال : إذا اجتمع عندك هؤلاء النفر أحرق عليهم هذا البيت ، لأنهم أرادوا شق عصى المسلمين بتأخرهم عن البيعة ثم خرج عنها ، فلم يلبث أن عادوا إليها ، فقالت لهم : تعلمون أن عمر جاءني وحلف بالله لأن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم وايم الله أنه ليصدقن فيما حلف عليه ، فانصرفوا عني فلا

[1] تاريخ دمشق الكبير (٦/١٤) .
[2] أخرجه ابن أبي شيبه : المصنف (٥٦٧/١٤) إسناده صحيح .

ترجعوا إليّ ، ففعلوا ذلك، و لم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا[1] . وهذه القصة الباطلة لم تثبت عن عمر رضي الله عنه ، ودعوى أن عمر رضي الله عنه همّ بإحراق بيت فاطمة ، من أكاذيب الرافضة ، وقد اوردها مع أكاذيب أخرى الطبري الطبرسي في كتابه دلائل الإمامة [2]، عن جابر الجعفي ، وهو رافضي كذاب باتفاق أئمة الحديث كما في الميزان الذهبي[3]، وتهذيب التهذيب [4]، وزعم بعض الروافض أن عمر ضرب فاطمة حتى اسقط ولدها محسنا وهو في بطنها ، وهذه من الأكاذيب الرافضية التي لا أساس لها من الصحة وما علموا إنهم يطعنون في علي رضي الله عنه وذلك باتهامه بالجبن والسكوت عن عمر وهو من أشجع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم [5]، بل إن بعض عقلاء الشيعة أنكر صحة هذا الهذيان والزور[6]. علما بأن محسن ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة في مسند الإمام أحمد كما سبق

٥ ــ زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب :

كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما أوص به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم أهل البيت ورعاية حقوقهم ، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنته علي وفاطمة رضوان الله عليهم وتودد إليه

---

[1] عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (١٤٠/١) .
[2] دلائل الإمامة ص٢٦ نقلا عن عقائد الثلاثة والسبعين (١ / ١٤٠)
[3] الميزان الذهبي (١/ ٢٧٩)
[4] تهذيب التهذيب(٤٧/٢)
[5] حقبه من التاريخ صـ٢٢٤
[6] مختصر التحفة الأثني عشرية ص٢٥٢

في ذلك قائلاً : فوا الله ما على الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصده ، فقال علي : قد فعلت ، فأقبل عمر إلى المهاجرين ،وهو مسرور قائلاً : رفئوني .. ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم : كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سيي ونسيي ، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب[1] ،وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإسماعيلي في كتابه زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب حقيقة وليس افتراء بتتبع مراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الزواج الميمون ، وقد ذكرت شيئاً من سيرتها ومواقفها في حياتها في عهد الفاروق في كتابي فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، شخصيته وعصره .

٦ ــ في غنائم المدائن :

عندما فتحت المدائن[2] ، عام ١٦هـ جاءت الأموال منها فقام عمر رضي الله عنه بإعطاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ألف درهم لكل واحد منهم وأعطى ابنه عبد الله خمسمائة[3] ، وفي هذه الحادثة تأكيد على محبة عمر للحسن والحسين وتقديمه لهما .

- **تأثر الحسن بن علي بالفقه الراشدي للفاروق :**

---

[1] اسناده حسن أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٢) صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي : متعقباً منقطع وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٣) وقال أورده الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهناك من ضعفه .
[2] المدائن : بلدة بينها وبين بغداد ستة فراسخ فتحت على يد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .
[3] مقامات العلماء للغزالي صـ ١٦١ .

قامت دولة الفاروق على فقه الخلافة الراشدة وكان ــ بعد الله وتوفيقه ــ لعبقرية الفاروق أثر في تطوير مؤسسات الدولة والاجتهاد في النوازل الفقهية ، وإدارة الأزمات ، ومما ساعد على تأثر الحسن بن علي بثقافته ، وأدبيات عهد الفاروق قرب والده أمير المؤمنين علي من الفاروق فقد كان علي رضي الله عنه عضواً بارزاً في مجلس شورى الدولة العمرية بل كان هو المستشار الأول ، فقد كان عمر رضي الله عنه يعرف لعلي فضله ، وفقهه ، وحكمته ، وكان رأيه فيه حسناً ، فقد ثبت فيه قوله فيه أقضانا علي[1] ، وكان لعلي اجتهادات في الأمور القضائية ، والمالية والإدارية في عهد الفاروق أخذ بها أمير المؤمنين عمر ، وكان الفاروق يستشير علي في الأمور الكبيرة منها والصغيرة ، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس ، وحين فتحت المدائن ، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس ، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم ، وفي موضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور[2] ، وكان علي رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشاراً ناصحاً لعمر محباً له خائفاً عليه ، وكان عمر يحب علياً وكانت بينهم مودة ومحبة وثقة متبادلة ، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن يزوروا التاريخ ، ويقصوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن : أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقضّ عليه ، وكل

[1] الاستيعاب في معرفة الأصحاب صـ ١١٠٢ .
[2] علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين صـ ٩٩ .

أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس[1] ، إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر تلك الخصوصية في العلاقة وذلك التعاون المتميز الصافي ، بين عمر وعلي رضي الله عنهما ، فقد كان علي هو المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات وما اقترح علي على عمر رأياً إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة ، وكان علي رضي الله عنه يمحضه النصح في كل شئونه وأحواله[2] ، فلا شك أن تلك العلاقة بين علي وعمر رضي الله عنهما لها انعكاساتها الثقافية والعلمية والتربوية على الحسن وأبناء ذلك الجيل والمواقف التي تدل على قوة العلاقة بين عمر وعلي كثيرة منها :

- **كساني هذا الثوب أخي وخليلي :**

خرج علي وعليه برد عدني فقال : كساني هذا الثوب أخي وخليلي وصفيي وصديقي أمير المؤمنين عمر[3] ، وفي رواية عن أبي السفر قال : رؤي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه برد كان يكثر لبسه قال : فقيل : يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد ؟ فقال : نعم ، إن هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناصح الله فنصحه ، ثم بكى[4] ومن هذه القصص وأمثالها عرف الحسن حقيقة محبه علي وأهل البيت لعمر ومحبة عمر لهم .

- **ما قاله علي في عمر بعد استشهاده :**

---

[1] علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين صـ ٩٩ .
[2] فقه السيرة النبوية للبوطي صـ ٥٢٩ .
[3] المختصر من كتاب الموافقة صـ ١٤٠ .
[4] المصنف لابن أبي شيبة (٢٩/١٢)

قال ابن عباس كما في صحيح البخاري : وصنع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون ، قبل أن يرفع ، وأنا فيهم ، فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي ، إذا علي بن أبي طالب ، فترحم على عمر وقال : ما خلفت أحداً أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت أني كنت كثيراً ما أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[1] .

- **إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله ، فأنا أكرهه لذلك :**

لما فرغ علي من وقعه الجمل ، ودخل البصرة ، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة ، سار من البصرة إلى الكوفة ، فدخلها يوم الاثنين ، لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين ، فقيل له : أنزل بالقصر الأبيض ، فقال : لا إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكره لذلك ، فترل في الرحبة وصلى في الجامع الأعظم ركعتين[2]

- **حب أهل البيت لعمر رضي الله عنه :**

إن من دلالة محبة أهل البيت لعمر رضي الله عنه تسمية أبنائهم باسمه حباً وإعجاباً بشخصيته ، وتقديراً لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة ، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات

---

[1] البخاري رقم ٣٦٨٥ .
[2] تاريخ الخلافة الراشدة ، محمد كنعان صـ ٣٨٣ .

الجليلة ، وإقراراً بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطه بأهل بيت النبوة والرحم ، الصهر القائم بينه وبينهم ، فأول من سمي ابنه باسمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سمى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية عمر[1] ، وقد جاء في كتاب صاحب الفصول ، تحت ذكر أولاد علي بن أبي طالب : وعمر من التغلبية وهي الصهباء بنت ربيعة من السبي الذي أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر ، وعمّر عمر هذا حتى بلغ خمساً وثمانين سنة فحاز نصف ميراث علي رضي الله عنه ، وذلك أن جميع اخوته وأشقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضي الله عنهم ـ يعني انه لم يقتل معهم ـ بالطف فورثهم[2] ، هذا وتبعه الحسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فسمّي أحد أبنائه عمر أيضاً[3] ، وكذلك الحسين بن علي سمّي عمر ، ومن بعد الحسين ابنه علي الملقب بزين العابدين سمّى أحد أبنائه باسم عمر[4] ، وكذلك موسى بن الصادق الملقب بالكاظم سمى أحمد أبنائه باسم عمر[5] ، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدي النبي صلى الله عليه وسلم ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرته العطرة يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صدورهم من حبهم

---

[1] تاريخ اليعقوبي (٢/٢١٣) الشيعة وأهل البيت صـ ١٣٣ .
[2] الفصول المهمة صـ ١٤٣ ، الشيعة وأهل البيت صـ ١٣٣ .
[3] الشيعة وأهل البيت صـ ١٣٣ .
[4] المصدر نفسه صـ ١٣٤ .
[5] المصدر نفسه صـ ١٣٥ .

وولائهم له بعد وفاته بمدة ، وقد جرى هذا الإسم وكذلك أبو بكر وعثمان في ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق وهو منهج أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا ، ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت بالكتاب والسنة ، فقد سموا طلحة ، وعبد الرحمن وعائشة وأم سلمة ونحن ندعو الشيعة اليوم ، الاقتداء بعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت فيحبون أنصار دين الله وأصحاب رسوله ، فيسمون بعض أبنائهم وبناهم بأسماء الخلفاء الراشدين ، وأمهات المؤمنين[1] نرجو ذلك .

- **قول عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في عمر :**

عن حفص بن قيس ، قال : سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخُفَّين ، فقال ، فقال : أمسح ، فقد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : فقلت : إنما أسألك أنت تمسح ؟ قال : ذاك أعجز[2] لك ، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي ، فعمر كان خيراً مني ومن ملء الأرض . فقلت : يا أبا محمد ، فإن أناساً يزعمون أن هذا منكم تقية ، قال : فقال لي ـ ونحن بين القبر والمنبر ـ : اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية ، فلا تسمعنّ عليَّ قول أحد بعدي . ثم قال : من هذا الذي يزعم أن علياً رضي الله عنه كان مقهوراً ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بأمر

[1] اذهبوا فأنتم الرافضة ، عبد العزيز الزبيري صـ ٢٣٠ .

ولم ينفذه . وكفى بإزراء على علي ومنقصة أن يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بأمره ولم ينفذه[1] .

ثالثاً : في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه :

كان ذو النورين على صلة وثيقة بالدعوة الإسلامية من سنتها الأولى ، فلم يفته من أخبار النُّبوَّة الخاصَّة ، والعامَّة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يفته شئ بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشيخين ، ولم يفته بعبارة أخرى شئ مما نسمّيه اليوم بأعمال التأسيس في الدولة الإسلامية ، وكان المنهج التربوي الذي تربى عليه عثمان بن عفان ، وكل الصحابة الكرام القرآن الكريم ، المنزل من عند رب العالمين ، كما أن الرافد القوي الذي أثر في شخصية عثمان بن عفان ، وصقل مواهبه ، وفجر طاقته ، وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتتلمذه على يديه في مدرسة النبوة ، ذلك : أن عثمان رضي الله عنه لازم الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة بعد إسلامه كما لازمه في المدينة بعد هجرته ، فقد نظم عثمان نفسه ، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف والعلوم على يدي معلم البشرية ، وهاديها ، والذي أدبه ربُّه ، فأحسن تأديبه ، ولم يكن عثمان بن عفان رضي الله عنه ممن تخلفوا عن بدر لتقاعس منه ، أو هروب ينشده ، كما يزعم أصحاب الأهواء ممن طعن عليه في تغيبه عن بدر ، فهو لم يقصد مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن

[1] النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب لمحمد عبد الواحد المقدسي صـ ٥٧ .

الفضل الذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسول ومتابعته ، وعثمان رضي الله عنه خرج فيمن خرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم فرده صلى الله عليه وسلم للقيام على ابنته رقية التي اشتد بها المرض وماتت بسبب ذلك ، فكان عثمان في أجلِّ فرض لطاعتــه لرسول الله صلى الله عليه ، وتخلفه ، وقد ضرب لــه بــسهمه ، وأجره ، وشاركهم في الغنيمة والفضل ، والأجر لطاعتــه المــولى عــز وجل ورسوله ، وانقياده لهما ، وفي الحديبية ذكــر المحــب الطبري اختصاص عثمان بعدة أمور ، منهــا : اختصاصه بإقامة يد النبي صلى الله عليه وسلم الكريمة مقام يد عثمان لما بايع الصحابة ، وعثمان غائب ، واختصاصه بتبليغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بمكة أسيراً من المسلمين وذكر شهادة النبي في عثمان بموافقته في ترك الطواف لما أرسله في تلك الرسالة[1] ، وفي فتح مكة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة عثمان بن عفان في عبد الله بن أبي السرح في فتح مكة[2]، ومن حياة عثمان رضي الله عنــه الاجتماعية في المدينة ، زواجه من أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة رقيَّة بنت رسول الله ، ووفاة عبد الله بــن عثمان ، ثم وفاة أمَّ كلثوم رضــي الله عنــها ، ومــن مــساهمته الإقتصادية في بناء الدولة ، شراء بئر رومة بعشرين ألف درهــم ، وجعلها عثمان رضي الله عنه للغني والفقير وابن السبيل ، وتوسعة المسجد النبوي ، وإنفاقه الكبير على جيش العسرة ، وقــد وردت

---

[1] المناقب النضرة في المناقب العشرة صـ ٤٩٠ ، ٤٩١ .
[2] أضواء البيان في تاريخ القرآن ، لصابر أبو سليمان صـ ٧٩ .

أحاديث كثيرة في فضله مع غيره ، ومنها ما ورد في فضله وحده ، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان ، وكان رضي الله عنه من الصحابة وأهل الشورى الــذين يؤخذ رأيهم في أمهات المسائل في عهد الصديق ، فهو ثاني اثنين في الحظوة عند الصديق ، فعمر ابن الخطــاب للحــزم والــشَّدائد ، وعثمان للرِّفق والأناة ، وكان عمر وزير الخلافة الصديقية ، وكان عثمان أمينها العام ، وكاتبها الأكبر ، وكان رضــي الله عنــه ذا مكانة عند عمر ، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شئ رموه بعثمان وبعبد الرحمن بن عوف ، وكان عثمان يسمّى الرِّديف ـــ والرِّديف بلسان العرب هو الذي يكون بعد الرّجل ـــ والعــرب تقول ذلك للرّجل الذي يرجونه بعد رئيس ، وكانوا إذا لم يقــدر هذان على عمل شئ ، ثلثوا بالعبَّاس[1] .

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه في عهد عثمان في عز الشباب وعنفوانه ، فقد كان في سن يسمح لصاحبها أن يستوعب ما يدور حوله ويتعلم من الأحداث ومن سياسة الخليفة الراشد عثمان ومن حوله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومــن أهــم الدروس التي استوعبها الحسن بن علي هي :

١ ـــ الفقه العمري في الاستخلاف :

استمرّ اهتمام الفاروق رضي الله عنــه بوحدة الأمة ، ومستقبلها حتَّى اللحظات الأخيرة من حياته ، رغم ما كان يعانيه من آلام جراحاتــه

٣ تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان للصَّلابي ص٢٧٤

البالغة ، وهي بلا شك لحظات خالدة ، تجلّى فيها إيمــان الفــاروق العميق ، وإخلاصه ، وإيثاره[1] ، وقد اســتطاع الفــاروق في تلــك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يسبق إليهــا في اختيــار الخليفة الجديد ، وكانت دليلاً ملموساً ، ومعْلماً واضحاً على فقهه في سياسة الدّولة الإسلامية ، لقد مضى قبله الرّسول صلى الله عليه وسلم ، و لم يستخلف بعده أحداً بنصٍّ صريح ، ولقد مــضى أبــو بكــر الصِّدِّيق ، واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصَّحابة ، ولمَّا طُلب من الفاروق أن يستخلف وهو على فراش الموت ، فكر في الأمر مليّاً ، وقرّر أن يسلك مسلكاً آخر يتناسب مع المقام ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم ترك النّاس ، وكلهم مقرٌّ بأفضلية أبي بكــر ، وأســبقيته عليهم فاحتمال الخلاف كان نادراً ، وخصوصاً أن النبي صلى الله عليه وسلم وجّه الأمة قولاً وفعلاً إلى أن أبا بكر أولى بالأمر مــن بعــده والصِّدِّيق لما استخلف عمر ، كان يعلم : أنّ عند الصحابة أجمعــين قناعة بأنّ عمر أقوى ، وأفضل من يحمل المسئولية بعده ، فاســتخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة ، و لم يخالف رأيه أحد منهم ، وحــصل الإجماع على بيعة عمر[2] ، وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد ، فتعتمد على جعل الشورى في عدد محصور ، وقد حصر ستَّة مــن صــحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يصلحون لتوليّ الأمر ، ولو أنهم يتفاوتون ، ويحدّد لهم طريقة الانتخاب ، ومدَّته ، وعدد الأصــوات الكافية لانتخاب الخليفة ، وحدّد الحكم في المجلــس ، والمــرجِّح إن

[1] الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني صـ ١٦١ .
[2] أوليات الفاروق للقرشي صـ ١٢٢ .

تعادلت الأصوات ، وأمر مجموعة من جنود الله لمراقبة سير الانتخابات في المجلس ، وعقاب من يخالف أمر الجماعة ، ومنع الفوضى بحيث لا يسمحون لأحد يدخل ، أو يسمع ما يدور في مجلس أهل الحلِّ والعقد[1] ، وهذا بيان ما أجمل في الفقرات السَّابقة .

أ ــ العدد الذي حدده للشُّورى ، وأسماؤهم :

أمّا العدد ، فهو ستة ، وهم : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقَّاص ، والزبير بن العوّام ، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم جميعاً ، وترك سعيد بن زيد ، وهو من العشرة المبشَّرين بالجنة ، ولعله تركه لأنه من قبيلة بني عديٍّ[2] ، وكان عمر رضي الله عنه حرصاً على إبعاد الإمارة عن أقاربه ، مع أنَّ فيهم من هو أهلُ لها ، فهو يُبعد قريبه سعيد بن زيد عن قائمة المرشَّحين للخلافة[3] .

ب ــ طريقة اختيار الخليفة :

أمرهم ، أن يجتمعوا في بيت أحدهم ، ويتشاوروا ، وفيهم عبد الله بن عمر يحضر معهم مشيراً فقط ، وليس له من الأمر شيء ، ويصلِّي بالناس أثناء التشاور صهيب الرُّوميُّ ، وقال له : أنت أمير الصَّلاة في هذه الأيام الثلاثة . حتى لا يوليِّ إمامة الصلاة أحداً من

---

[1] أوليّات الفاروق ، صـ ١٢٤ .
[2] البداية والنهاية (١٤٢/٧) .
[3] الخلفاء الراشدون للخالدي صـ ٩٨ .

السِّتَّة ، فيصبح هذا ترشيحاً من عمر له بالخلافة[1] ، وأمر المقداد بن الأسود ، وأبا طلحة الأنصاريَّ أن يرقبا سير الانتخابات[2] .

ت ـــ مدَّة الانتخابات أو المشاورة :

حدَّدها الفاروق رضي الله عنه بثلاث أيّام ، وهي فترة كافيـــة ، وإن زادوا عليها ، فمعنى ذلك أن شقَّة الخلاف ستتَّسع ، ولذلك قال لهم : لا يأتي اليوم الرّابع إلا وعليكم أمير[3] .

ث ـــ عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة :

أخرج ابن سعد بإسناد رجاله ثقات : أنَّ عمر رضي الله عنه قال لصهيب : صلِّ بالناس ثلاثاً ، وليخل هؤلاء الرَّهط في بيت ، فإذا اجتمعوا على رجل ، فمن خالفهم فاضربوا رأسه[4] ، فعمر رضي الله عنه أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء الرّهط ويـــشقَّ عـــصا المسلمين ، ويفرِّق بينهم ، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : من أتاكم وأمركم جميع على رجل منكم يريد أن يشقَّ عصاكم ، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه[5] ، وما جاء في كتب التَّاريخ من أن عمـــر رضي الله عنه أمرهم بالاجتماع ، والتَّشاور وحدّد لهـــم أنـــه إذا اجتمع خمسة منهم على رجل ، وأبى أحدهم ، فليضرب رأســـه بالسَّيف ، وإن اجتمع أربعة ، ورضوا رجلاً منهم ، وأبى اثنـــان فاضرب رؤوسهما[6] ، فهذه من الرِّويات التي لا تصح سنداً ، فهي

[1] الخلافة والخلفاء الراشدون للبهنساوي صـ ٢١٣ .
[2] أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة صـ ٦٤٨ .
[3] الطبقات لابن سعد (٣٦٤/٣) .
[4] المصدر السابق نفسه (٣٦٤/٣) .
[5] مسلم (١٤٨٠/٣) .
[6] تاريخ الطبري (٢٢٦/٥) .

من الغرائب ، التّي ساقها أبو مخنف ـــ الرَّافضي الشيعي ـــ مخالفاً فيها النصوص الصحيحة وما عرف من سير الصَّحابة رضـــي الله عنهم ، فما ذكر أبو مخنف من قول عمر لصهيب : وقـــم علـــى رؤوسهم ـــ أي : أهل الشورى ـــ فإن اجتمع خمسة ، ورضـــوا رجلاً ، وأبى واحد ، فاشدخ رأسه بالسَّيف ، وإن اتَّفق أربعـــة ، فرضوا رجلاً منهم ، وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما[1] : فهذا قـــول منكر، وكيف يقول عمر رضي الله عنه هذا ، وهو يعلم : أنَّهـــم هم الصَّفوة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهـــو الذي اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضله وقدرهم[2] ، وقد ورد عـــن ابن سعد : أن عمـــر قال للأنصار " أدخلوهم بيتاً ثلاثة أيام ، فإن استقاموا وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم[3] ، وهذه الرِّوايـــة منقطعة ، وفي إسنادها "سماك بن حرب" وهو ضعيف ، وقد تغير بأخره[4] .

جـــ ـــ الحكم في حال الاختلاف :

لقد أوصى بأن يحضر عبد الله بن عمر معهم في المجلس ، وأن ليس له من الأمر شئ ، ولكن قال لهم ، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم ، وثلاثة رجلاً منهم ، فحكِّموا عبد الله بن عمر ، فأيُّ الفـــريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بـــن عمر ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرَّحمن بن عوف ، ووصـــف

---

[1] المصدر السابق نفسه .
[2] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطَّبري ، د . يحي صـ ١٧٥ .
[3] الطبقات لابن سعد (٣/٣٤٢) .
[4] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري صـ ١٧٦ .

عبد الرَّحمن بن عوف بأنه مسدَّدٌ رشيدٌ ، فقال عنه ، ونعـــم ذو الرأي عبد الرَّحمن بن عوف مسدَّدٌ رشيدٌ ، له من الله حـــافظ ، فاسمعوا منه[1] .

ح ـــ جماعة من جنود الله تراقب الاختيار ، وتمنع الفوضى :

طلب عمر أبا طلحة الأنصاريَّ ، وقال له : يا أبا طلحة : إن الله ـــ عزّ وجلَّ ـــ أعزَّ الإسلام بكم ، فاختر خمسين رجـــلاً مـــن الأنصار ، فاستحثَّ هؤلاء الرَّهط ، حتّى يختاروا رجلاً منـــهم[2] . وقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتموني في حفـــرتي ، فـــاجمع هؤلاء الرَّهط في بيت حتَّى يختاروا رجلاً منهم[3] .

خ ـــ جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل :

ومن فوائد الشُّورى : جواز تولية المفضول مع وجود الأفـــضل ، لأنَّ عمر جعل الشُّورى في ستة أنفس مع علمه : أنَّ بعضهم كان أفضل من بعض ، ويؤخذ هذا من سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد ، حيث كان لا يراعي الفضل في الدِّين فقـــط ، بل يضمُّ إليه مزيد المعرفة بالسِّياسة مع اجتناب ما يخالف الـــشَّرع منها ، فاستخلف معاوية ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن العـــاص مع وجود من هو أفضل من كلٍّ منهم في أمر الدِّين ، والعلم كأبي الدّرداء في الشّام ، وابن مسعود في الكوفة[4] .

ش ـــ جمع عمر بين التعيين ، وعدمه :

---
[1] تاريخ الطبري (٣٢٥/٥) .
[2] تاريخ الطبري (٢٢٥/٥) .
[3] المصدر السابق .
[4] المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٩٧/٢) .

عرف عمر ، أن الشُّورى لن تكون بين الستة فقط ، وإنّما ستكون في أخذ رأي الناس في المدينة ، فيمن يتولىَّ الخلافة ، حيث جعل لهم أمد ثلاثة أيَّام ، فيمكنهم من المشاورة ، والمناظرة لتقع ولاية من يتولى بعده عن اتِّفاق من معظم الموجودين حينئذ ببلده التي هي دار الهجرة ، وبها معظم الصّحابة ، وكلٌّ من كان ساكناً في بلد غيرها كان تبعاً لهم فيما يتَّفقون عليه ، فما زالت المدينة حتى سنة ٢٣هـ مجمع الصَّحابة بل لأنَّ كبار الصَّحابة فيها ، حيث استبقاهم عمر بجانبه ، ولم يأذن لهم بالهجرة إلى الأقاليم المفتوحة[١] .

ك ـ أهل الشورى أعلى هيئة أعلى هيئة سياسية :

إنّ عمر رضي الله عنه أناط بأهل الشُّورى وحدهم اختيار الخليفة من بينهم ، ومن المهمِّ أن نشير إلى أنَّ أحداً من أهل الشُّورى لم يعارض هذا القرار الذي اتّخذه عمر ، كما أنَّ أحداً من الصَّحابة الآخرين لم يشر أيَّ اعتراض عليه ، ذلك ما تدلُّ عليه النُّصوص التي بين أيدينا ، فنحن لا نعلم : أنَّ اقتراحاً آخر قد صدر عن أحد من النّاس في ذلك العصر ، أو أنَّ معارضة ثارت حول أمر عمر خلال السَّاعات الأخيرة من حياته ، أو بعد وفاته ، وإنّما رضي الناس كافة عن هذا التدبير ، ورأوا فيه مصلحة لجماعة المسلمين ، وفي وسعنا أن نقول : إن عمر قد أحدث هيئة سياسية عليا ، مهمَّتها انتخاب رئيس الدَّولة ، أو الخليفة ، وهذا

[١] المصدر السابق .

التنظيم الدُّستوري الجديد ، الذي أبدعته عبقرية عمر لا يتعارض مع المبادئ الأساسية التي أقرَّها الإسلام ، ولا سيَّما فيما يتعلق بالشُّورى ، لأنَّ الغيرة من حيث النتيجة للبيعة العامَّة التي تجري في المسجد الجامع . وعلى هذا لا يتوجَّه السُّؤال الذي قد يرد على بعض الأذهان ، وهو : من أعطى عمر هذا الحقَّ ؟ ما هو مستند عمر في هذا التدبير ؟ ويكفي أن نعلم أنَّ جماعة من المسلمين قد أقرَّت هذا التدبير ، ورضيت به ، ولم يُسمع صوت اعتراض عليه ، حتى نتأكد : أنَّ الإجماع — وهو من مصادر التشريع — قد انعقد على صحته ، ونفاذه[1] ، ولا ننسى أن عمر خليفة راشد ، كما ينبغي أن نؤكِّد : أن أهل الشُّورى أعلى هيئة سياسية قد أقرَّه نظام الحكم في الإسلام في العهد الرَّاشدي ، كما : أنّ الهيئة التي سمّاها عمر ، تمتّعت بمزايا لم يتمتع بها غيرها من جماعة المسلمين ، وهذه المزايا مُنحت لها من الله ، وبلَّغها الرسول ، فلا يمكن عند المؤمنين أن يبلغ أحد من المسلمين مبلغ هؤلاء العشرة ، من التّقوى ، والأمانة . هكذا ختم عمر رضي الله عنه حياته ، ولم يشغله ما نزل به من البلاء ، ولا سكرات الموت عن تدبير أمر المسلمين ، وأرسى نظاماً صالحاً للشّورى لم يسبقه عليه أحد ، ولا يُشكُ : أنّ أصل الشُّورى مقرّرٌ في القرآن الكريم ، ، والسُّنّة القوليّة ، والفعلية ، وقد عمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ولم يكن عمراً مبتدعاً بالنسبة للأصل ، ولكنَّ الذي عمله عمر هو

[1] نظام الحكم في الشريعة والتاريخ للقاسمي (٢٢٧/١ ، ٢٥٨) .

تعيين الطّريقة التي يختار بها الخليفة ، وحصر عدد معين جعلها فيهم ، وهذا لم يفعله الرّسول صلى الله عليه وسلم ، ولا الصِّدِّيق رضي الله عنه ، بل أوَّل من فعل ذلك عمر ، ونِعْمَ ما فعل ، فقد كانت أفضل الطُّرق المناسبة لحال الصَّحابة في ذلك الوقت[1] ، ولا شك بأن هذا التطوير الرائع لفقه الخلافة والوعي السياسي وما تتطلبه المرحلة من اجتهادات عملية ساهم في تثقيف وتعليم الحسن بن علي رضي الله عنه وأعطاه فهماً واسعاً ونظراً ثاقباً ، فيما بعد مما جعله يختار أسلوباً جديداً ، لم يسبق إليه ساهم في توحيد الأمة بعد الفرقة والاختلاف ، فالشخصيات الفذَّة ، والعبقريات المبدعة لا تأتي من فراغ وإنما هي حصيلة لخبرة واسعة ، واستفادة كبيرة من جهود من سبقها في البناء الحضاري الرباني الراشدي .

٢ ــ منهج عبد الرحمن بن عوف في إدارة الشُّورى :

ومما عاصره الحسن بن علي في أمر بيعة عثمان منهج عبد الرحمن بن عوف في إدارة الشورى والذي تمثل في الخطوات التالية :

أ ــ اجتماع الرّهط للمشاورة :

لم يكد يفرغ النَّاس من دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتَّى أسرع ، رهط الشُّورى وأعضاء مجلس الدَّولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها وقيل : إنَّهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهْرية أخت الضحاك ابن قيس ، ليقضوا في أعظم قضيَّة عرضت في حياة المسلمين

[1] أوليَّات الفاروق صـ ١٢٧ .

ــ بعد وفاة عمر ــ وقد تكلَّم القوم ، وبسطوا آراءهم ، واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء ، رضيها الخاصَّة والكافة من المسلمين[1] .

ب ــ عبد الرحمن يدعو إلى التنازل :

عندما اجتمع أهل الشُّورى قال لهم عبد الرّحمن بن عوف : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم . فقال الزُّبير : جعلت أمري إلى عليٍّ . وقال طلحة : جعلت أمري إلى عثمان . وقال سعد : جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف . وأصبح المرشحون ثلاثة ، علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف . فقال عبد الرحمن أيكما تبرَّأ من هذا الأمر ، فنجعله إليه ، والله عليه والإسلام لينظرنَّ أفضلهم في نفسه ، فأسكت الشيخان ، فقال عبد الرحمن بن عوف : أفتجعلونه إليَّ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكما ؟ قالا : نعم[2] .

جـ ــ تفويض ابن عوف بإدارة عمليَّة الشُّورى :

بدأ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اتصالاته ، ومشاوراته فور انتهاء اجتماع المرشَّحين السِّتَّة صباح يوم الأحد ، واستمرَّت مشاوراته ، واتِّصالاته ثلاثة أيام كاملة ، حتى فجر يوم الأربعاء الرَّابع من المحرم ، وهو موعد انتهاء المهلة التي حدّدها لهم عمر ، وبدأ عبد الرحمن بن عوف بعليٍّ بن أبي طالب ، فقال له : إن لم أبايعك فأشر عليَّ ، فمن ترشح

---

[1] عثمان بن عفان ، لصادق عرجون صـ ٦٢ ، ٦٣ .
[2] البخاري ، ك فضائل أصحاب النَّبي رقم ٢٧٠٠ .

للخلافة ؟ فقال عثمان : عليٌّ بن أبي طالب .. وذهب ابن عوف بعد ذلك إلى الصحابة الآخرين ، واستشارهم ، وكان يشاور كلَّ من يلقاه في المدينة من كبار الصَّحابة ، وأشرافهم ، ومن أمراء الأجناد ، ومن يأتي للمدينة ، وشملت مشاوراته النَّساء في خدورهنَّ ، وقد أبدين رأيهن ، كما شملت الصِّبيان ، والعبيد في المدينة والمسلمين كانوا يشيرون بعثمان بن عفَّان ، ومنهم من كان يشير بعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وفي منتصف ليلة الأربعاء ، ذهب عبد الرحمن بن عوف إلى بيت ابن أخته : المسور بن مخرمة ، فطرق البيت ، فوجد المسور نائماً ، فضرب الباب حتى استيقظ ، فقال : أراك نائماً ، فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم ، انطلق فادع الزبير ، وسعداً . فدعوتهما له : فشاورهما ثمّ دعاني ، فقال : أدع لي علياً ، فدعوته ، فنجاه حتَّى أبهارَّ[1] الليل ثم قام عليٌّ من عنده .. ثم قال : ادع لي عثمان ، فدعوته فنجاه حتى فرّق بينهما المؤذِّن بالصُّبح[2] .

ح ــ الاتفاق على بيعة عثمان : رضي الله عنه :

وبعد صلاة صبح يوم البيعة ، اليوم الأخير من شهر ذي الحجة ٢٣هــ/ ٦ نوفمبر ٦٤٤م وكان صهيب الرُّومي الإمام ، إذ أقبل عبد الرَّحمن بن عوف ، وقد اعتمَّ بالعمامة التي عمَّمه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد اجتمع رجال

[1] أبهارَّ : أي : انتصف .
[2] البخاري ، ك الأحكام ، رقم ٧٢٠٧ .

الشورى عند المنبر ، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين ، والأنصار ، وأمراء الأجناد ، منهم : معاوية أمـــير الـــشَّام ، وعمير بن سعد أمير حمص ، وعمرو بن العاص أمير مـــصر ، وكانوا وافوا تلك الحجَّة مع عمر ، وصاحبوه إلى المدينـــة[1] ، وجاء في رواية البخاري : .. فلمَّا صـــلَّى للنَّـــاس الـــصُّبح ، واجتمع أولئك الرّهط عند المنبر ، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين ، والأنصار ، وأرسل إلى أمراء الأجناد ، وكانوا وافوا تلك الحجَّة مـــع عمر ، فلمّا اجتمعوا ، تـــشهَّد عبـــد الرحمن ، ثمّ قال : أمّا بعد : يا عليُّ : إني قد نظرت في أمـــر النَّاس ، فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعل بنفسك سبيلاً . فقال عبد الرحمن مخاطباً عثمان[2] : أبايعك علـــى سُـــنَّة الله ، ورسوله ، ، والخليفتين من بعده : فبايعه الناس : المهاجرون ، والأنصار وأمرا الأجناد ، والمسلمين[3] . وجاء في رواية صاحب التّمهيد ، والبيان : أن عليَّ بن أبي طالب أوَّل من بايع بعـــد عبد الرّحمن بن عوف[4] .

س ـــ حكمة عبد الرحمن بن عوف في تنفيذ خطة الشُّورى :

نفّذ عبد الرحمن بن عوف خطة الشورى بما دلَّ على شـــرف عقله ، ونبل نفسه ، وإيثاره مصلحة المسلمين العامـــة علـــى

---

[1] شهيد الدَّار صـ ٣٧ وهناك خلافاً في تحديد تاريخ البيعة .
[2] فقال : أي عبد الرحمن مخاطباً عثمان .
[3] البخاري ، ك الأحكام رقم ٧٢٠٧ .
[4] التمهيد والبيان صـ ٢٦ .

مصلحته الخاصَّة ونفعه الفردي ، وترك عن طواعية ورضا أعظم منصب يطمح إليه إنسان في الدنيا ، ليجمع كلمة المسلمين ، وحقق أوّل مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يجلس على عرش الخلافة ، ويسوس أمور المسلمين ، فهو قد اصطنع من الأناة ، والصبر ، والحزم ، وحسن التدبير ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى ، وقد كانت الخطوط التي اتخذها كالآتي :

- ـــ بسط برنامجه في أول جلسة عقدها مجلس الشورى في دائرة الزمن الذي حدّده لهم عمر ، وبذلك أمكنه أن يحمل جميع أعضاء مجلس الشورى على أن يدلوا برأيهم ، فعرف مذهب كل واحد منهم ، فسار في طريقه على بينة من أمره ،
- ـــ خلع نفسه وتنازل عن حقه في الخلافة ، ليدفع الظُّنون ويستمسك بعروة الثِّقة الوثقى .
- ـــ أخذ في تعرُّف نهاية ما يصبو إليه كل واحد من أصحابه ، وشركائه في الشُّورى ، فلم يزل يقلِّب وجوه الرَّأي معهم ، حتى انتهى إلى شبه انتخاب جزئيٍّ ، فاز فيه عثمان برأي سعد بن أبي وقاص ، ورأي الزبير بن العوام ، فلاحت له أغلبية آراء الأعضاء الحاضرين معه .
- ـــ عمد إلى معرفة كلِّ واحد من الإمامين : عثمان ، وعليٍّ في صاحبه بالنِّسبة إلى وزنه من سائر الرَّهط الذين رشَّحهم عمر،

فعرف من كل واحد منهما : أنه لا يعدل صاحبه أحداً إذا فاتـــه الأمر .

• ـــ أخذ في تعرُّف رأي مَنْ وراء مجلس الشُّورى من خاصَّة الأمَّة ، وذوي رأيها ، ثمَّ من عامّتها ، وضعفائها ، فرأى أنَّ معظم النَّاس لا يعدلون أحداً بعثمان ، فبايع له ، وبايعه عامَّة الناس[1] .

لقد تمكَّن عبد الرحمن بن عوف بكياسته ، وأمانته ، واســتقامته ، ونسيانه نفسه بالتخلِّي عن الطّمع في الخلافة ، والزُّهــد بــأعلى منصب في الدولة أن يجتاز هذه المحنة ، وقاد ركب الشُّورى بمهارة ، وتجرد مما يستحقُّ أعظم التَّقدير[2] .

قال الذَّهبي : ومن أفضل أعمال عبد الرَّحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشُّورى ، واختياره للأمَّة ممَّا أشار بــه أهل الحل والعقد ، فنهض في ذلك أتمَّ نهوض على جميع الأمَّة على عثمان ، ولو كان محابياً فيها ، لأخذها لنفسه ، أو لولاها ابن عمِّه وأقرب الجماعــة إليه سعد بن أبي وقَّاص[3] ، وبهذا تحقَّقت صورة أخرى من صــور الشُّورى في عهد الخلفاء الرَّاشدين : وهي الاستخلاف عن طريق مجلس الشُّورى ، ليعيِّنوا أحدهم بعد أخذ المشورة العامَّة ، ثمَّ البيعة العامة[4] ، فهذا هو الذي تمَّ في عملية الشورى وما عصره الحــسن بن علي رضي الله عنه من أحداث ، ولا ينظر للأباطيل الرافــضية التي دست في قصة الشورى وشوهت التاريخ الإســلامي والــتي

[1] عثمان بن عفّان رضي الله عنه ـ لصادق عرجون صـ ٧٠ ، ٧١ .
[2] مجلة البحوث الإسلامية ، العدد (١٠) صـ (٢٥٥) .
[3] سير أعلام النبلاء (٨٦/١) .
[4] دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة صـ ٢٧٨ .

تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها ، وتأثر بها الكثير من المؤرخين ، والمفكرين المحدثين و لم يمحِّصوا الرِّوايات ، ويحقِّقوا في سندها ومتنها ، فانتشرت بين المسلمين ، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرّافضة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب ، وألف جماعة منهم كتباً خاصة ، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى ، وكذلك ابن عقدة ، وابن بابويه[1] ، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدي في خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ تولية الخلافة[2] ، ورواية من طريق عبيد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر ، وحصره للشورى في السِّتَّة ووصيته لكلٍّ من عليّ ، وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة ، ووصيته لصهيب في هذا الأمر[3] .

وقد نقل البلاذري خبر الشورى ، وبيعة عثمان عن أبي مخنف[4] الرافضي المحترق ، وعن هشام الكلبي ، منها ما نقله عن أبي مخنف[5] ، ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصَّة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري[6] ، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشُّورى) للواقدي[7] ، وقد تضمَّنت الرِّوايات الشيعيَّة عدَّة أمور مدسوسة ، ليس لها دليلٌ من الصِّحَّة ، وهي :

- ـــ اتهام الصَّحابة بالمحاباة في أمر المسلمين :

[1] الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٢٤٦/١٤) .
[2] الطبقات الكبرى (٦٣/٣) (٦٧/٣) .
[3] المصدر السابق نفسه (٣٤٠/٣) .
[4] أنساب الأشراف (١٨/٥ ، ١٩) .
[5] المصدر نفسه .
[6] شرح نهج البلاغة (٩/ ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٨)
[7] شرح البلاغة (١٥/٩) ، عثمان بن عفان للصَّلاَّبيّ صـ ٧٣ .

اتَّهمت الرِّوايات الشِّيعيَّة الصَّحابة بالمحاباة في أمر المسلمين ، وعدم رضا عليّ بأن يقوم عبد الرحمن بن عوف باختيار الخليفة ، فقد ورد عن أبي مخنف ، وهشام الكلبيِّ عن أبيه ،وأحمد الجوهريِّ : أنَّ عمر جعل ترجيح الكفَّتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف ، وأنَّ علياً أحسَّ بأن الخلافة ذهبت منه ، لأنَّ عبد الرحمن سيقدِّم عثمان للمصاهرة التي بينهما[١] ، وقد نفى ابن تيمية أي ارتباط في النَّسب القريب بين عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف فقال : فإنَّ عبد الرحمن ليس أخا عثمان ، ولا ابن عمِّه ، ولا من قبيلته أصلاً ، بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية ، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أميِّة ، فإن بني زهرة أخوال النَّبيّ صلى الله عليه وسلم ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم : هذا خالي فليرني امرؤ خاله[٢] ، فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ بين مهاجريٍّ ، ومهاجريٍّ ، ولا بين أنصاريٍّ ، وأنصاريٍّ ، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار ، فآخى بين عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع الأنصاري[٣] ، وحديثه مشهور ثابت في الصِّحاح وغيرها ، يعرفه أهل العلم بذلك[٤]

وقد بنت الرِّوايات الشيعية محاباة عبد الرحمن لعثمان للمصاهرة التي كانت بينهما ، متناسية أن قوة النَّسب أقوى من مصاهرة من جهة

[١] أثر التشيع على الرِّوايات التاريخية صـ ٣٢٢ .
[٢] صحيح سنن الترمذي (٢٢٠/٣) رقم (٤٠١٨) .
[٣] البخاري ، ك مناقب الأنصار رقم ٣٧٨٠ .

٤ منها ج السنة النبوية (٦ / ٢٧١ ، ٢٧٢)

، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجيل الأوّل ، وأنها لا تقوم على نسب ولا على مصاهرة ، وأما كيفية المصاهرة التي كانت بين عبد الرحمن وعثمان ، فهي أنَّ عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد[1]

- ــ **حزب أمويّ ، وحزب هاشمي :**

أشارت رواية أبي مخنف الرافضي إلى وقوع مشادَّةٍ بين بني هاشم ، وبني أميَّة أثناء المبايعة ، وهذا غير صحيح ، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة[2] ، وقد انساق بعض المؤرَّخين خلف الرِّوايات الشِّيعيَّة الرَّافضيَّة ، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الرِّوايات ، فصوَّر تشاور أصحاب الرَّسول صلى الله عليه وسلم من تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائريِّ ، وأنَّ الناس قد انقسموا إلى حزبين : حزب أمويٍّ وحزبٍ هاشميٍّ وهو تصوُّر موهوم ، واستنتاج مردود ولا دليل عليه ، إذ أنَّه ليس نابعاً من ذلك الجوِّ الذي كان يعيشه أصحاب رسول الله حينما كان يقف المهاجري مع الأنصاري ضدَّ أبيه ، وأخيه ، وابن عمه وبني عشيرته ، وليس نابعاً من تصوُّر هؤلاء الصَّحب وهو يضحُّون بكلِّ شئ من حطام الدنيا في سبيل أن يسلم لهم دينهم ، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة ، فالأحداث الكثيرة التي رويت عن هؤلاء تثبت : أنَّ هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزَّاوية الضَّيِّقة في معالجة

[1] الطبقات الكبرى (٣ / ١٢٧)
[2] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري صـ ١٧٧ ، ١٧٨ .

أمورهم ، فليست القضيَّة قضيَّة تمثيل عائلي ، أو عشائري ، فهم أهل شورى لمكانتهم في الإسلام[1] .

• ــ **أقوال نسبت زوراً وبهتاناً لوالد الحسن رضي الله عنهما :**

قال ابن كثير : وما يذكره كثير عن المؤرخين كابن جرير ، وغيره عن رجال لا يعرفون : أنَّ علياً قال لعبد الرَّحمن بن عوف : خدعتني ، وإنَّك إنَّما وليته لأنَّه صهرك ، ويشاورك كلَّ يوم في شأنه ، وأنه تلكَّأ حتى قال لعبد الرحمن : ((**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**))

(الفتح ، آية : ١٠) ، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصِّحاح فهي مردودة على قائليها ، وناقليها ، والله أعلم ، والمظنون من الصّحابة خلاف ما يتوهَّم كثير من الرَّافضة ، وأغبياء القصَّاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار ، وضعيفها ، ومستقيمها ، وسقيمها ، و......... ، وقويمها ، والله الموفق للصَّواب[2] .

في الدروس المهمة التي استفدها من دراستي لمرحلة السيرة النبوية والخلافة الراشدة أنه بجانب الرواية الصحيحة التي تظهر حقيقة الصورة المشرقة للصحابة في دينهم وصفائهم ومحبتهم لبعضهم هناك صورة أخرى مناقضة لها حرص أعداء الإسلام من الكذابين على نشرها حقداً على الإسلام وروَّج لها المستشرقين وأذنابهم ، وتورط فيها بعض الفضلاء عن جهل وهي بطبيعة الحال تساهم في إضعاف

---

[1] الخلفاء الرَّاشدون ، أمين القضاة صـ ٧٨ ، ٧٩ .
[2] البداية والنهاية (١٥٢/٧) .

الأمّة وفقدان الأجيال التالية نموذج الاقتداء في سلفهم الصالح فيجب على الغيورين من الباحثين في هذه الأمَّة كشف هذا الزيف والأباطيل والتحذير من الكتب التي تروّج لها وتنـــشرها ، وبيـــان الروايـــات الصحيحة والترويج للكتب التي تتبناها دفاعاً عن الصحابة الكـــرام وابتغاء لمرضاة الله تعالى .

٣ ـــ معتقد الحسن بن علي في خلافة عثمان رضي الله عنهم :

إن معتقد الحسن بن علي في خلافة عثمان ، هو مـــا ذهـــب إليـــه الصحابة ، حيث أجمعوا على صحة خلافته بعد عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه ، ولم يخالف ، أو يعارض في هذا أحد ، بل الجميـــع سلَّم له بذلك وقد قال أبو الحسن الأشعري : وثبتت إمامة عثمـــان رضي الله عنه بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشُّورى ، الذين نصَّ عليهم عمر ، فاختاروه ورضوا بإمامته ، وأجمعوا على فـــضله وعدله[1] ، وقال عثمان الصَّابوني مبيناً عقيدة أهل السنة ، وأصحاب الحديث في ترتيب الخلافة بعد أن ذكر : أنَّهم يقولون أوّلاً بخلافـــة الصِّدِّيق ، ثمّ عمر ، قال : ثم خلافة عثمان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى . وإجماع الصحابة ، كافة ، ورضاهم حتَّى جعل الأمر إليه[2] .

٤ ـــ الحسن بن علي في فتح أفريقيا في جيش العبادلة :

كانت خطة عثمان في الفتوحات تتسم بالحسم والعزم وتمثَّلـــت في الآتي : إخضاع المتمرِّدين من الفرس ، والرُّوم وإعادة سلطان الإسلام

[1] الإبانة عن أصول الديانة صـ ٦٨ .
[2] عقيدة السّلف وأصحاب الحديث ضمن الرسائل المنيرية (١٣٩/١) .

إلى هذه البلاد ، واستمرار الجهاد والفتوحات فيها وراء هذه البلاد لقطع المدد عنهم ، وإقامة قواعد ثابتة يرابط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلامية ، وإنشاء قوة بحرية عسكرية لافتقار الجيش الإسلامي إلى ذلك ، وكانت معسكرات الإسلام ومسالكه (ثغوره) في عهد عثمان هي عواصم أقطاره الكبرى ، فمعسكر العراق : الكوفة ، والبصرة ، ومعسكر الشَّام في دمشق بعد أن خلص الشَّام كله لمعاوية بن أبي سفيان ، ومعسكر مصر ، وكان مركزه الفسطاط ، وكانت هذه المعسكرات تقوم بحماية دولة الإسلام ، ومواصلة الفتوحات ، ونشر الإسلام ، ومن أشهر قادة الفتوحات في عهد عثمان رضي الله عنه : الأحنف بن قيس ، وسليمان بن ربيعة ، وعبد الرحمن ربيعة ، وحبيب بن مسلمة ، وقد استفاد المسلمون من تلك الفتوحات العثمانية دروساً منها ، تحقق وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين والتطور في فنون الحرب والسياسة وركوب البحر ، والقتال البحري ، وجمع المعلومات على الأعداء ، والحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو وعندما أراد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه أن يفتح أفريقيا استشار الأكابر من أصحاب رسول الله ، فقد جاء في رياض النفوس أن أمير المؤمنين عثمان جاءه من واليه على مصر عبد الله بن سعد ، أنَّ المسلمين يغيرون على أطراف أفريقيا فيصيبون من عدوهم وأنهم قريبون من حَوز المسلمين ، فأعرب عثمان بن عفان رضي الله عنه ـــ علي إثر ذلك ـــ للمسور بن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو أفريقيا . جاء في هذا

الصدد ما نصه : فما رأيك يا ابن مخرمة ؟ قلت : أغزهم . قـــال : أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله ، واستـــشيرهم ، فمـــا أجمعوا عليه فعلته ، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته .. ايـــت عليـــاً ، وطلحة والزبير والعباس ، وذكر رجالاً ، فخلا بكل واحد منهم في المسجد ، ثم دعا أبا الأعور سعيد بن زيد . فقال لـــه عثمـــان : لم كرهت ـــ يا أبا الأعور ـــ من بعثة الجيوش إلى أفريقيا ؟ فقال له : سمعت عمر يقول : لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عينايَ الماء . فلا أرى لك خلاف عمر . فقال له عثمان : والله ما نخافهم وإنهم لراضون أن يقروا في مواضعهم ، فلا يغزون ، فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره ، ثم خطب الناس ، وندبهم إلى الغزو إلى أفريقيـــا ، فخرج بعض الصحابة ، منهم عبد الله بن الزبير وأبو ذر الغفاري[1] ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر والحسن والحسين[2] وغيرهم كثير ، وقد قدم المسلمون الغالي والرَّخيص في فتوحـــات أفريقيـــا ، واستشهد منهم الكثير وممَّن توفي منهم بأفريقيا في خلافة عثمان أبو ذُؤيب الهُذلي وكان شاعراً مشهوراً ، وهو الذي قال :

وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كـــــل تميمة لا تنفع
وتجلـــدي للشامتين أُريهم
أني لريب الدهر لا أتضعضع

---

[1] رياض النفوس (٨/١ ـ ٩) الجهاد والقتال لهيكل (٥٥٦/١) .
[2] ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية للدكتور صالح مصطفى صـ ٤١ ، الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي للصَّلاَّبيِّ صـ ١٩ .

وبعد انتصارهم الكبير على أعدائهم اتجه الحسن ومعه ثلة مباركة من المسلمين إلى عاصمة الخلافة وقلبه مفعم بالسرور والارتياح لتوسع النفوذ الإسلامي ، وانتشار دين رب العالمين .

٥ ـ موقف والد الحسن بن علي والصحابة في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه :

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه كالرخاء وأثره في المجتمع ، وطبيعة التحول الاجتماعي ، ومجئ عثمان بعد عمر رضي الله عنهما ، وخروج كبار الصحابة من المدينة ، والعصبية الجاهلية ، وتآمر الحاقدين ، والتدبير المحكم لإشارة المآخذ ضد عثمان ، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس ، وأثر السبئية في أحداث الفتنة وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب في كتابي ، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان شخصيته وعصره .

ولقد استخدم أعداء الإسلام في فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس ، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيراً ، والتحريض والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس والطعن في الولاة واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة رضي الله عنهم ، عائشة وعلي وطلحة والزبير ، والإشاعة بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأحق بالخلافة وأنه الوصي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر ، أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبير المسبق

، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاءوا إلا بدعوة الصحابة ، وصـــعدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل[1] ، وإلى جوار هـــذه الوســـائل ، استخدموا مجموعة من الشعارات منها التكبير ، ومنها أن جهـــادهم هذا ضد المظالم ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم ، ثم تطورت المطالبـــة إلى خلع عثمان ، إلى أن تمادوا في جرأتهم وطالبوا بل ســـارعوا إلى مقتل الخليفة وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة ، فزادهم حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة ، والتشوق إلى قتله بأية وسيلة[2] ، وكان التنظيم السبئي بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودي خلف تلك الأحداث والتي بعدها كالجمل والصفين وغيرها وقـــد تحدثنا عن حقيقة عبد الله بن سبأ في كتابي عثمان بن عفان ، وكتابي أسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب رضـــي الله عنهم فمن أراد المزيد فليرجع إليهما ولقد تعرّضت في كتابي عثمـــان بن عفان للشبهات التي ألصقت بتاريخ عثمان رضي الله عنه وبينت كذبها وبطلانها ، بالأدلة الدامغة والبراهين الساطعة ، فقد كان عثمان رضي الله عنه بحق الخليفة المظلوم الذي افترى عليه خصومه الأوَّلون ، ولم ينصفه المتأخِّرون .

- **ـــ موقف علي رضي الله عنه في بداية الفتنة :**

استمر علي رضي الله عنه في طريقته المعهودة مع الخلفـــاء وهـــي السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح ، وقد عبر بنفسه عن مدى

[1] دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة صـ ٤٠١ .
[2] المصدر نفسه صـ ٤٠٢ .

طاعته للخليفة عثمان وإلتزام أمره ولو كان شاقاً بقوله : لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت[1] ، وعندما نزل المتمردون في ذي المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهراً ونصفاً ، أرسل إليهم عثمان علياً ورجلاً آخر لم تسمه الروايات والتقى بهم علي رضي الله عنه فقال لهم : تعطون كتاب الله ، وتعتبون من كل ما سخطتم ، فوافقوا على ذلك[2] ، وفي رواية أنهم شادُّوه وشادهم مرتين أو ثلاثاً ، ثم قالوا : ابن عم رسول الله ، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا[3] ، فاصطلحوا على خمس : على أن المنفى يقلب ، والمحروم يعطى ، ويوفر الفئ ويعدل في القسم ويستعمل ذو الأمانة والقوة ، وكتبوا ذلك في كتاب ، أن يرد ابن عامر على البصرة ، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة[4] وهكذا اصطلح عثمان رضي الله عنه مع كل وفد على حدة ثم انصرفت الوفود إلى ديارها[5] ، وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعاً راضين تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت ، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق ، لذا خططوا تخطيطاً آخر يذكي الفتنة ويحييها يقتضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار ، وعثمان رضي الله عنه وبرز ذلك فيما يلي : في أثناء طريق عودة أهل مصر ، رأوا راكباً على جمل يتعرض لهم ، ويفارقهم ، فكأنه يقول : خذوني فقبضوا عليه ، وقالوا له : ما لك ؟ أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله فتحوا الكتاب ، فإذا فيه أمر بصلبهم

[1] مصنف ابن أبي شيبة (٢٢٥/١٥) سنده صحيح .
[2] تاريخ دمشق ترجمة عثمان صـ ٣٢٨ ، تاريخ خليفة صـ ١٦٩ .
[3] فتنة مقتل عثمان (١٢٩/١) .
[4] المصدر نفسه (١/ ١٢٩) .
[5] المصدر نفسه (٣٢٩/١) .

أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم ، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها[1] ، ونفى عثمان رضي الله عنه أن يكون كتب هذا الكتاب ،وقال لهم : أنهما أثنتان : أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت ، ولا علمت ، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم فلم يصدقوه[2] ، وهو الصادق البار لغاية في نفوسهم ، وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي سرح ، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان وذلك لعدة أمور منها[3] : كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم ، وفصلتهم عن المصريين ، الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم ــ مسافة شاسعة ، فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب ، ومع ذلك عادوا جميعاً في آن واحد ، كأنما كانوا على ميعاد ؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوَّروا الكتاب واستأجروا راكباً آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتاباً بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين ، وهذا ما احتج به علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقد قال : كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر ، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا[4] ، بل أن علياً يجزم : هذا والله أمر أبرم بالمدينة[5] .

---

[1] تاريخ الطبري (٣٧٩/٥) .
[2] فتنةمقتل عثمان (١٣٢/٥) (البداية والنهاية (١٩١/٧) .
[3] تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للصَّلاَّبيِّ صـ ٤١٠ .
[4] تاريخ الطبري (٣٥٩/٥) .
[5] تاريخ الطبري (٣٥٩/٥) .

إن هذا الكتاب المشؤوم ليس أول كتاب يزوِّره هؤلاء المجرمون ، بل زوَّروا كتباً على لسان أمهات المؤمنين وكذلك على لسان علي وطلحة والزبير ، فهذه عائشة رضي الله عنها تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفي وتقول : لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي[1] هذا ويعقب الأعمشي فيقول : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[2] ، ويتهم الوافدون علياً بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة ، فينكر ذلك عليهم ويقسم : والله ما كتبت إليكم كتاباً[3] ، كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم فدين محمد قد فسد وترك ، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة[4] ، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً : وهذا كذب على الصحابة ، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم ، فقد كتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج ــ قتلة عثمان ــ كُتُبٌ مزورة عليهم أنكروها ، وكذلك زوَّر هذا الكتاب على عثمان أيضاً ، فإنه لم يأمر به ، ولم يعلم به[5] ، ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وخليفة من استنكار كبار الصحابة ــ علي وعائشة والزبير ــ أنفسهم لهذه الكتب في أصحِّ الروايات[6] .

[1] تحقيق مواقف الصحابة (٣٣٤/١) .
[2] تاريخ خليفة بن خياط صـ ١٦٩ .
[3] تحقيق مواقف الصحابة (٣٣٥/١) البداية والنهاية (١٩١/٧) .
[4] تحقيق مواقف الصحابة (٣٣٥/١) البداية والنهاية (١٧٥/٧) .
[5] البداية والنهاية (١٧٥/٧) .
[6] تحقيق مواقف الصحابة (٣٣٥/١) .

إن الأيدي المجرمة التي زوَّرت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها ، ورتبت ذلك الفساد العريض ، وهي التي زورت وروَّجت على عثمان تلك الأباطيل ، وإنه فعل وفعل ولقنتها للناس ، حتى قبلها الرعاع ، ثم زوَّرت على لسان عثمان ذلك الكتاب ، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيداً سعيداً و لم يكن عثمان الشهيد المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية ، بل الإسلام نفسه كان مجنياً عليه قبل ذلك ، ثم التاريخ المشوَّه المحرَّف ، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوَّهاً هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين ، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق ، وسير رجالاتها العظام ؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا العصر من المسلمين ــ أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره[1] .

- **موقف الحسن بن علي ووالده أثناء الحصار :**

اشتد الحصار على عثمان رضي الله عنه ، حتى منع من أن يحضر للصلاة في المسجد ، وكان صابراً على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكان مع إيمانه القوي بالقضاء والقدر ، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة ، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم ، وإنه لا يحل سفكه إلا بحقه وتارة

[1] عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر صـ ٢٣٨ ، ٢٢٩ .

يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماتـــه الجليلـــة في الإســـلام ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم[1] ، وكأنه يقول ، من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيا ويقدمها على الآخرة وهل يعقل يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهـــو يعرف عاقبة ، ذلك عند الله وهو الذي تربى على عين النبي صلى الله عليه وسلم والذي شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة ، ومـــتى بعد ما تجاوز السبعين وقارب الثمانين من عمـــره أهكـــذا تكـــون معاملته ؟ واشتدت سيطرة المتمردون على المدينة حتى أنهم ليـــصلون بالناس في أغلب الأوقات[2] ، وحينها أدرك الصحابة أن الأمر لـــيس كما حسبوا ، وخشوا من حدوث ما لا يحمد عقباه ، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله ، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه ، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة ، إلا أنه رفض أن يراق دم بـــسببه[3] . وأرســـل كبـــار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان رضي الله عنه ، ومن هـــؤلاء الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وعبد الله بن الزبير ، فقد كـــان عثمان يحب الحسن ويكرمه ، فعندما وقعت الفتنة وحوصر عثمـــان رضي الله عنه أقسم على الحسن رضي الله عنه بالرجوع إلى مترلـــه وذلك خشية عليه أن يصاب بمكروه[4] ،وقد قال عثمان للحسن رضي الله عنه : أرجع يا ابن أخي حتى يأتي الله بأمره[5] ، وقـــد صـــحت

---

[1] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي صـ ٨٥ .
[2] سير أعلام النبلاء (٥١٥/٣) .
[3] فتنة مقتل عثمان (١٦٧/١) ، المسند (٣٩٦/١) أحمد شاكر .
[4] تاريخ المدينة لابن شبة (١٢٠٨/٤) .
[5] الرياض النظرة نقلاً عن الحسن بن علي ودوره السياسي صـ ٤٦ .

روايات أن الحسن حمل جريحاً من الدار يوم الدار[١] ، كما جرح غير الحسن ، عبد الله بن الزبير ومحمد بن حاطب ومروان بن الحكم ، كما كان معهم الحسين بن علي وابن عمر رضي الله عنهما[٢] وقد كان علي من أدفع الناس عن عثمان رضي الله عنه وشهد له بذلك مروان بن الحكم[٣] كما أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن علياً أرسل إلى عثمان فقال : إن معي خمسمائة دارع ، فأذن لي ، فأمنعك من القوم فإنك لم تحدث شيئاً يستحل به دمك ، فقال : جزيت خيراً ، ما أحب أن يهراق دم في سببي[٤] ، وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان رضي الله عنهما ، أثناء الحصار فمن ذلك : أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشاً ، فأرسل علي رضي الله عنه إليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه ، وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت [٥]، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه رضي الله عنه ، وأرضاه ، ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم في المسجد ، فذهبت عقولهم ، وقال على لأبنائه و أبناء أخيه كيف قتل عثمان وأنتم على الباب ؟ ولطم الحسن ، وكان قد جرح[٦]، وضرب صدر الحسين ، وشتم ابن الزبير وابن طلحة ، وخرج غضبان إلى مترله ويقول : تباً لكم سائر الدهر

---

[١] الطبقات لابن سعد (١٢٨/٨) بسند صحيح .
[٢] تاريخ خليفة صـ ١٧٤ .
[٣] تاريخ الإسلام للذهبي صـ ٤٦ ـ ٤٦١ إسناده قوي .
[٤] تاريخ دمشق صـ ٤٠٣ .
[٥] أسباب الأشراف للبلاذري (٥ / ٧٦) .
[٦] ابن أبي عاصم الآحاد والثماني ١ / ١٢٥) نقلاً عن خلافة علي صـ ٨٧ .

، اللهم أني أبرأ إليكم من دمه أن يكون قتلت أو ما لأت على قتله[1] ، وهكذا كان موقف علي رضي الله عنه ، نصح وشورى سمع وطاعة ، ووقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة ، ومن أدفع الناس عنه ، ولم يذكره بسوء قط ، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه لكن الأمر فوق طاقته ، وخارج إرادته ، إنها إرادة الله عز وجل أن يفوز أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بالشهادة[2] .... ويبوء المفسدين بالإثم أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنكر قتل عثمان ، وتبرأ من دمه ، وكان يقسم على ذلك في خطبه ، وغيرها : إنه لم يقتله ولا أمر بقتله ، ولا مالأ عليه ، ولا رضي ، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع[3] ، خلافاً لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضياً بقتل عثمان رضي الله عنهما[4] ، وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله رضي الله عنه : فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فإنه كذب ، وزور ، فقد تواترت الأخبار بخلافه[5] . وقال ابن تيميه : وهذا كله كذب على علي رضي الله عنه ، وافتراء عليه ، فعلي رضي الله عنه لم يشارك في دم عثمان رضي الله عنه ولا أمر ولا رضي ، وقد روي عنه ذلك ، وهو الصادق البار[6] ، وقد قال علي رضي الله عنه : اللهم أني أبرأ إليك من دم عثمان[7] . وقد شوهت

---

[1] مصنف ابن أبي شيبه (٢٠٩/١٥) إسناد صحيح .
[2] خلافة علي بن أبي طالب صـ ٨٧ ، على عبد الحميد .
[3] البداية والنهاية (٢٠٢/٧) .
[4] العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط صـ ١٢٩ ، حق اليقين ، عبد الله شبر صـ ١٨٩ .
[5] المستدرك (١٠٣/٣) .
[6] مناهج السنة (٤٠٦/٤) .
[7] العقيدة في أهل البيت صـ ١٣٠ ، إسناده حسن الطبقات (٣/٣) .

بعض كتب التاريخ مواقف الصحابة من فتنة مقتل عثمان ، وذلك بسبب الروايات الرافضية التي ذكرها كثير من المؤرخين والمتتبع لأحداث الفتنة في تاريخ الإمام الطبري ، وكتب التاريخ الأخرى من خلال روايات أبي مخنف ، والواقدي ، وابن أعثم ، وغيرها من الأخبار يبين ويشعر أن الصحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة ، ويثيرون الفتنة ، فأبي مخنف ذو الميول الشيعية لا يتورع في اتهام عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته ، فاستحق ما استحق ، ويظهر طلحة في مروياته كواحد من الثائرين على عثمان ، والمؤلبين ضده ، ولا تختلف روايات الواقدي عن رويات أبي مخنف ، وقد كثرت الروايات الرافضية التي تتهم الصحابة بالتآمر ضد عثمان رضي الله عنه وأنهم هم الذين حركوا الفتنة ، وأثاروا الناس ، وهذا كله كذب وزور[1] ، وخلافاً للروايات الرافضية والموضوعة والضعيفة فقد حفظت لنا كتب المحدثين بحمد الله الروايات الصحيحة التي يظهر فيها الصحابة من المؤازرين لعثمان ، والمنافحين عنه والمتبرأين من قتله ، والمطالبين بدمه بعد مقتله وبذلك يستبعد أي اشتراك لهم في تحريك الفتنة ، أو إثارتها[2]، إن الصحابة جميعاً رضي الله عنهم أبرياء من دم عثمان رضي الله عنه ومن قال خلاف ذلك ، فكلامه باطل لا يستطيع أن يقيم عليه أي دليل ينهض إلى مرتبة الصحة ، ولذلك أخرج خليفة في تاريخه عن عبد الأعلى بن الهيثم ، عن أبيه ، قال : قلت للحسن : أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين ، والأنصار

[1] تحقيق مواقف الصحابة (١٤/٢ إلى ١٨) .
[2] المصدر السابق نفسه .

؟ قال : لا ، كانوا أعلاجاً[١] ، من أهل مصر . وقـــال الإمام النَّووي ، : و لم يشارك في قتله أحد من الصحابة ، وإنما قتله همج ، ورعاع من غوغاء القبائل سفلة الأطراف والأراذل ، تحزَّبوا ، وقصدوه مـــن مصر ، فعجزت الصَّحابة الحاضرون عن دفعهم ، فحصروه حتَّى قتل ، رضي الله عنه[٢] ، وقد وصفهم الزبير رضي الله عنه بأنهم غوغاء من الأمصار ، ووصفتهم السيَّدة عائشة بأنَّهم نزَّاع القبائل[٣] ، ووصفهم ابن تيميه بأنهم خوارج مفسدون وضالون ، بـــاغون معتـــدون[٤] ، ووصفهم الذهبيُّ بأنهم رؤوس شرٍّ ، وجفاء[٥] ، ووصفهم ابن العماد الحنبليُّ في الشذرات بأنَّهم أراذل من أوباش القبائل[٦] ، ويشهد على هذا الوصف تصرُّف هؤلاء الرُّعاع منذ الحصار إلى قتل الخليفة رضي الله عنه ظلماً ،وعدواناً فكيف يمنع الماء عنه ، والطّعام ، وهو الـــذي طالما دفع من ماله الخاص ما يروي ظمأ المسلمين بالمجّـــان[٧] ، وهـــو الذي يساهم بأموال كثيرة عندما يلمُّ بالناس مجاعة ، أو مكروه وهو الدائم العطاء عندما يصيب النَّاس ضائقة ، أو شدَّة من الـــشدائد[٨] ، حتى أنَّ علياً رضي الله عنه يصف هذا الحال ، وهو يؤنب المحاصرين بقوله : يا أيُّها الناس : إن الذي تفعلونه لا يشبه أمر المـــؤمنين ، ولا أمر الكافرين ، فلا تمنعوا عن هذا الرّجل الماء ، ولا المادة ـــ الطعـــام

---

[١] العلج : كل جاف شديد من الرّجال

[٢] شهيد الدار عثمان بن عفان صـ ١٤٨ .

[٣] شرح النَّوويِّ على صحيح مسلم (١٤٨/١٥) .

[٤] منهاج السنَّة (١٨٩/٢ ـ ٢٠٦) .

[٥] دول الإسلام للذهبي (١٢/١) .

[٦] تحقيق مواقف الصحابة (٤٨٢/١) ، شذرات الذهب (٤٠/١) .

[٧] تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للصَّلاَّبيَّ صـ ٤٥٠ .

[٨] التمهيد والبيان صـ ٤٢٤ .

ــ فإن الرُّوم ، وفارس لتأسر ، وتطعم ، وتسقي[1] ، لقــد صــحَّت الأخبار ، وأكَّدت حوادث التاريخ على براءة الصَّحابة من التَّحريض على عثمان أو المشاركة في الفتنة ضدّه[2] ، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابي تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان[3] .

رابعاً : الحسن بن علي في عهد والده رضي الله عنهما :

تمت بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة بطريقة الاختيار وذلــك بعــد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنــه علــى أيــدي الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاءوا من الآفاق ، ومن أمصار مختلفــة ، وقبائل متباينة لا سابقة لهم ، ولا أثر خير في الدين ، فبعد أن قتلوه رضي الله عنه ظلماً وزوراً وعدواناً يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[4] ، قام كل من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله بمبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق في ذلك الوقت ، فلم يدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمــان رضي الله عنه و لم يكن أبو السبطين رضي الله عنه حريصاً عليها ، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقي من الصحابة بالمدينة وخوفاً مــن ازدياد الفتن وانتشارها ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال أثر تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين التي أوقد نارها وأنشبها الحاقــدون علــى الإسلام كابن سبأ وأتباعه الذين استخفهم ، فأطاعوه لفــسقهم ولزيــغ

---

[1] تاريخ الطبري (٥/٤٠٠) .
[2] تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٨) .
[3] عثمان بن عفان للصَّلاَّبيّ صـ ٤٥١ إلى ٤٦٦ .
[4] الطبقات لابن سعد (٣/٣١) .

قلوبهم عن الحق والهدى ، وقد روى الكيفية التي تم بها اختيار علي رضي الله عنه للخلافة بعض أهل العلم[1] ، وقد ذكرت تلك الروايات بالتفصيل في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد انعقد أجماع أهل السنة والجماعة على أن علياً رضي الله عنه كان متعيناً للخلافة بعد عثمان رضي الله عنه لبيعة المهاجرين والأنصار له لما رأوا لفضله على من بقي من الصحابة ، وأنه أقدمهم إسلاماً ، وأوفرهم علماً ، وأقربهم بالنبي صلى الله عليه وسلم نسباً ، وأشجعهم نفساً ، وأحبهم إلى الله ورسوله وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأشرفهم منزلة وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هدياً وسمتاً فكان رضي الله عنه متعيناً للخلافة دون غيره ، وقد قام من بقي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعقد البيعة به بالخلافة بالإجماع فكان حينئذ إماماً حقاً وجب على سائل الناس طاعته وحرم الخروج عليه ومخالفته ، وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم ، ابن سعد[2] ، وابن قدامة[3]، وأبو الحسن الأشعري[4]، وأبو نعيم الأصبهاني[5] ، وأبو منصور البغدادي[6] ، والزهري[7] ، وعبد الملك الجويني[8] ، وأبو عبد الله بن بطة[9] ، والغزالي[10] ،وأبو بكر بن العربي[11] ، وابن تيمية[1]

[1] عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٦٧٧/٢) .
[2] الطبقات الكبرى (٣١/٣) .
[3] منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين صـ ٧٧ ـ ٧٨ نقلاً عن عقيدة أهل السنة في الصحابة (٦٨٩/٢) .
[4] الإبانة عن أصول الديانة صـ ٧٨ ، مقالات الإسلاميين (٣٤٦/١) .
[5] كتاب الإمامة والرد على الرافضة صـ ٣٦٠ ـ ٣٦١ .
[6] كتاب أصول الدين صـ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .
[7] الاعتقاد صـ ١٩٣ .
[8] كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد صـ ٣٦٢ ، ٣٦٣ .
[9] لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢٤٦/٢) ، عقيدة أهل السنة (٦٩٢/٢) .
[10] الاقتصاد في الاعتقاد صـ ١٥٤ .
[11] العواصم من القواصم صـ ١٤٢ .

تيمية[1] ، وابن حجر[2] ، والذي نستفيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة علي رضي الله عنه محل إجماع على أحقيتها وصحتها في وقت زمانها وذلك بعد قتل عثمان رضي الله عنه حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه رضي الله عنه ، فقد جاءت علي رضي الله عنه على قدر في وقتها ومحلها[3] .

١ ـــ خروج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الكوفة :

لم يكن بعض الصحابة رضي الله عنهم في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة ، وقد تبين ذلك حينما هـمَّ عليٌّ بالنهوض إلى الشام ليزور أهلها وينظر ما هو رأي معاوية ما هو صانع[4] ، فقد كان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة فقال : إن الرجل والأموال بالعراق[5] ، فلما علم أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه بهذا الميل قال للخليفة : يا أمير المؤمنين ، لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة ، ومهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام ، فإن استقامة لك العرب كنت كمن كان ، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم وإن ألجئت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت .. ، فأخذ الخليفة بما أشار عليه أبي أيوب . وعزم المقامة

[1] الوصية الكبرى صـ ٢٣ .
[2] فتح الباري (٧٢/٧) .
[3] عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٦٩٣/٢) .
[4] الثقات لابن حبان (٢٨٣/٢) ، الأنصار في العصر الراشدي صـ ١٦١ .
[5] المصدر نفسه (٢٨٣/٢) ، الأنصار في العصر الراشدي صـ ١٦١ .

بالمدينة وبعث العمال على الأمصار[1] ، ولكن حصلت كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة ، وقرّر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريباً من أهل الشام[2] ، وأثناء استعداده للخروج ، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء في جيش علي ، وطريقة التعامل معهم ، فكثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة لا زالت مستمرة ، فلا بد من التروي حتى تتجلى الأمور أكثر ، وهم يقولون لا والله ما ندري كيف نصنع ، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضيئ لنا ويسفر ، وروى الطبري أن علي رضي الله عنه خرج في تعبئته التي كانت تعبئ بها إلى الشام وخرج معه النشطة من الكوفيين والبصريين متخفين في سبعمائة رجل[3] ، والأدلة على تثاقل الكثير من أهل المدينة عن إجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثير منهم ، خطب الخليفة التي شكا فيها من هذا التثاقل[4] .

٢ ـ نصيحة الحسن بن علي لوالده :

خرج أمير المؤمنين من المدينة ، وعندما بلغ الربذة[5] عسكر فيها بمن معه ، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين[6] ، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن رضي الله عنهما وهو باك لا يخفي حزنه وتأثره على

---

[1] الثقات لابن حبان (٢٨٣/٢) ، الأنصار في العصر الراشدي صـ ١٦١ .
[2] استشهاد عثمان ووقعة الجمل صـ ١٨٣ .
[3] المصدر نفسه (٤٨١/٥) .
[4] الطبقات (٢٣٧/٣) ، الأنصار في العصر الراشدى صـ ١٦٣ .
[5] شرق المدينة المنورة تبعد ٢٤٠ كم .
[6] أنساب الأشراف (٤٥/٢) خلافة علي بن أبي طالب صـ ١٤٣ .

ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف ، وقال الحسن لوالده : قـــد أمرتني فعصيتك ، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك ، فقال علي : إنك لا تزال تخن خنين الجارية[1] ، وما الذي أمرته فعـــصيته ؟ ، قـــال : أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة ، فيقتل ولست بها ، ثم أمرتك يوم قتل أن لا تبايع حتى يأتيك وفود أهـــل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر ، ثم أمرتك حـــين فعـــلا هـــذان الرجلان ، ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا ، فـــإن كـــان الفساد كان على يدي غيرك ، فعصيتني في ذلك كله . قال : أي بني ، أما قولك : لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان ، فوا الله لقد أحيط بنا كما أحيط به ، وأما قولك : لا تبايع حـــتى تـــأتي بيعـــة الأمصار ، فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمـــر ، وأما قولك حين خرج طلحة و الزبير ، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام ، والله ما زلت مقهوراً مذ وليت ، منقوصاً لا أصل إلى شئ مما ينبغي ، وأما قولك : اجلس في بيتك فكيف لي بما قد لـــزمني أو مِنُ تريدني ؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها ، ويقـــال : دباب دباب [2]، ليست هاهنا حتى يحل عرقوباها ثم تخـــرج ، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه ، فكف عنـــك أي بني . ومن هذه الحادثة نلاحظ حسن تربية أمير المـــؤمنين علـــي لأبنه ، وكيف أعطاه مجالاً ليعبر عن ما في نفسه بدون ضغوط ثم رد أمير المؤمنين على كل اعتراض ، كما تبين ميل الحسن رضي الله عنه

[1] تاريخ الطبري (٤٨٢/٥) : خن : أخرج الصوت من خياشيمه .
[2] دباب ، كقطام : دعاء الضبع للضبع .

المبكر للسلم والابتعاد عن استخدام القوة مهما كلف الأمر ، أما أمير المؤمنين علي ،فقد كان حازماً ــ والحق معه ــ في هــذه المــشكلة وواضح و لم يستطيع أحد أن يثنيه عن عزمه وكان متريثاً في تنفيــذ القصاص على قتلة عثمان فقد كان ينتظر حتى يستتب له الأمر ، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير وأنهم قوة لا يستهان بها ، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور ، فتؤخذ الحقوق ،لئن الظروف لم تكن مواتية من جلب المصالح وقد ألمح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى اختيار أهون الشرين حين قال : هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار ــ قتلة عثمان ــ وهو خير من شر منه ــ القتال والفرقة [1]، لقد رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه ، فأخر القصاص من أجل هذا ،وكان رضــي الله عنه ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن وتجتمع الكلمة ويرفع الطلب من أولياء الدم ، فيحضر الطالب للدم والمطلوب ، وتقــع الــدعوة ويكون الجواب ، وتقوم البينة ويجري القضاء في مجلس الحكم [2]،ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلــك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة [3]، وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكيف يرضى أن يكون هؤلاء في جيشه ، فقد أجاب الإمام الطحاوي عن ذلك بقوله : وكــان في

---

[1] المصدر السابق (٤٦٠/٥)
[2] تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٥٦)
[3] أحكام القرآن لأبن العربي (٢/ ١٧١٨)

عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الـــذين قتلـــوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته ومن لم تقم عليه حجة بما فعله ، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله [١]، وعلى كل حال ، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم ،المتبرئ من فعلـــهم ، وكان راغباً في الإستغناء عنهم بل الإقتصاص منهم ، لو وجـــد إلى ذلك سبيلاً وقد فصلت ذلك في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمـــير المؤمنين علي بن أبي طالب

٣ ــ أثر الحسن بن علي في استنفار أهل الكوفة :

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يمارس صلاحياته كخليفة وكان فيه من العزم والحزم بحيث لا يستطيع أحد أن يثنيه عـــن عزمـــه ، فأرسل علي رضي الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويـــدعوهم إلى نصرته ، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما ، إذ أن أبا موسى الأشـــعري والى الكوفة من قبل علي ، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وســـلم مـــن التحذير من الإشتراك في الفتنة [٢]،فأرسل علي بعد ذلك هاشم بـــن عتبة بن أبي وقاص ،ففشل في مهمته ،لتأثير أبي موسـى علـــيهم [٣]، فبعث عبد الله بن عباس فأبطوا عليه ، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علي ، وعزل أبا موس الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بـــدلا

---

[١] شرح الطحاوية ص ٥٤٦

[٢] تاريخ الطبري (٥ / ٥١٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ١٢)اسناده حسن

[٣] خلافة علي بن أبي طالب ص ٤٤ عبد الحميد ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٨٦)

منه[1] وكان للقعقاع بن عمرو دور كبير في إقناع أهل الكوفة ، قـــام فيهم وقال : أني لكم ناصح وعليكم شفيق ، وأحب أن ترشـــدوا ، ولأقولن لكم قولا هو الحق ، ... والقول الذي هو القول إنه لا بـــد من إمارة تنظم الناس وتتزع الظالم ، وتعز المظلوم ، وهذا علي يلي ما ولي ، وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعوا إلى الإصـــلاح ،فـــانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأ ومسمع و مسمع[2] ، وكان للحسن بن علي أثر واضح ، فقد قام خطيباً في الناس وقال : أيها النـــاس ، أجيبـــوا دعوة أميركم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر مـــن ينفر إليه ، والله لأن يليه أولو النهى[3] ، أمثل في العاجلـــة وخـــير في العاقبة ، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم[4] ، ولـــبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين ستة إلى سبعة ألف رجل ، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريباً[5] ، وعندما التقى أهـــل الكوفـــة بـــأمير المؤمنين علي بذي قار قال لهم : يا أهل الكوفة ، أنتم وليتم شـــوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم ، حتى صارت إليكم مواريثهم ، فأعنتم حوزتكم واغتنم الناس على عودهم وقد دعوتكم لتـــشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذلك ما نريد وأن يلجـــوا

[1] فتح الباري (١٣/ ٢٥) ، التاريخ الصغير (١/ ١٠٩)
[2] تاريخ الطبري (٥/ ٥١٦)
[3] أولو النهى : أصحاب العقول .
[4] تاريخ الطبري (٥/٥١٦) .
[5] مصنف عبد الرزاق (٥/٤٥٦ ـ ٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهري .

داويناهم بالرفق وبايناهم حتى يبدؤونا بظلم ، ولن ندع أمـــراً فيـــه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله[1] .

٤ ــ محاولات الصلح :

كان علي رضي الله عنه حريصاً على أن يقضي على هذه الفرقـــة والفتنة بالوسائل السلمية وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أوتي من قوة وجهد ، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير ، وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التـــابعين ، وكان من أشهرها محاولة القعقاع بن عمرو ، فقد حـــاور طلحـــة والزبير والسيدة عائشة ، وقد تأثروا بما طرح وسألت السيدة عائشة القعقاع عن رأيه في أمر قتلة عثمان ، فقال : هذا أمر دواءه التسكين ، ولا بد من التأني في الاقتصاص من قتلة عثمان ، وإن أنتم بـــايعتم علياً[2] واتفقتم معه ، كان هذا علامة خير ، وتباشير رحمة ، وقـــدرة على الأخذ بثأر عثمان ، وإن أنتم أبيتم ذلـــك ، وأصـــررتم علـــى المكابرة والقتال كان هذا علامة شر ، وذهاباً لهذا الملـــك ، فـــآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً ، ولا تعرضـــونا للبلاء ، فتتعرضوا له ، فيصرعنا الله وإياكم وأيم والله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف ألا يتم ، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قل متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فإن ما نزل بها أمر عظيم ، وليس كقتل الرجل الرجل ولا قتل النفر الرجل ، ولا قتـــل القبيلـــة القبيلة ، اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص ، ووافقوا على

---

[1] تاريخ الطبري (٥/٥١٩) .

[2] المقصود : الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين علي في التعامل مع قتلة عثمان .

دعوته إلى الصلح، وقالوا له أحسنت وأصبت المقالة ، فارجع فـإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر إن شاء الله ، وعـاد القعقاع إلى علي في "ذي قار" ، وقد نجح في مهمته ، وأخبر علياً بما جرى معهم ، فأعجب علي بذلك ، وأوشك القوم على الصلح ، كرهه من كرهه ورضيه من رضيه[1] .

٥ ــ دور السبائية في نشوب القتال في معركة الجمل :

لما عاد القعقاع وأخبر أمير المؤمنين علي بما فعل ، أرسل علي رضـي الله عنه رسولين[2] إلى عائشة والزبير ومن معه يستوثق فيه مما جاء بـه القعقاع بن عمرو ، فجاءا علياً ، بأنه على ما فارقنا عليـه القعقـاع فأقدم ، فارتحل علي حتى نزل بحيالهم ، فنزلت القبائل إلى قبائلهم مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة ، واليمن إلى اليمن ، وهم لا يـشكون في الصلح ، فكان بعضهم بحيال بعض ، وبعضهم يخرج إلى بعض ، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح[3] . وكان أمير المؤمنين علي رضـي الله عنه لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطـير : ألا وأني راحـل غـداً فارتحلوا يقصد إلى البصرة ، ألا ولا يرتحلن غداً أحدٌ أعان على عثمان بشئ في شئ من أمور الناس[4] ، وكان في معسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة والخوارج الذي قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته ، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله ، ومن في قلبه نفاق

[1] البداية والنهاية (٧٣٩/٧) ، تاريخ الطبري (٥٢١/٥) .
[2] تاريخ الطبري (٥٢٥/٥) .
[3] المصدر نفسه (٥٣٩/٥) .
[4] المصدر نفسه (٥٢٥/٥) .

لم يتمكن من إظهاره[1] ، وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص[2] ، فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا خرج علي وخرج طلحة والزبير ، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه ، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ، وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع ، فافترقوا على ذلك ، ورجع علي إلى عسكره ، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما ، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان رضي الله عنه ــ فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكون في الصلح ، فكان بعضهم بحيال بعض وبعضهم يخرج إلى بعض ، ولا ينوون إلا الصلح ، وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط ، إذ أشرفوا على الهلاك ، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلهم ، وقال قائلهم : أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما ، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشئ ــ ورأي الناس فينا والله واحد ، وأن يصطلحوا مع علي فعلى دماءنا[3] ، وتكلم ابن السوداء ــ عبد الله بن سبأ وهو المشير فيهم ــ فقال : إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ، ولا تفرغوهم للنظر ، وإذا أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون

---

[1] المصدر نفسه (٥/٥٢٦) .
[2] المصدر نفسه (٥/٥٢٧) ، تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٢٠) .
[3] تاريخ الطبري (٥/٥٢٦) .

، فابصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[1] فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السر ، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة ، وما يشعر بهم جيرانهم فخرج مضريهم إلى مضريهم وربيعيهم إلى ربيعيهم ، ويمانيهم إلى يمانيهم فوضعوا فيهم السيوف ، فثار أهل البصرة ، وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم ، فخرج الزبير وطلحة في وجـــوه الناس واندلع القتال[2] ، وقد تحدثت عن جـــولات معركـــة الجمـــل بالتفصيل في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بـــن أبي طالب ، فقد كان أثر السبئية في معركة الجمل مما يكاد يجمـــع عليـــه العلماء ، سوى أسموهم بالمفسدين أو بأوباش الطـــائفتين أو أسمـــاهم البعض بقتلة ، أو نبذوهم بالسفهاء ، أو بالغوغاء ، أو أطلقوا علـــيهم صراحة السبئية[3] وهـــذه بعض النصوص التي تؤكد ذلك .

أ ـــ **جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبة** أن الذي نسب إليهم قتـــل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم ، فانشبوا الحـــرب بينهم حتى كان ما كان[4] .

ب ـــ **قال الإمام الطحاوي** : فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين[5] .

ت ـــ **وقال الباقلاني** : .. وتم الصلح والتفرق على الرضا ، فخـــاف قتلة عثمان من التمكن منهم ، والإحاطـــة بهـــم ، فـــاجتمعوا ،

---

[1] المصدر نفسه (٥/٥٢٧) .
[2] المصدر نفسه (٥/٥٤١) .
[3] عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام صـ ١٩٤ .
[4] فتح الباري (١٣/٥٦) .
[5] شرح العقيدة الطحاوية صـ ٥٤٦ .

وتشاوروا واختلفوا ، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فـــرقتين ويبدأوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا ، ويصيح الفريـــق الذي في معسكر علي : غدر طلحة والزبير ، ويصيح الفريق الذي في طلحة والزبير : غدر علي ، فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشب الحرب ، فكان كل فريق منهم دافعاً لمكروه عن نفسه ومانعاً من الإشاطة بدمه ، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذا وقع ، والامتناع منهم على هذا السبيل ، فهذا هو الصحيح المشهور ، وإليه تميل ، وبه نقول[1] .

ث ــ **ونقل القاضي عبد الجبار** : أقوال العلماء ، باتفاق رأي علـــي وطلحة والزبير وعائشة ــ رضوان الله عليهم ــ على الـــصلح ، وترك الحرب ، واستقبال النظر في الأمـــر ، وأنَّ مـــن كـــان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك ، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم ، فدبّروا في إلقاء ما هو معروف ، وتمّ ذلك[2] .

جـــ ــ **ويقول القاضي أبو بكر بن العربي** : وقدم عليّ على البصرة ، وتدانوا ليتراءوا ، فلم يتركهم أصحاب الأهواء وبادروا بإراقـــة الدماء واشتجر الحرب ، وكثرت الغوغاء على البوغاء ، كل ذلك حتى لا يقع برهان ، ولا يقف الحال على بيان ، ويخفي قتلة عثمان ، وإنّ واحداً في الجيش يفسد تدبيره ، فكيف بألف[3] .

---

[1] التمهيد صـ ٢٣٣ .
[2] تثبيت دلائل النبوة للهمذاني صـ ٢٩٩ .
[3] العواصم من القواصم صـ ١٥٦ ، ١٥٧ .

ح ــ **ويقول ابن حزم** : ... وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا و لم يقتتلوا ولا تحاربوا ، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم ، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم ، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليّ ، فدفع أهله عن أنفسهم كل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدأتها القتال ، واختلط الأمر اختلاطاً ، لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه ، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شنّ الحرب واضرامها ، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها ، مدافعة عن نفسها ، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها ، وأتى طلحة سهم غارب ، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط ، فصادف جرحاً في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فانصرف ومات من وقته ــ رضي الله عنه ــ وقتل الزبير بوادي السباع ــ بعد انسحابه من المعركة ــ على أقل من يوم من البصرة ، فهكذا كان الأمر[1] .

خ ــ **ويقول الذهبي** .. كان وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين[2] . ويقول : إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال ، بل ، ليتكلموا في اجتماع الكلمة ، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل وشبت نار الحرب ، وثارت النفوس[3] . وفي دول الإسلام : والتحم القتال من الغوغاء : وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير[4]

---

[1] الفصل في الملل والنحل (١٥٧/٤ ، ١٥٨) .
[2] العبر (٣٧/١) ، عبد الله بن سبأ للعودة صـ ١٩٥ .
[3] تاريخ الإسلام (١٥/١) ، عبد الله بن سبأ للعودة صـ ١٩٥ .
[4] دول الإسلام (١٥/١) ، عبد الله بن سبأ للعودة صـ ١٩٥ .

. يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة : ولنا بعد ذلك أن نقول : وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرّحة بــدور الــسبئية في الجمل ، تفسر هذا التعميم وتحدد تلك المسميات الــتي وردت في نقولات هؤلاؤء العلماء ؟ وحتى ولو لم تكــن هــذه الطوائــف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية و لم تكن لها أهداف كأهدافهم ، فأي مانع يمنع القول أن هذه شكلت أرضية استغلها ابن ســبأ وأعوانه "السبئية" كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين[1] .

وقد كان الحسن رضي الله عنه يوم الجمل على الميمنة وقيل علــى الميسرة ، وكان يكره القتال ويشير على أبيه بتركه[2] .

٦ ــ عدد القتلى في الجمل :

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلــى اختلــف في تقديره الروايات ، وذكر المسعودي أن هذا الاختلاف في تقــدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة[3] ، وقد أورد خليفة بن خياط بياناً بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل ، فكانوا قريباً من المائة[4] ، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة ، فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين . وهذا هو الرقم ، الــذي ترجح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته استــشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطــبري

[1] المصدر نفسه صـ ١٩٦ .
[2] الوافي بالوفيات للصدفي (١٠٩/١٢) .
[3] مروج الذهب (٣٦٧/٣) .
[4] تاريخ خليفة صـ ١٨٧ ، ١٩٠ .

دراسة نقدية[1] ، وأما ما ذكره أبو مخنف الرافضي الشيعي في كون القتلى يصل عددهم إلى عشرين ألفاً[2] ، فهذا مبالغ فيه ، وقد أساء هذا الكذّاب من حيث يظن أنه أحسن ، إذ ذكر أن العشرين ألفاً من أهل البصرة فقط[3] ، وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي رضي الله عنه ونصفهم من أصحاب عائشة رضي الله عنها ، وفي رواية أخرى قال : وقيل خمسة عشرة آلاف ، خمسة آلاف من أهل الكوفة ، وعشرة آلاف من أهل البصرة ، نصفهم قتل في المعركة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية[4] ، والروايتان ضعيفتان للانقطاع غيره ، وفيها مبالغة أيضاً ، ويذكر عمر بن شبه أن القتلى يزيدون على ستة آلاف ، إلا أن الرواية ضعيفة سنداً[5] ، وأما اليعقوبي ، فقد جاوز هؤلاء جميعاً ، إذ وضع عدد القتلى نيفاً وثلاثين ألفاً[6] ، وهذه الأرقام مبالغاً فيها جداً وقد ذكرت في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أسباب المبالغة .

٧ ـــ نداء أمير المؤمنين بعد الحرب :

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها ، حتى نادى منادي علي : أن لا يجهزوا على جريح ، ولا يتبعوا مدبراً ، ولا يدخلون داراً ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن وليس لجيشه من

---

[1] استشهاد عثمان ووقعة الجمل صـ ٢١٥ .
[2] تاريخ خليفة صـ ٨٦ بسند مرسل .
[3] المصدر نفسه صـ ١٨٦ .
[4] تاريخ الطبري (٥/٥٤٢ إلى ٥٥٥) .
[5] تاريخ خليفة بن خياط صـ ١٨٦ إسناده منقطع وهو حسن إلا قتادة .
[6] مصنف ابن أبي شيبة (٧/٥٤٦) فتح الباري (١٣/٦٢) .

غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع وليس لهم ما وراء ذلك من شئ ، ونادى منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة من وجد شيئاً من متاعه عند أحد من جنده ، فله أن يأخذه[1] .

٨ ـ تفقده للقتلى وترحمه عليهم :

بعد انتهاء المعركة خرج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يتفقد القتلى في نفر من أصحابه ، فأبصر محمد بن طلحة السجاد ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أما والله لقد كان شاباً صالحاً ، ثم قعد كئيباً حزيناً .. ودعا للقتلى بالمغفرة وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح[2] .

٩ ـ تأثره من مقتل طلحة رضي الله عنه :

.. وإن علياً لما دار بين القتلى رأى طلحة مقتولاً فجعل يمسح عن وجهه التراب[3] ثم قال : عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مُجندلاً في الأودية ، ثم قال : إلى الله أشكو عُجري وبُجري[4] وترحم عليه وقال : ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة[5] .

١٠ ـ وقفه من قاتل الزبير رضي الله عنه :

لما غدر عمرو بن جرموز بالزبير وقتله إحتز رأسه وذهب به إلى علي ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال علي :

---

[1] استشهاد عثمان ووقعة الجمل صـ ٢٠٢ .
[2] مصنف ابن أبي شيبة (٢٦١/١٥) المستدرك (١٠٣/٣ ، ٣٧٥ ، ١٠٤) والإسناد حسن لغيره ، خلافة علي بن أبي طالب صـ ١٦٩ .
[3] البداية والنهاية (٢٥٨/٧) .
[4] سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي .
[5] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين صـ ٥٢٨ .

بشرّ قاتل ابن صفية بالنار ، ثم قال علي : سمعت رسول الله يقول لكل نبي حواري وحواريّ الزبير[1] ، ولما رأى علي سيف الزبير قال : إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله[2] وفي رواية : منع أمير المؤمنين ابن جرموز بالدخول عليه ، وقال للآذان بشر قاتل ابن صفية بالنار[3] ، ويقال ابن عمرو بن جرموز قتل نفسه في عهد علي ، وقيل بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه ، فقيل لمصعب : إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختف ، فهل لك فيه ؟ فقال : مروه فليظهر فهو آمن ، والله ما كنت لأقيد[4] للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير[5] ، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص ، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله ، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن أحواله وأحوال أخوته ، ثم قال له : إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس ، ودفع له غلتها وقال : يا ابن أخي وأننا في الحاجة إذا كانت لك وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه ، فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا على علي رضي الله عنه يبايعونه ، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة[6] ، كما سأل عن مروان بن الحكم وقال : يعطفني

[1] فضائل الصحابة (٩٢٠/٢) .
[2] البداية والنهاية (٢٦١/٧) .
[3] الطبقات (١٠٥/٣) إسناده حسن خلافة علي صـ ١٦٤ عبد الحميد .
[4] أقيد : قود : القتل بالقاتل .
[5] البداية والنهاية (٢٦١/٧) .
[6] الطبقات (٢٢٤/٣) بسند حسن ، المستدرك (٣٧٦/٣ ـ ٣٧٧) .

عليه رحم ماسة وهو مع ذلك سيد من شباب قريش ، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ليكلموا عليا فقال علي هو آمن فليتوجه حيث شاء ، ولكن مـــروان إزاء هـــذا الكرم والنبل ، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه [1]، كمـــا أن مروان بن الحكم أثنى على فعال أمير المؤمنين علي وقـــال لأبنـــه الحسن : ما رأيت أكرم غلبة من أبيك ، ما كان إلا أن ولينا يـــوم الجمل حتى ناد مناديه : ألا يتبع مدبر ، ولا يذفف على جريح [2]

١١ ـــ أمير المؤمنين علي يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة :

جهز أمير المؤمنين علي عائشة بكل شئ ينبغي لـــها من مركب وزاد أو متاع ، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام ، واختر لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال : تجهز يا محمد ابن الحنفية : فبلغها ، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها ، وحضر الناس ، فخرجت على الناس ، وودعوهـــا وودعتهم وقالت : يا بني تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة ولا يعتدن أحداً منك على أحد بشئ بلغه من ذلك ، إنه والله مـــا كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنـــه عندي على معتبتي من الأخيار ، وقال علي : يا أيها الناس ، صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك ، وإنها لزوجة نبيكم صـــلى

---

[1] سنن سعيد ابن منصور (٢ / ٣٣٧) بسند حسن
[2] كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي ص ١١١

الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ، وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ستة وثلاثين ، وشيعها علي أميالاً وسرح بنيه معها يوماً[1] .

١٢ ـــ ندمهم على ما حصل منهم :

قال ابن تيميه : .. وهكذا عامة السابقين ، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال ، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم ، ولم يكن يوم الجمل لهـؤلاء قصد في القتال ، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[2] .

أ ـــ فأمير المؤمنين علي ورد عنه ، عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال فقال : لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[3] .

ب ـــ وروى نعيم بن حماد ، بسنده إلى الحسن بن علي ، إنه قال لسليمان بن صرد ، لقد رأيت علياً حين اشتد القتال وهو يلوذ بي ، ويقول : يا حسن : لوددت مت قبل هذا بعشرين سنة[4] .

ت ـــ وعن حسن بن علي قال : أراد أمير المؤمنين علي أمراً ، فتتابعت الأمور ، فلم يجد منزعاً[5] .

ث ـــ وعن سليمان بن صرد ، عن حسن بن علي سمع علي يقول : ـــ حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم ـــ يا حسن أكل هذا فينا ؟ ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة[6] .

---

[1] تاريخ الطبري (٥/٥٨١) .
[2] المنتقى من منهاج الاعتدال صـ ٢٢٢ .
[3] الفتن نعيم بن حماد (١/٨٠) .
[4] المصدر السابق (١/٨٠) .
[5] الفتن (١/٨١) نعيم بن حماد .
[6] أحداث وأحاديث فتنة الهرج صـ ٢١٧ .

خ ــ قال ابن تيمية : فإن عائشة لم تقاتل ، ولم تخرج لقتال وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين ، وظنت أن خروجها مصلحة للمسلمين ، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى ، فكانت إذا خرجت خروجها تبكي حتى تبل خمارها وهكذا عامّة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال ، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم ، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال ، ولكن وقع القتال بغير اختيارهم[1] .

د ــ قال الذهبي ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كلية على مسيرها إلى البصرة وحضورها يوم الجمل ، وما ظنت أن الأمر يبلغ ما بلغ[2] ، ومن أراد التوسع والمزيد من معركة الجمل التي حضرها الحسن بن علي رضي الله عنه فليراجع كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

س ــ وقبل أن نودع الأحداث المؤلمة في الجمل نقف عند درس مهم نستخلصه منها : وهو أننا لا بد أن نعمل حساب لكيد الأعداء ومكرهم في سبيل إفشال إي جهد مخلص لتوحيد الصف أو فيه خطر على مصالحهم ، فيجب في مثل هذه الحالة إننا إذا اتفقنا على الأفكار العامة أن نرسم الخطط ونضع التدابير اللازمة ، لتنفيذ ما اتفقنا عليه وتفويت الفرصة على الأعداء في إفشاله وإلا تترك الفرحة بجمع الكلمة تنسينا خطر الأعداء وما يمكن أن يقوموا به بالإضرار

[1] المنتقى من منهاج الاعتدال صـ ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
[2] سير أعلام النبلاء (١٧٧/٢) .

بالإسلام والمسلمين ، وقد استفاد الحسن من هذا الدرس وطبقـــه في مشروعه الإصلاح الذي سيأتي تفصيله بإذن الله .

- **ــ معركة صفين :**

ومن الأحداث الكبيرة التي شاهدها الحسن بن علي في عهد والــده معركة صفين ، كما كان على اطلاع مفصل بالعلاقة بــين أمــير المؤمنين علي ومعاوية رضي الله عنهم ، فقد كان معاوية رضـــي الله عنه واليا على الشام في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما ، ولما تولى علي الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر فأبى عليه عبد الله بن عمر قبول ولاية الشام واعتذر في ذلك وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهم [١]، ولم يلزمه أمير المؤمنين علي وقبل منـــه طلبـــه بعـــدم الذهاب إلى الشام ، وأما الروايات التي تزعم أن عليا قام بالتـــهجم على عبد الله بن عمر رضي الله عنه لاعتزاله وعدم الوقوف بجانبه ، ففي ذلك الخبر تحريف وكذب [٢]، وأقصى ما وصل إليـــه الأمـــر في قضية عبد الله بن عمر وولاية الشام ما رواه الذهبي من طريق سفيان بن عيينة ، عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال : بعـــث إلي علي قال : يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع في أهل الشام ، فسر فقد أمرتك عليهم ، فقلت : أذكر الله وقـــرابتي مـــن رســـول الله وصحبتي إياه إلا ما أعفيتني فأبى علي فاستعنت بحفـــصة ، فـــأبى ، فخرجت ليلاً إلى مكة [٣]. وهذا دليل قاطع على مبايعة ابن عمـــر ،

[١] المصنف لابن أبي شيبة (٧ / ٤٧٢) اسناده صحيح
[٢] استشهاد عثمان ووقعت الجمل ، خالد الغيث ص ١٦٠
[٣] سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٢٤) رجاله ثقات

ودخوله في الطاعة ، إذ كيف يوليه علي وهو لم يبايع ، وبعد اعتذار ابن عمر من قبول ولاية الشام أرسل أمير المؤمنين علي سهل بن حنيف بدلا منه ، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له : إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع [1] وكانت بلاد الشام تغلي غضباً على مقتل عثمان ظلما وعدوانا فقد وصلهم قميصه مخضباً بدمائه ، بأصابع نائلة زوجه التي قطعت أصابعها وهي تدافع عنه ، وكانت قصة استشهاده أليمة فظيعة أهتزت لها المشاعر ، وتأثرت بها القلوب ، وذرفت منها الدموع ، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها ، وهروب بني أمية إلى مكة ، كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثير على أهل الشام وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه ، فقد كان يرى أن عليه مسؤولية الإنتصار لعثمان والقود من قاتليه فهو ولي دمه والله عز وجل يقول ((ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا)) (الإسراء :٣٣) ولذلك جمع معاوية الناس ، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل ظلماً وعدوانا على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام ، فثار الناس ، واستذكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال : لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تكلمت ، وذكر الفتن

[1] تهذيب تاريخ دمشق (٤ / ٣٩) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ص ١١٠

فقربها ، فمر رجل متقنع في ثوب ، فقال : هذا يومئذ على الهدى ، فقمت إليه ، فإذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت عليه بوجهه فقلت : هذا ؟ قال : نعم [1] وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان ومنشطاً ودافعاً قوياً للتصميم على تحقيق الهدف وهو عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه فقال : يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاث ، فقلت لها : يا أم المؤمنين ، فأين كان هذا عنك ؟ قالت : نسيته والله ما ذكرته قال : فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرضى بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن أكتبي إليّ به ، فكتبت إليه به كتاب [2] ، فقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب بالخلافة ، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام ، أو طلبه ما ليس بحق إذ كان يدرك إدراكاً تاماً أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى وأن علياً أفضل منه وأولى بالأمر [3] ودليل ذلك ما أخرجه يحي بن سليمان الجعفي بسند جيد ، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية : أنت تنازع علياً ، أم أنت مثله ؟ فقال : لا والله إني لأعلم أنه لأعلم مني ، وأحق بالأمر مني ، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً

---

[1] صحيح سنن ابن ماجه (١ / ٢٤)
[2] مسند أحمد باقي مسند الأنصار رقم ٢٤٠٤٥ حديث صحيح .
[3] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد صـ ١١٢ .

، وأنا ابن عمه ، والطالب بدمه ، فأتوه ، فقولوا له : فليدفع إليَّ قتلة عثمان وأسلم لهم ، وأتوا علياً فكلموه ، فلم يـــدفعهم إليـــه[1] ، وفي رواية : فأتوه فكلموه فقال : يدخل في البيعة ويحاكمهم إليَّ فـــامتنع معاوية[2] .

١ ــ هل خروج معـــاوية على علي رضي الله عنهما بـــسبب أطمـــاع دنيوية ؟

إن الروايات التي تصور معاوية في خروجه عن طاعة علي بـــسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية ، بسبب التنافس والعداء الجاهلي القديم بين بني هاشم وبني أمية وغير ذلك من القذف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أعتمـــد عليهـــا الكتاب المعاصرين ــ كالعقاد في عبقرية علـــي ، وعبـــد العزيـــز الدوري في مقدمته في تاريخ صدر الإسلام وبنوا عليها تحلـــيلاتهم الباطلة ، هي روايات متروكة مطعون في رواتها عدلاً وضبطاً[3] ، مما قد شاع بين الناس قديماً وحديثاً أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ــ كان سببه طمع معاوية في الخلافة وأن خروج هـــذا الأخير على عليّ وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عـــن ولايـــة الشام ، ذكرها مؤرخو الشيعة الروافض أو كتاب الإمامة والسياسية المنسوب زوراً وبهتاً لابن قتيبة الدينوري ، فهذا الكتاب لا يثبـــت لابن قتيبة وإنما كاتبه رافضي محترق ، وهذه مجموعة مـــن الأدلـــة

[1] فتح الباري (٩٢/١٣) ، البداية والنهاية (١٢٩/٨) .
[2] فتح الباري (٩٢/١٣) استشهاد عثمان صـ ١٦٠ .
[3] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي صـ ١١٢

تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كـــذباً وزوراً ومن هذه الأدلة :

ـــ إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً في التاريخ يدعى الإمامة والسياسة ، ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب المعارف .

ـــ إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلاّ إلى الدينور .

ـــ إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه المؤلف "الإمامة والسياسة" يختلف تماماً عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا في منهج ابن قتيبة أن يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجـــه والغرض من مؤلفه ، وعلى خلاف ذلك يسير صـــاحب الإمامـــة والسياسة ، فمقدمته قصيرة جداً لا تزيد عن ثلاثة أسطر هـــذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب ، ومثل هذا النـــهج لم نعهـــده في مؤلفات ابن قتيبة .

ـــ يروي مؤلف الكتاب عن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقى عنـــه ، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيـــه : قاضي الكوفة ، توفي سنة ١٤٨هـــ والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣هـــ أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً .

ـــ إن قسماً كبيراً من رواياته جاءت بصيغة التمريض ، فكثيراً مـــا يجئ فيه : ذكروا عن بعض المصريين ، وذكروا عـــن محمـــد بـــن سليمان عن مشايخ أهل مصر وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب ،

وذكروا عن بعض المشيخة ، وحدثنا بعض المشيخة . ومثل هــذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة و لم ترد في كتبه[1] .

ــ ابن قتيبة يحتل مترلة عالية لدى العلماء فهو عندهم من أهل السنة وثقة في علمه ودينه ، يقول : السَّلفي : كان ابن قتيبة من الثقــات وأهل السنة ، ويقول ابن حزم : كان ثقة في دينه وعلمه ، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي ، ويقول عنه ابن تيمية : وإن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتــصرين لمــذاهب أهــل الــسنة المشهورة[2] . ورجل هذه مترلته لدى رجال العلم المحققين هل مــن المعقول أن يكون مؤلف كتاب الإمامة والسياسة الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم[3] .

إن مؤلف الإمامة والسياسة قدح في صحابة رسول الله قدحاً عظيماً فصور ابن عمر رضي الله عنه جباناً وسعد بن أبي وقاص حــسوداً وذكر محمد بن مسلمة بأنه غضب على علي بن أبي طالب لأنه قتل مرحبا اليهودي بخيبر ، وإن عائشة رضي الله عنها أمــرت بقتــل عثمان[4] ، والقدح في الصحابة من أظهر خــصائص الرافــضة وأن شاركهم الخوارج إلاّ أنّ الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة[5] .

ــ إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب عن الخلفاء الثلاثة أبي بكــر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط وكتب عن الفتنة الــتي

---

[1] عقيدة الإمام ابن قتيبة ، علي العلياني صـ ٩٠ .
[2] لسان الميزان (٣٥٧/٣) ، تحقيق مواقف الصحابة (١٤٤/٢) .
[3] تحقيق مواقف الصحابة (١٤٤/٢) .
[4] الإمامة والسياسة (٥٤/١ ـ ٥٥) .
[5] عقيدة الإمام ابن قتيبة صـ ٩١ للعلياني .

وقعت بين الصحابة مائتين صفحة ، فقام المؤلف الرافضي باختصار التاريخ الناصع المشرق وسوّد الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل وهذه من أخلاق الروافض المعهودة نعوذ بالله من الضلال والخذلان .

ــ يقول محمود شكري الألوسي في مختصر الأثنا عشرية : ومن مكايدهم ــ يعني الرافضة ــ أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والثاني السدي الصغير ، فالكبير من ثقات أهل السنة والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال . وعبد الله بن قتيبة رافض غال وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة وقد صنف كتاباً سماه بالمعارف فصنف ذلك الرافضي كتاباً سماه بالمعارف أيضاً قصداً للإضلال[1] ، وهذا ما يرجح أن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الرافضي وليس لابن قتيبة السني الثقة ، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء[2] ، وقد اعتمد كثير من المعاصرين على هذا الكتاب وساهموا في تشويه كثير من الصحابة الكرام ولذلك وجب التحذير منه بطريقة علمية تعتمد على التحقيق والتوثيق والدليل والبرهان ، وقد ذكر صاحب كتاب الإمامة والسياسة : أن معاوية ادّعى الخلافة وذلك من خلال الرواية

[1] مختصر التحفة الإثنا عشرية للألوسي صـ ٣٢ .
[2] عقيدة الإمام ابن قتيبة صـ ٩٣ .

التي ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أعلم أن معاوية طليق الإسلام ، وأن أباه رأس الأحزاب ، وأنــه أدعى الخلافة من غيره مشورة فإن صدقك فقد حلّ خلعــه ، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه[1] ، وهذا كلام لا يثبت عــن أمــير المؤمنين علي وإنما من كلام الروافض وقد امتلأت كتب التــاريخ والأدب بالروايات الموضوعة والضعيفة التي تزعم أن معاوية اختلف مع علي من أجل الملك والزعامة والإمارة[2] والصحيح أن الخــلاف بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما كان حول مدى وجوب بيعــة معاوية وأصحابه لعلي قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعده ، وليس هذا من أمر الخلافة في شئ فقد كان رأي معاوية ــــ رضي الله عنه ــــ ومن حوله من أهل الشام أن يقتص عليّ ــــ رضــي الله عنه ــــ من قتلة عثمان ثم يدخلون بعد ذلك البيعة[3] ويقول القاضي ابن العربي أن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجــع إلى تباين المواقف بينهما : فهؤلاء ــــ أي أهل العراق ــــ يــدعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام وهؤلاء ــــ أي أهل الشام ــــ يرجعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون : لا نبايع من يــأوي القتلة[4] . ويقول إمام الحرمين الجويني في لمع الأدّلة : أن معاوية وإن قاتل علياً ، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه ، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظاناً منه أن مصيب ، وكان مخطئاً[5] ، ويقول الهيتمي :

[1] الإمامة والسياسية (١١٣/١) .
[2] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١٤٥/٢) .
[3] العواصم من العواصم صـ ١٦٢ .
[4] العواصم من القواصم صـ ١٦٢ .
[5] لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة صـ ١١٥ .

ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أنّ ما جرى بين معاوية وعلـــيّ ـــ رضي الله عنهما ـــ من الحروب ، فلم يكن لمنازعة معاوية لعليّ في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعليّ .. فلم تهج الفتنة بسببها ، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ابن عمّه فامتنع علي[1] ، لقـــد تـــضافرت الروايات وأشارت إلى أنّ معاوية ـــ رضي الله عنه ـــ اتخذ موقفـــه للمطالبة بدم عثمان ، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي رضـــي الله عنه ـــ إذا أقيم الحد على قتلة عثمان . ولو افترض إنه اتخذ قـــضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علي طمعاً في السلطان ، فماذا سيحدث لو تمكن علي من إقامة الحد على قتلة عثمـــان ، حتمـــاً ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته له ، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة ، كما أن كل ما حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على قتلة عثمان ، على أن معاوية إذا كـــان يخفي في نفسه شيئاً آخر لم يعلن عنه ، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة ، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع[2] . إن معاوية رضي الله عنه كان من كتّاب الـــوحي ومـــن ســـادة المـــسلمين المشهورين بالحلم ويكفيه شرف الصحبة ، فكيف يعتقد أن يقاتـــل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل مُلْك زائل ، وهـــو القائل : والله لا أخير بين أمرين ، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه[3] ، وقد ثبت عن رسول الله ـــ صلى الله عليه وســـلم

[1] الصواعق المحرقة (٢/٦٢٢) .
[2] تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٥٠) .
[3] سير أعلام النبلاء (٣/١٥١) .

ــ أنه قال فيه : اللهم أجعله هادياً مهدياً وأهد به[1] ،وقال : اللهم علمه الكتاب وقيه العذاب[2] . أما وجه الخطأ في موقفه في مقتل عثمان ــ رضي الله عنه ــ فيظهر في رفضه أن يبايع لعليّ ــ رضي الله عنه ــ قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء وحرصهم على قتله بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم ، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، بل يدخل في الطاعة ، ويرفع دعواه إلى الحاكم ، ويطلب الحق عنده[3] ، وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتصّ من أحد ويأخذ حقه دون السلطان ، أو من نصبه السلطان لهذا الأمر ، لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة الفوضى[4] ، ويمكن القول إن معاوية ــ رضي الله عنه ــ كان مجتهداً متأولاً يغلب ظنه أن الحق معه فقد قام خطيباً في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكّرهم أنه ولي عثمان ــ ابن عمه ــ وقد قتل مظلوماً ، وقرأ عليهم الآية الكريمة ((وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)) (الإسراء ، آية : ٣٣) . ثم قال أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان ، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان ، وبايعوه على ذلك ، وأعطوه العهود والمواثيق على أن

[1] صحيح سنن الترمذي للألباني رقم ٣٠١٨ (٢٣٦/٣) .
[2] فضائل الصحابة (٩١٣/٢) إسناده صحيح .
[3] تحقيق مواقف الصحابة (١٥١/٢) .
[4] تفسير القرطبي (٢٥٦/٢) .

يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفني الله أرواحهم[1] .
هذه الأحداث الجسام عاصرها الحسن بن علي وعرف موقف كل صحابي من الفتنة وكان ميالاً للصلح والسلم ما وجد إلى ذلك سبيلاً .

٢ ــ نهي أمير المؤمنين علي عن شتم معاوية ولعن أهل الشام بعد معركة صفين :

نشب الحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في صفين وقد فصلنا تلك الأحداث في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد اشتد القتال وتوجّه النصر فيها لأهل العراق على أهل الشام ، وتفرقت صفوفهم ، وكادوا أن ينهزموا ، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح وقالوا : هذا بيننا وبينكم قد فني الناس ، فمن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام ، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق ؟ فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت ، قالوا : نجيب إلى كتاب الله عز وجل ونيب إليه[2] ، فالدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة له ، تطور فرضته أحداث حرب صفين ، إذ أن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين ، أبرزت اتجاها جماعيا رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها ، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها

[1] صفين لابن مزاحم صـ ٣٢ ، تحقيق مواقف الصحابة (١٥٢/٢) .
[2] تنزيه خال المؤمنين معاوية صـ ٣٦ نقلا عن تاريخ الطبري .

وأثرها في اتخاذ القرارات[1]، فقد قبل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقف القتال في صفين ورضي التحكيم وعد ذلك فتحا ورجـــع إلى الكوفة ، وعلق على التحكيم آمالاً في إزالة الخلاف وجمع الكلمـــة ووحدة الصف ، وتقويت الدولة ، وإعادة حركة الفتوح من جديد وكان أمير المؤمنين بعد نهاية الجولات الحربية في صفين يتفقد القتلى ، وقد وقف على قتلاه وقتلى معاوية فقال : غفر الله لكم ، غفر الله لكم ، للفريقين جميعاً[2] ، وعن يزيد بن الأصم قال : لما وقع الصلح بين علي ومعاوية ، خرج علي فمشى في قتلاه فقال : هـــؤلاء في الجنة ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال : هؤلاء في الجنة ، وليصير الأمر إلي وإلى معاوية[3] وكان يقول عنهم هم : المؤمنين[4] ، وقوله رضـــي الله عنه في صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمـــل[5]، وروي أن علياً رضي الله عنه لمّا بلغه أن أثنين من أصحابه يظهران شـــتم ولعن أهل الشام أرسل إليهما أن كفا عما يبلغني عنكمـــا ، فأتيـــا فقالا : يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قـــال : بلى ورب الكعبة المسدنة ، قالا : فلما تمنعنا من شتمهم ولعنهم ؟ قال : كرهت لكم أن تكونوا لعانين ، ولكن قولوا : اللهم أحقـــن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ، ويرعوي عن الغي من لجج به[6] ، وأما

---

[1] دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين صـ ٣٨
[2] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد صـ ٢٥٠ .
[3] مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٣٠٣) سند حسن .
[4] تاريخ دمشق (١ / ٣٣١ ، ٣٢٩) خلافة علي صـ ٢٥١ .
[5] خلافة علي ، عبد الحميد صـ ٢٥١ ، تنزيه خال المؤمنين صـ ١٦٩ .
[6] الإخبار الطوال صـ ١٦٥ نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (٢٣٢/٢) .

ما قيل من أن علياً كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه ، وأن معاوية إذا قنت لعن علياً وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبي مخنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة ، فقد أنكر على من يسب معاوية ومن معه فقال : إني أكره لكم أن يكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر ، وقلتم مكان سبكم أياهم اللهم أحقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم[1] ، فهذا السبب والتكفير لم يكن من هدي أمير المؤمنين علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة[2] ، كما أن الحسن رضي الله عنه كان معاصراً للأحداث وسمع ورأى موقف والده من أهل الشام ، وهذه النظرة السليمة لأصحاب معاوية ساعدت الحسن بن علي في هندسته لمشروع الإصلاح الذي تقدم به لوحدة الأمة والذي تحقق بفضل الله ثم فقهه العميق لمقاصد الإسلام ومعرفته الدقيقة لعلم المصالح والمفاسد .

٣ ــ مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه بصفين وأثره على المسلمين :

يعد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمّار رضي الله عنه : تقتلك الفئة الباغية[3] من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان لمقتل عمّار رضي الله عنه أثر في معركة

[1] نهج البلاغة صـ ٣٢٣
[2] أصول مذهب الشيعة (٩٣٤/٢) .
[3] مسلم رقم ٢٩١٦ .

صفين ، فقد كان علماً لأصحاب رسول الله يتبعونه حيث سار وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافاً سلاحه ، فلما رأى مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام وذلك لأنه سمع حديث رسول الله عن عمار : تقتله الفئة الباغية[1] واستمر في القتال حتى قتل[2] وكان لمقتل عمّار أثر في قادة معسكر معاوية مثل عمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو ، وأبو الأعور السلمي ، عند شرعة الماء يسقون وكانت هي شريعة الماء الوحيدة التي يستقي منها الفريقان ، وكان حديثهم عن مقتل عمّار بن ياسر ، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده : لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتله الفئة الباغية . فقال عمرو لمعاوية لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال فقال معاوية أسكت فوالله ما تزال تدحض[3] في بولك أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من جاء به[4] ، فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم ، وجاء في رواية صحيحة أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال : قتل عمّار وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : تقتله الفئة الباغية . فقام عمرو بن العاص فزعاً يرجّع حتى دخل معاوية فقال له معاوية ما شأنك فقال : قتل عمار فماذا ؟ قال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : تقتلك الفئة الباغية فقال له معاوية : دحضت في بولك ، أو نحن

---

1 المصدر نفسه .
2 خلافة علي صـ ٢١١ مجمع الزوائد (٧٢٤٢) وقال فيه : ورواه الطبراني وفيه معشر وهو لين .
3 الدحض : الزلق والداحض من لا ثبات له ولا عزيمة في الأمور .
4 مصنف عبد الرزاق (٢٤٠/١١) بسند صحيح .

قتلناه ، إنما قتله علي وأصحابه ، جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا ، أو قال بين سيوفنا [١] ، وفي رواية صحيحة أيضاً : جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد منهما : أنا قتلته ، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ليطب بـه أحـدكما نفـساً لصاحبه ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتله الفئة الباغية قال معاوية : فما بالك معنا ؟ قال : إن أبي شكاني إلى رسول الله : أطع أباك مادام حياً ولا تعصه ، فأنا معكم ولـست أقاتل [٢]. من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبـد الله بن عمرو رضي الله عنهما حريص على قول الحق ، والنصح ، فقد رأى أن معاوية وجنده هم الفرقة الباغية لقتلهم عماراً ، فقد تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة ، ولا شك أن مقتل عمـار رضي الله عنه قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحـديث ، إلا أن معاوية رضي الله عنه أول الحديث تأويلاً غير مستساغ ولا يصح في أن الذين قتلوا عماراً هم الذين جاءوا به إلى القتال[٣] ، وقد رد علي رضي الله عنه على قول معاوية بأن قال : فرسول الله صلى الله عليه وسلم إذن قتل حمزة حين أخرجه ، وهذا من علي إلزام لا جـواب عنه ، وحجة لا اعتراض عليها[٤] وقد أثر على مقتل عمار كـذلك على عمرو بن العاص ، بل كان استشهاد عمار دافعاً لعمرو بـن العاص للسعي لإنهاء الحرب[٥] وقد قال رضي الله عنـه : وددت أني

[١] مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠) بسند صحيح
[٢] مسند أحمد (١١ / ١٣٨ ـ ١٣٩)
[٣] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد صـ ٣٢٥
[4] التذكرة (٢/٢٢٣) .
[٥] معاوية بن أبي سفيان ، الغضبان صـ ٢١٥

مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[١] ، وقد جاء في البخاري عـــن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبتين ، فراه النبي صلى الله عليه وسلم فينفض التراب عنه ويقول : ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النـــار .قال عمار : أعوذ بالله من الفتن[٢]، وقال ابن عبد البر : تـــواترت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تقتل عمـــار الفئـــة الباغية ، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ، وهو من أصح الأحاديث[٣] ، وقال الذهبي بعد ما ذكر الحديث : وفي الباب عن عدة من الصحابة ، فهو متواتر[٤]

٤ ــ فهم العلماء لحديث رسول الله في عمار : تقتلك الفئة الباغية[5]

أ ــ قال ابن حجر : وفي هذا الحديث علم من أعـــلام النبـــوة ، وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار ، ورد على النواصب [٦]الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه[٧]، وقال أيـــضاً : دل الحـــديث : تقتل عماراً الفئة الباغية ، على أن عليا كان المصيب في تلـــك الحروب ، لأن أصحاب معاوية قتلوه[٨] .

[١] أسباب الأشراف (١/ ١٧٠) ، عمرو بن العاص للغضبان صـ ٦٠٣
[٢] البخاري رقم ٤٤٧
[٣] الاستيعاب (٣/ ١١٤٠)
[٤] سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢١)
[5] مسلم رقم ٥٩١٦ .
[٦] والمقصود بالنواصب هي احد طوائف أهل البدع التي أصيبت في معتقدها بعدم التوفيق للإعتقاد السديد في الصحابة ، فقد زين لهم الشيطان اعتقاد عدم محبة رابع الخلفاء الراشدين وأحد الأئمة المهديين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وحملهم على التدين ببغضه وعداوته والقول فيه بما هو برئ منه كما تعدى بغضهم إلى غيره من أهل البيت كابنه الحسين بن علي وغيره
[٧] فتح الباري (١/ ٦٤٦) .
[٨] المصدر نفسه (١٣ / ٩٢) .

ب ــ **يقول النووي** : وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث [1]

جــ ــ **قال ابن كثير** : كان علي وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية ، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ، قال حدثني من هو خير مني ــ يعني أبا قتادة ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية[2] ، وقال أيضاً : وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنهما مع أمير المؤمنين علي أبن أبي طالب قتله أهل الشام ، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه تقتله الفئة الباغية ، وبان بذلك أن علياً محق ، وأن معاوية باغ ، وما في ذلك من دلائل النبوة[3]

حــ ــ **وقال الذهبي** : هي طائفة من المؤمنين ، بغت على الإمام علي ، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار : تقتلك الفئة الباغية[4] .

جــ ــ **قال القاضي أبو بكر العربي** : في قوله تعالى : ((**وَإِنْ طَائِفَتَانِ**)) هذه الآية أصل في قتال المسلمين ، والعمدة في حرب المتأولين ، وعليها عول الصحابة إليها لجأ الأعيان من هذه الأمة

[1] تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ٣٨) .
[2] البداية والنهاية (٦ / ٢٢٠) .
[3] المصدر نفسه (٧ / ٢٧٧) .
[4] سير أعلام النبلاء (٢٠٩/٨) .

، وإياها عني النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : تقتل عمار الفئة الباغية[1] .

خ ــ **وقال ابن تيمية** : وهذا يدل لصحة إمامة علـــي ووجـــوب طاعته وأن الداعي إلى طاعته داعي إلى الجنـــة ، والـــداعي إلى مقاتلته داع إلى النار ـــ وإن كان متأولاً ـــ وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي ، وعلى هذا فمقاتله مخطئ ـــ وإن كان متأولاً ـــ أو باغ ـــ بلا تأويل ـــ وهو أصح القولين لأصحابنا ، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً ، وهو مـــذهب الأئمـــة لأصحابنا ، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً ، وهو مـــذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتـــأولين[2] ، وقال أيضاً : مع أن علياً أولى بالحق ممن فارقه ، ومع أن عمار قتلته الفئة الباغية ـــ كما جاءت به النـــصوص ـــ وعلينـــا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله ، ولا يكون لنا هوى ، ولا نتكلم بغير علم ، بل نسلك سبل العلم والعـــدل ، ذلك هو اتباع الكتاب والسنة ، وأما من تمسك ببعض الحـــق دون بعض ، وهذا منشأ الفرقة والاختلاف[3] .

س ــ **وقال عبد العزيز بن باز** : وقال : صلى الله عليه وســـلم في حديث عمار : تقتل عمار الفئة الباغية . فقتله معاوية وأصحابه

[1] أحكام القرآن (١٧١٧/٤) .
[2] مجموع الفتاوى (٤٣٧/٤) .
[3] المصدر نفسه (٤٤٩/٤ ـ ٤٥٠) .

في موقعة صفين ، فمعاوية وأصحابه بغاة ، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان[1] .

ش ـــ **وقال سعيد حوى** : بعد أن قتل عمار الذي وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفئة الباغية ، تبين للمترددين أن علياً كان على حق وأن القتال معه كان واجباً ولذا عبر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف ، وما ذلك إلا أنه ترك واجباً وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق ، كما أفتى بذلك الفقهاء[2] ، لقد كان الحسن بن علي رضي الله عنه على يقين راسخ ومعرفة متينة بأن والده كان على الحق .

٥ ـــ موقف الحسن بن علي من تلك الحروب :

كان موقف الحسن بن علي رضي الله عنه هو موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم وهو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضي الله عنهم لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وقالوا : إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضى عنهم ويترحم عليهم ويحفظ لهم فضائلهم ، ويعترف لهم بسوابقهم ، وينشر مناقبهم وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة ، ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم ، وقبل أن أذكر

---

[1] فتاوى ومقالات متنوعة (٦/٨٧) .
[2] الأساس في السنة (٤/١٧١٠) .

طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال وبما وصفوا به فيها وتلك النصوص هي [1]

أ ــ قال تعالى : ((**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**)) (الحجرات ، آية : ٩) .

ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين و لم يخرجهم ذلك من الإيمان لأن الله ذكر في الآية التي بعدها ((**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**)) ، فأصحاب الرسول الله الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيمان حقيقياً و لم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال لأنه كان عن اجتهاد [2]

ب ــ **وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال** : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق [3]. والفرقة المشار إليها في الحديث ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وقد وصف صلى الله عليه وسلم الطائفتين معاً بأنهما مسلمتان وأنهما متعلقتان بالحق ،

---

[1] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢ / ٧٢٧)
[2] العواصم من القواصم صـ ١٦٩ ـ ١٧٠ أحكام القران (٤ / ١٧١٧)
[3] مسلم (٢ / ٧٤٥)

والحديث علم من أعلام النبوة : إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين : أهل الشام وأهل العراق ، لا كما يزعمه فرقة الرافضة ، والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة والذي عليه الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن علياً هو المصيب وأن كان معاوية مجتهداً وهو مأجور إن شاء الله ولكن علي هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري : إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجره[1] .

جـ ــ وعن أبي بكرة قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب جاء الحسن فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين[2] . ففي هذا الحديث شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا علياً ومن معه ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام ولذا كان يقول سفيان ابن عيينة : قوله فئتين من المسلمين يعجبنا جداً . قال البيهقي : وإنما أعجبهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماهم جميعاً مسلمين وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان[3] ، فهذه

---

[1] البخاري مع شرحه في فتح الباري (١٣/٣١٨) .
[2] البخاري ، ك الفتن رقم ٧١٠٩ .
[3] الاعتقاد للبيهقي صـ ١٩٨ فتح الباري (١٣/٦٦) .

الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان ، وقد وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم من أمته[1] ، كما وصفهم بأنهم جميعاً متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه كما شهد لهم صلى الله عليه وسلم بأنهم مستمرون على الإيمان و لم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى : ((**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**)) (الحجرات ، آية : ٩٠) ، وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم رضي الله عنهم أجمعين فلم يكفروا و لم يفسقوا بقتالهم بل هم متأولون مجتهدون . وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما مر معنا ، فالواجب على المسلم ، ومن زعم أنه محب لأهل البيت أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام مسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة والذين من أئمتهم وسادهم أمير المؤمنين علي وابنيه الحسن والحسين وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنه ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم .

٦ ـ استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه :

تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحاً غائراً لم تزده الأيام والليالي إلا إيلاماً وحسرة ، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلي رضي الله عنه ويثأروا لمن قتل من أخواهم في النهروان ، واستطاع عبد الرحمن بن ملجم أن يقتل أمير المؤمنين علي بالغدر وهذا محمد بن

---

[1] مسلم (٧٤٦/٢) .

الحنفية يروي لنا قصة مقتل أمير المؤمنين ، فقد قال : كنـــت والله إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجـــال كثير من أهل المصر ، يصلون قريباً من السدة ، ما هم إلا قيام وركوع وسجود ، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره ، إذ خرج علي لصلاة الغداة ، فجعل ينادي : أيها الناس ، الصلاة الصلاة ، فما أدري أخرج من السدة ، فتكلم بهذه الكلمات أم لا ؟ ، فنظرت إلى بريق ، وسمعت : الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك ، فرأيت سيفاً ، ثم رأيـــت ثانياً ، ثم سمعت علياً يقول : لا يفوتنكم الرجل وشد الناس عليه مـــن كل جانب ، قال : فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي ، فدخلت فيمـــا دخل من الناس ، فسمعت علياً يقول : النفس بالنفس ، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني ، وإن بقيت رأيت فيه رأيي[1] ، وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي ، فبينمـــا هـــم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه ، إذ نادته أم كلثوم بنـــت علي وهي تبكي : أي عـــدو الله لا بأس على أبي ، والله مخزيـــك ، قال : فعلى من تبكين ؟ والله لقد اشتريته بألف ، وسممته بألف ، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[2] ، وقـــد جمع الأطباء لعلي رضي الله عنه يوم جرح وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمر السكوني ، وكان صاحب كسرى يتطبب فأخذ أثير رئة شاه حارة ، فتتبع عرقاً منها ، فاستخرجه ، فأدخله في جراحة علـــي ، ثم نفخ العرق واستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ وإذا الضربة قد وصلت

[1] تاريخ الطبري (٦٢/٦) .
[2] المصدر نفسه (٦٢/٦) .

إلى أم رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين أعهد عهدك فإنــك ميــت[1] ، وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي فسأله ، فقال : يا أمــير المؤمنين إن فقدناك ـــ ولا نفقدك ـــ فنبايع الحسن ؟ قال ما آمــركم ولا أنهاكم أنتم أبصر[2] ، ومن هذا الأثر يظهر إيمان أمير المؤمنين علي بحق الأمة في اختيار خليفتها .

٧ ـــ وصية أمير المؤمنين علي للحسن والحسين رضي الله عنهم :

دعا أمير المؤمنين حسن وحسيناً ، فقال : أوصيكما بتقوى الله ، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شئ زُوِي عنكما ، وقــولا الحق ، وأرحما اليتيم وأغيثا الملهوف ، واصنعا للآخرة وكونا للظــالم خصماً وللمظلوم ناصراً ، واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم ، ثم نظر إلى محمد بن الحنفية ، فقال : هل حفظــت مــا أوصيت به أخويك[3] ، قال : نعم ، قال : فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك ، لعظيم حقهما عليك ، فاتبع أمرهما ، فلا تقطع أمراً دونهما ثم قــال : أوصيكما به ، فإنه ابن أبيكما ، وقد علمتمــا أن أبيكما كان يحبه ، وقال للحسن : أوصيك أي بني بتقوى الله واقــام الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضــوء فإنــه لا صلاة إلا بطهور ، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة ، وأوصيك بغفــر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عند الجهل ، والتفقــه في الدين ، والتثبت في الأمر ، والتعهد للقرآن ، وحــسن الجــوار ،

---

[1] الاستيعاب (١١٢٨/٣) .
[2] تاريخ الطبري (٦٢/٦) .
[3] المصدر نفسه (٦٣/٦) .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفـواحش[1] ، فلمـا حضرته الوفاة أوصى فكانت وصيته : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب ، أوصى أنه يشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المـشركون . ثم أن صـلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمـرت وأنا من المسلمين ، ثم أوصيك يا حسن وجميع أهلي وولدي وأهلـي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فاعتـصموا بحبـل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ، فإني سمعت أبا القاسم يقول : إن صـلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام انظروا إلـى ذوي أرحـامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب ، الله الله في الأيتام ، فـلا تعنـوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم الله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم صلى الله عليه وسلم ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه ، الله الله في القرآن ، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم ، والله الله في الـصلاة فإنها عمود دينكم ، والله الله في بيت ربكم فلا تخلّوه ما بقيتم ، فإنـه إن ترك لم يناظر ، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب ، والله الله في ذمة نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم ، والله الله في أصحاب نبيكم فإن الله أوصى بهم ، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم ، والله في مـا ملكت أيمانكم . الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم ، يكفيكم

[1] المصدر نفسه (٦٣/٦) .

من أرادكم وبغى عليكم وقولوا لله حسناً كمـــا أمـــركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى الأمر شـــراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم . وعليكم بالتواصل والتبـــاذل ، وإيـــاكم والتدابر والتقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعـــاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم . استودعكم الله وأقرأ عليكم الـــسلام ورحمة الله ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضي الله عنـــه[1] ، وجاء في رواية أخرى : .. يا بَنَّي : أوصيكم بتقـــوى الله في الغيـــب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقـــر والعدل على الصديق والعدو ، والعمل في النشاط والكسل ، والرضى عن الله في الشدة والرخاء يا بني ما شر بعده الجنة بشر ، ولا خير بعده نار بخير ، وكل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون النار عافية ، يا بني من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ، ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومـــن سل سيف بغي قتل به ، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها ، ومن هتك حجاب أخيه كشف عورات نفسه ، ونسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الأنذال احتقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، ومن جالس العلماء وقّر ، ومـــن مـــزح استخف به ، ومن أكثر من شئ عرف به ، ومن كثر كلامـــه كثـــر خطأه ، ومن كثر خطأه قل حياؤه ، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومن

[1] تاريخ الطبري (٦٤/٦) .

قلّ ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار . يا بني ، الأدب خير ميراث ، وحسن الخلق خير قرين ، يا بني العافية عشرة أجزاء : تسعة منها في الصمت إلا من ذكر الله ، وواحدة في ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر ، وزينة الغنى الشكر ، يا بني لا شرف أعلى من الإسلام ، ولا كرم أعز من التقوى ، ولا معقل أحرز من الورع ولا شفيع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجمل من العافية ، الحرص مفتاح التعب ومطية النصب التدبير قبل العمل يؤمنك الندم ، فبئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد ، طوبى لمن أخلص لله علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وتركه ، وكلامه وصمته وقوله وفعله[1] .

٨ ــ نهي أمير المؤمنين علي عن المثلة بقاتله :

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : احبسوا الرجل فإن مت فاقتلوه وإن أعش فالجروح قصاص[2] . وفي رواية أخرى قال : أطعموه وأسقوه وأحسنوا إساره ، فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت[3] ، وفي رواية أخرى زيادة ، وهي قوله إن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[4] ، وقد كان علي نهى الحسن عن المُثْلة ، وقال يا بني عبد المطلب ، لا ألفيتكم تخوضون دماء المسلمين ، تقولون : قتل أمير المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ، ألا لا يُقتَلنَّ . أنظر يا حسن ، إن من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثل بالرجل ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

---

[1] الشُهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان صـ ٦٣٢ ، ٦٣٣ .
[2] فضائل الصحابة (٥٦٠/٢) بسند حسن .
[3] المحن لابن أبي العرب صـ ٩٤ ، خلافة علي صـ ٤٣٩ عبد الحميد .
[4] الطبقات (٣٥/٣) .

إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور[1] . وقد جاء في شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت منها الصحيح ومنها الضعيف ، فالرواية التي فيها أمر علي رضي الله عنه بإحراق الشقي بعد قتلـــه إسنادها ضعيف ، والروايات الأخرى تسير في إتجاه واحد فكلها فيها أمر علي رضي الله عنه بقتل الرجل إن مات من ضربته ونهاهم عمـــا سوى ذلك ، فهذه الروايات يعضد بعضها ، وتنهض للاحتجاج بهـــا هذا من جهة ، كما أن أمير المؤمنين لم يجعله مرتداً ، فيأمر بقتله ، بل نهاهم عن ذلك لما همّ بعض المسلمين بقتله وقال : لا تقتلوا الرجل ، فإن برئت فالجروح قصاص ، وإن مت فاقتلوه[2] ، وتـــذكر الروايـــة التاريخية المشهورة : فلما قبض علي رضي الله عنه بعث الحسن إلى ابن ملجم ، فقال للحسن ، هل لك في خصلة ؟ إني والله ما أعطيـــت الله عهداً إلا وفيت به ، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطـــيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، فإن شئت خليت بيني وبينـــه ، ولك الله علي إن لم أقتله ـــ أو قتلته ثم بقيت ، أن آتيك حتى أضـــع يدي في يدك . فقال له الحسن : أما والله حتى تعاين النـــار ثم قدمـــه فقتله[3] ثم إن الناس أخذوه ، فأحرقوه بالنار ، ولكن هـــذه الروايـــة منقطعة[4] ، والصحيح من الروايات والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين علي في معاملة عبد الرحمن بن مُلْجم وفيها يظهر خلق الإسلام العظيم في النهي في المثلة والالتزام

[1] تاريخ الطبري (٦/٦٤) .
[2] منهاج السنة (٥/٢٤٥) .
[3] تاريخ الطبري (٦/٦٤) .
[4] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد صـ ٤٤٠ .

بالقصاص الشرعي . ولا تثبت الرواية التي تقول : فلما دفن اضروا ابن ملجم ، فاجتمع الناس ، وجاءوا بالنفط والبواري ، فقال محمد بن الحنفية ، والحسين ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، دعُونا نشتفّ منه ، فقطع عبد الله يديه ورجليه ، فلم يجزع ولم يتكلّم ، فكحَل عينيه ، فلم يجزع ، وجعل يقول إنك لتكحُل عيني عمّك وجعل يقرأ ((إقرأ بسم ربك الذي خلق)) (العلق ، آية : ١) حتى ختمها ، وإن عينيه لتسيلان ثم أمر به فعولج عن لسانه ليُقْطع فجزع ، فقيل له في ذلك . فقال : ما ذاك بجزع ولكنّي أكره أن أبقى في الدنيا فُواقاً لا أذكر الله فقطعوا لسانه ، ثمّ أحرقوه ، وكان أسمر ، حسن الوجه ، أفلج ، شعره من شحمة أذنيه ، وفي جبهته أثر السجود[١] .

وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة ، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النّار ، ونجوِّز أن الله يتجاوز عنه ، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه ، وحكمه حكم قاتل عثمان وقاتل الزبير ، وقاتل طلحة ، وقاتل سعيد بن جبير ، وقاتل عمّار وقاتل خارجة ، وقاتل الحسين ، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله ، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل[٢] .

٩ ــ خطبة الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد مقتل أبيه :

عن عمر بن حُبشي قال : خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رضي الله عنه ، فقال : لقد فارقكم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون ، إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبعثه

---

[١] طبقات ابن سعد (٣٩/٣) الأخبار الطوال صـ ٢١٥ .
[٢] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين صـ ٦٥٤ .

ويعطيه الراية فلا ينصرف[1] ، حتى يُفتح له ما ترك مـــن صـــفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله[2] .

١٠ ـــ استقبال معاوية خبر مقتل علي رضي الله عنهما :

ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي ، فقالت لـــه امرأتـــه : أتبكيه وقد قاتلته ؟ فقال : ويحك إنك لا تدرين ما فقد النـــاس مـــن الفضل والفقه والعلم[3] ، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل لـــه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك ، فلما بلغه قتلـــه قـــال : ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب ، فقال له أخـــوه عتبـــة : لا يسمع هذا منك أهل الشام ، فقال له : دعني عنك[4] ، ولنتعرف على شخصية علي عندما طلب معاوية رضي الله عنه في خلافته من ضرار الصُّدائي أن يصف له علياً ، فقال أعفني يا أمير المؤمنين قال : لتصفنَّه ، قال : أما إذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى ، شديد القُوى ، يقول فُصلاً[5] ويحكم عدلاً يتفجّر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ويستوحش من الدنيا وزهرها ، ويستأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قُصر ومـــن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحَدِنا ، يجيبنا إذا ســـألناه وينبئنـــا إذا استنبأناه ونحن والله ـــ مع تقريبه إيانا وقربه منا ـــ لا نكاد نكلمـــه هيبة له ، يعظِّم أهل الدين ويُقرِّب المساكين ، ولا يطمع القـــوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف فـــي عدله ، وأشهد أنه قد رأيته في بعض

---

[1] فضائل الصحابة (٧٣٧/٢) إسناده صحيح : فلا ينصرف : يرجع .
[2] فضائل الصحابة (٧٣٧/٢) إسناده صحيح .
[3] البداية والنهاية (١٣٣/٨) .
[4] الاستيعاب (١١٠٨/٣) .
[5] المصدر نفسه (١١٠٧/٣) .

مواقفه وقد أرخى الليل سُدُولَه[1] وغارت نجومه ، قابضاً على لحيتـــه ، يتململ تململ السليم[2] ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غُرِّي غيري ، إليّ تعرّضت أم إلى تشوَّفتِ : هيهات هيهات ، قد باينتــك ثلاثاً لا رجع فيها فعمرك قصير ، وخطرك قليل ، آه من قلــة الــزاد وبُعد السفر ، ووحشة الطريق ، فبكى معاوية وقال : رحم الله أبــا الحسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها[3] ، وعن عمر بن عبد العزيز قـــال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأبـــو بكـــر وعمـــر جالسان عنده ، فسلمت عليه وجلست ، فبينما أنا جـــالس إذ أتـــى بعلي ومعاوية فأدخلا بيتاً وأجيف[4] الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول : قضي لي ورب الكعبة ، ثم ما كـــان بأسرع من خرج معاوية وهو يقول : غفر لي ورب الكعبة[5] . وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل : إني أبغض معاوية فقال له و لم ؟ قال : لأنه قاتل علياً ، فقال له أبو زرعة : ويحـــك إن رب معاوية رحيم ، وخصم معاوية خصم كريم ، فايش دخولك أنت بينهما ؟ رضي الله عنهما[6] .

الفصل الثاني

[1] سدوله : سدلته .
[2] تململ السليم : يعني الملدوغ كانت العرب تسميه كذلك للتفاؤل ببرئه .
[3] الاستيعاب (١١٠٨/٣) .
[4] أجيف الباب : رُد وأغلق .
[5] البداية والنهاية (١٣٣/٨) .
[6] المصدر نفسه (١٣٣/٨) .

بيعة الحسن بن علي بن أبي طالب وأهم صفاته وبعض مواقفه في الحياة الاجتماعية ومشروعه الإصلاحي الذي توّج بوحدة الأمة :

المبحث الأول : بيعة الحسن بن علي رضي الله عنهما :

كانت بيعة الحسن بن علي رضي الله عنهما في شهر رمضان من سنة ٤٠هـ وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي[١] ، وقد اختار الناس الحسن بعد والده و لم يعين أمير المؤمنين أحداً من بعده ، فعن عبد الله بن سبع قال : سمعت علياً يقول : لتخضبن هذه من هذا[٢] فما ينتظر بي الأشقى[٣] . قالوا : يا أمير المؤمنين ، فأخبرنا به نبير عترته[٤] ، قال : إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي . قالوا : فاستخلف علينا قال : لا ، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : فما تقول لربك إذا أتيته ، قال وكيع[٥] مرة : إذا لقيته قال : أقول : اللهم تركتني فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدهم[٦] ، وفي رواية : أقول : اللهم استخلفتني فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتني وتركتك فيهم[٧] ، وبعد مقتل علي صلى عليه الحسن بن علي وكبر عليه أربع تكبيرات ، ودفن بالكوفة ، وكان أول ما

---

[١] الطبقات (٣٥/٣ ـ ٣٨) تحقيق د. إحسان عباس .
[٢] أي لتخضبن لحيته من دم رأسه .
[٣] مجمع الزوائد (١٣٩/٩) مسند أحمد (٣٢٥/٢) حسن لغيره .
[٤] نبير عُترتَه : نهلك أقرباءه لسان العرب (٥/٤) (٥٣٨/٤) .
[٥] وكيع بن الجراح ، ثقة حافظ عابد ، التقريب ٥٨١ .
[٦] مسند أحمد (٣٢٥/٢) حسن لغيره الموسعة الحديثة .
[٧] كشف الأستار عن زوائد البزار (٢٠٤/٣) .

بايعه قيس بن سعد ، قال له : أبسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه ، وقتال المُحلِّين ، فقال له الحسن رضي الله عنه : على كتاب الله وسنة نبيه ، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط : فبايعه وسكت ، وبايعه الناس[١] ، وقد اشترط الحسن بن علي على أهل العراق عندما أرادوا بيعته فقال لهم : إنكم سامعون مطيعون ، تسالمون من سالمت ، وتحاربون من حاربت[٢] ، وفي رواية قال لهم : والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم قالوا : ما هو ؟ قال : تسالمون من سالمت ، وتحاربون من حاربت[٣]، وفي رواية ابن سعد : إن الحسن بن علي أبي طالب بايع أهل العراق بعد علي على بيعتين ، بايعهم على الإمرة ، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه ، ويرضوا بما رضي به [٤]، ويستفاد من الروايات السابقة ابتداء الحسن رضي الله عنه في التمهيد للصلح فور استخلافه والذي سيأتي تفصيله لاحقاً بإذن الله تعالي ، ومن دراستنا لبيعة الحسن نستنبط دروساً وعبراً وفوائد منها :

أولاً : بطلان قضية النص على خلافة الحسن :

عند حديثنا عن بيعة الحسن رضي الله عنه تبرز أمامنا قضية يروج لها الشيعة الإمامية بقوة ألا وهي قضية النص على خلافة الحسن رضي الله عنه من قبل والده علي بن أبي طالب رضي الله عنه [٥]وهذا الأمر يعد من المفتريات على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حيث لم يصح النقل عنه بذلك ، إن الشيعة الرافضة يعتقدون أن الإمامة كالنبوة لا

---

[١] تاريخ الطبري (٧٣/٦) .
[٢] المصدر نفسه (٧٧/٦) .
[٣] الطبقات تحقيق د . محمد السلمي (٢٨٦،٢٨٧/١)
[٤] المصدر نفسه (٣١٦،٣١٧/١)
[٥] فرق الشيعة للنوبختي صـ ٣٤ ، مرويات خلافة معاوية

تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأنها مثلها لطف من الله عز وجل ، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى ، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه ، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده ، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات في ذلك ، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر رحمه الله أنه قال : أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء ؟ لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله رجل فرجل مسمى حتى تنتهي إلى صاحبها [1]، ويعتقد الشيعة الرافضة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم وهم اثنا عشر إماماً لا ينقصون ولا يزيدون وهم :

١ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه المرتضى توفي ٤٠هـ .

٢ ـ الحسن بن علي رضي الله عنه الزكي توفي ٥٠هـ .

٣ ـ الحسين بن علي سيد الشهداء توفي ٦١هـ رضي الله عنه .

٤ ـ علي بن الحسين ـ زين العابدين ـ توفي ٩٥هـ .

٥ ـ محمد بن علي الباقر توفي ١١٤هـ .

٦ ـ جعفر بن محمد الصادق توفي ١٤٨هـ .

٧ ـ موسى بن جعفر الكاظم توفي ١٨٣هـ .

٨ ـ علي بن موسي الرضا توفي ٢٠٣هـ .

٩ ـ محمد بن علي الجواد توفي ٢٢٠هـ .

١٠ـ علي بن محمد الهادي توفي ٢٥٤هـ .

[1] الإمامة والنص ، فيصل نور صـ ٨

١١ــ الحسن بن علي العسكري توفي ٢٦٠هــ .
١٢ــ محمد بن الحسن المهدي توفي ٢٥٦هــ .

وأساس عقيدة الوصية هو ابن سبأ وكان ينتهي بأمر الوصية عند علي رضي الله عنه ولكن جاء فيمن بعد من عممها في مجموعة من أولاده ، وكانت الخلايا الشيعية الرافضية تعمل بصمت وسرية ، فينفون ذلك نفياً قاطعاً ، كما فعل جدهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت "عقيدة التقية" حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس[١] ، إن من أخطر الأمور التي ابتدعها الشيعة الوصية وهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي رضي الله عنه ، وأن من سبقه مغتصبين لحقه كما جاء في كتابهم "الكافي" : من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان علياً عليه السلام[٢] ، ولكن الاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين ، لا نجد للوصية ذكراً في خلافة أبي بكر ولا في عمر رضي الله عنهما ، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه ، عند بزوغ قرن الفتنة ، وقد استنكر الصحابة هذا القول ، عندما وصل إلى أسماعهم ، وبينوا كذبه ، ومن أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما ، ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة ، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها ،

[1] أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٠٠) .
[2] أصول الكافي (٢/١٦ - ١٧) .

وذلك في خلافة علي رضي الله عنه ، وهذه الوصية التي تدعيها الرافضة فقد أثبت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختي والكشي ، وقد فصلت ذلك في كتابي أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويكفي في الرد على زعمهم الباطل ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ ومنهم علي رضي الله عنه نفسه والأدلة كثيرة منها :

١ ــ **ذكر عند عائشة أن النبي صل صلى الله عليه وسلم** أوصى إلى علي ، فقالت : من قاله ؟ لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وإني لمسندته إلى صدري ، فدعا بالطست ، فانخنث ، فمات ، فما شعرت فكيف أوصى إلى علي[1] ، وتصريح عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص لعلي من أعظم الأدلة على عدم الوصية ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم توفي في حجرها ولو كانت هناك وصية لكانت هي أدرى الناس بها[2] .

٢ ــ **وعن ابن عباس قال** : إن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه ، فقال الناس يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً ، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وإني والله لأرى رسول الله

---

[1] البخاري رقم ١٤٧١ ، ك الوصايا .

[2] بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (١٩٠/١) .

صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى في وجعه هذا ، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله ، فلنسأله فيمن هذا الأمر ، إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا ، فقال علي : إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها ، لا يعطيناها الناس من بعده ، وإني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] ، وفي قوله رضي الله عنه شهادة للصحابة رضوان الله عليهم ـــ على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنه ، ولما عبرت الأنصار عن رأيها في السقيفة بحرية وشجاعة وصدق : منا أمير ومنكم أمير[2] ، ولبايعوا من عهد إليه الوصية ، أو على الأقل سيذكر بعضهم ، ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال علي للعباس : كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لي بالخلافة ، وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس اليوم ، فلما لم يوجد شئ من ذلك تبين ما يدعى من النص دعوى لا أساس لها من الصحة ، وكل ما أوردوه من ذلك من التنصيص على علي مردود ، لمخالفته هذا النص الصريح من علي رضي الله عنه ، لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعي ـــ وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة[3] .

٣ ـــ سئل علي رضي الله عنه أخصكم رسول الله بشئ فقال : ما خصنا رسول الله بشئ لم يعم به الناس كافة ، إلا ما كان في قراب

---

1 البخاري ، ك المغازي رقم : ٤٤٤٧ .

2 البخاري ، ك الحدود رقم ٦٨٣٠ .

3 الإمامة والرد على الرافضة ، تحقيق علي ناصر فقيهي صـ ٢٣٨ .

سيفي هذا ، قال : فأخرج صحيفة مكتوب فيها : لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن من سرق منار الأرض ، ولعن الله من لعن والده ، ولعن الله من آوى محدثاً[1] . قال ابن كثير : وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله أوصى إليه بالخلافة ، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة ، فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته ، وبعد وفاته من أن يفتأتوا عليهم فيقدموا غير من قدمه ، ويؤخروا من قدمه بنصه ، حاشا وكلا ! ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطئ على معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومضادتهم لحكمه ونصه ، مع ما أنزل الله من ثناء عليهم بالقرآن ، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام ، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام[2] ، قال النووي : فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة الإمامية بالوصية لعلي وغير ذلك من اختراعاتهم[3] .

٤ ــ **وعن عمرو بن سفيان قال** : لما ظهر علي يوم الجمل قال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله[4] .

---

1 مسلم (١٥٦٧/٣) رقم ١٩٧٨ .
2 البداية والنهاية (٢٢١/٥) .
3 شرح صحيح مسلم (١٥١/١٣) .
4 الاعتقاد صـ ١٨٤ ، وقال البيهقي في دلائل النبوة سنده حسن .

٥ ــ روى أبو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق ابن سلمة ، قال : قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا تستخلف علينا ؟ فقال : ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف ، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[1] فهذا دليل واضح من أن دعوى النص عليه رضي الله عنه إنما من اختلاق الرافضة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيهم علي وأهل بيته ، وإنما يدعون حبهم تستراً ليتسن لهم الكيد للإسلام وأهله[2] .

بهذه النصوص : القطعية يتضح بجلاء أن لا أصل للوصية المزعومة وأن ما اعتمد عليه الرافضة هو من وضع عبد الله بن سبأ الذي هو أول من أحدث الوصية ، ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زوراً وبهتاناً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهدفهم من ذلك الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم لمخالفتهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك ومن ثم الطعن ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث[3] ، قال ابن تيمية ــ رحمه الله ــ عن رده على الحلي : وأما النص على علي فليس في شئ من كتب أهل الحديث المعتمدة ، وأجمع أهل الحديث على بطلانه ، حتى قال أبو محمد بن حزم ، ما وجدنا قط رواية عند أحد في هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو في خلق الله[4] ،

---

[1] الاعتقاد صـ ١٨٤ ، إسناده جيد .
[2] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٦٢٠/٢) .
[3] خلافة علي بن أبي طالب ، علي عبد الحميد صـ ٦٥ .
[4] المنهاج (٣٦٢/٨) (الفصل ١٦١/٤) .

وقال في موضع آخر : فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم قديماً ولا حديثاً ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل كما يعلمون كذب غيره من المنقولات[1] ، وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ في أمير المؤمنين علي ثم عمموها على آخرين من سلالة علي والحسين في إثارة مشاعر الناس وعواطفهم ، والدخول إلى قلوبهم ، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية في ظل هذا الستار ، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين في آل البيت ، شيطان الطاق الذي تلقبه الشيعة مؤمن الطاق[2] ، وأنه حينما علم بذلك زيد بن علي رحمه الله بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة ، فقال له زيد : بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إماماً مفترض الطاعة ؟ قال شيطان الطاق : نعم ، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم ، فقال : وكيف وقد كان يؤتي بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها ، أفترى أنه كان يشفق علي من حر اللقمة ، ولا يشفق علي من حر النار ؟ قال شيطان الطاق : قلت له : كره أن يخبرك ، فتكفر ، فلا يكون له فيك شفاعة[3] ، وهذه القصة المروية في أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد ، وقد بين محب الدين الخطيب أن شيطان الطاق

---

[1] المنهاج (٧/٥٠) .
[2] أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٠٠) .
[3] رجال الكشي صـ ١٨٦ .

هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة وحصر الإمامة والتشريع وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت[1] ، وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفي ١٧٩هـ[2] ، ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت في الكوفة[3] ، بسعي مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق ، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها في القرن الثاني زمرة ممن يدعي الصلة بأهل البيت[4] ، أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم[5] ، ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم في عدد الأئمة قال في مختصر التحفة : أعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة ، ولكنهم مختلفون في مقدارهم ، فقال بعضهم : خمسة ، وبعضهم سبعة ، وبعضهم ثمانية ، وبعضهم : اثنا عشر ، وبعضهم ثلاثة عشر[6] ، والغريب أن القائلين بنظرية الإمامة الإلهية انقسموا إلى عدة فرق كل فريق منهم ينقل روايات مناقضة للآخر في إمامة من يراه ثم ينسبون ذلك لعلي رضي الله عنه . وكتب الشيعة الرافضة نقلت صورة هذا التباين والتناقض سواء كانت من كتب الإسماعيلية بمسائل الإمامة للناشئ الأكبر ، أو الزينة لأبي حاتم الرازي ، أو من كتب الاثني عشرية مثل ، المقالات والفرق للأشعري القمي ، وفرق الشيعة للنبوختي ، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعي الذي يكون فيه الخلاف أمراً عادياً ، بل هي أساس الدين

---

1 مجلة الفتح صـ ٥ ، العدد ٨٦٢ عام ١٣٦٧هـ .
2 أصول الشيعة الإمامية (٨٠٣/٢) .
3 بحار الأنوار (٢٥٩/١) ، أصول الشيعة الإمامية (٨٠٥/٢) .
4 أصول الشيعة (٨٠٦/٢) .
5 المصدر نفسه (٨٠٦/٢) .
6 مختصر التحفة صـ ١٩٣ .

وأصله المتين ، ولا دين لم لم يؤمن بإمامهم ولذلك يكفـــر بعـــضهم ويلعن بعضهم بعضاً[1] ، إما الاثنا عشرية فقد استقر قولها ــ فيما بعد ــ بحصر الإمامة في اثني عشر إماماً ، ولم يكن في العترة النبوية بـــني هاشم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكـــر وعمـــر وعثمان وعلي رضي الله عنهم من يقول ، بإمامة الاثنى عشرة[2] ، إنما عرف الاعتقاد بإثني عشر إماماً بعد وفاة الحـــسن العـــسكري[3] ، إن حصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة ، وأمير المـــؤمنين علـــي وأولاده وأحفاده براء منها ، ففي كتب الشيعة المعتمدة في نهج البلاغة ، عن علي رضي الله عنه قال : دعـــوني والتمـــسوا غـــيري ، فإنـــا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول[4] ، وإن الآفاق قد أغامت[5] ، والمحجة قد تنكرت ، واعلموا أني إن أحببتكم ركبت لكم ما أعلم ، ولم أصغ إلى قول القائل وعتـــب العاتب ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً[6] ، فلو كانـــت إمامة علي منصوصاً عليها من الله عز وجل لما جاز لعلي بن أبي طالب تحت إي ظرف من الظروف أن يقول للناس : دعوني والتمسوا غيري ويقول أنا لكم وزيراً خير لكم مني أمير" كيف والناس تريده وجاءت تبايعه[7] . ويقول في النهج كلاماً أكثر صراحة وأشد وضوحاً حـــين

---

1 أصول الشيعة الإمامية (٨٠٧/٢) .
2 منهاج السنة (١١/٢) .
3 أصول الشيعة الإمامية (٨٠٨/٢) .
4 لا تصبر له ولا تطيق احتماله .
5 أغامت : غطيت بالغيم .
6 نهج البلاغة خطبة رقم ٩٢ صـ ٢٣٦ .
7 ثم أبصرت الحقيقة صـ ١٥٨ .

يقول ، إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل سمّوه إماماً كان ذلك لله رضا ، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه ، فإن أبي قاتلوه على إتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى[1] ، وقد أشار أمير المؤمنين بهذه العبارة حقائق جديرة بالإهتمام حيث جعل :

ـ الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيدهم الحل والعقد .

ـ اتفاقهم على شخص سبب لمرضات الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم .

ـ لا تنعقد الإمامة في زمانهم دونهم وبغير اختيارهم .

ـ لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين ، فأين هم الشيعة الأثني عشرية عن هذه التصريحات الهامة[2] .

إن مسألة النص لا تثبت بأي وجه من الوجوه ، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردوده بالكتاب والسنة ، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع ، إذ بعد إنتهاء العدد المعين هل تظل الأمة بدون إمام ؟ ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الإثني عشرية لا يتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً وهم من ذلك الوقت إلى الآن بدون إمام بشكل فعلي وواقعي مما ترتب على وضعهم هذا فقداهم كل ما يزعمون من مبرر

---

[1] نهج البلاغة ، ك إلى معاوية رقم ٦ صـ ٥٢٦ .
[2] ثم أبصرت الحقيقة صـ ١٦١ .

ضروري أو مصلحة ضرورية من وجود إمام معصوم وهذا تناقض ظاهر ، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام ، واختلف قولهم في حدود النيابة وفي هذا العصر اضطروا للخروج نهائياً عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم ، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي[1] ، وهو فعلياً غير معصوم بالاتفاق ولا عنده نص يخوِّله للإمامة وهم بهذا الأمر نسخوا فعلياً نظرية الإمامة التي شقوا بها صفوف الأمة ، فأصبح الإنسان العادي حتى ولو كان من غير أهل البيت يستطيع أن يحكم ويقود بحجة أنه فقيه ، وقد فصّل الأستاذ أحمد الكاتب تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه وتحدث عن أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه والشورى وبين بوضوح أن الحسن بن علي لم يعتمد في دعوة الناس لبيعته على ذكر أي نص حوله من الرسول صلى الله عليه وسلم أو من أبيه أمير المؤمنين علي ، وتحدث عن إيمان الحسن بن علي بنظام الشورى وحق الأمة في انتخاب إمامها ، وقد تجلى هذا الإيمان مرة أخرى عند تنازله عن الخلافة إلى معاوية واشتراطه عليه العودة إلى نظام الشورى بين المسلمين ، ولو كانت الخلافة بالنص من الله والتعيين من الرسول ، كما تقول النظرية الإمامية ، لم يكن يجوز للإمام الحسن أن يتنازل عنها لأي أحد تحت أي ظرف من الظروف ، ولم يكن يجوز له بعد ذلك أن يبايع معاوية أو أن يدعو أصحابه وشيعته لبيعته ، ولم يكن يجوز له أن يهمل

[1] الحكومة الإسلامية للخميني صـ ٢٤٨ ، أصول الشيعة (٨١٤/٢) .

الإمام الحسين ولأشار إلى ضرورة تعيينه من بعدِه ولكن الإمام الحسن لم يفعل أي شئ من ذلك وسلك مسلكاً يوحي بالتزامه بحق المـــسلمين في انتخاب خليفتهم عبر نظام الشورى وقد ظل الشهيد الحسين رضـــي الله عنه ملتزماً ببيعة معاوية إلى آخر يوم من حياة الأخير ، ورفض عرضاً من شيعة الكوفة بعد وفاة أمير المؤمنين الحسن بالثورة على معاوية ، وذكر إن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه ، ولم يدع إلى نفـــسه إلا بعد وفاة معاوية الذي عهد إلى ابنه يزيد بالخلافة بعده ، حيـــث رفـــض الحسين البيعة له وأصرَّ على الخروج إلى العراق حيث استشهد في كربلاء عام ٦١هـــ[١] .

ثانياً : ما يحتج به الشيعة الاثنا عشرية في أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء في كتب السنة :

عن جابر ين سمرة قال رسول الله : يكون إثنا عشر أمـــيراً . فقـــال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي : إنه قال : كلهم في قريش[٢] . وفي مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يقـــول : لا يـــزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشرة خليفة . ثم قال كلمة لـــم أفهمها . فقلت لأبي : ما قال ؟ فقال : كلهم من قريش[٣] . وفي لفظ : لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة[٤] ، وفي لفظ آخر : لا يزال أمر النـــاس

[1] تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه صـ ١٧ ، ١٨ .
[2] البخاري ، ك الأحكام ، باب الاستخلاف (١٢٧/٨) .
[3] مسلم ، ك الإمارة ، باب الناس (١٤٥٣/٢) .
[4] المصدر نفسه (١٤٥٣/٢) .

ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً[1] ، وعند أبي داود : لا يزال هذا الـدين قائماً حتى يكون عليكم إثنا عشر خليفة ، كلهم تجتمع عليهم الأمة[2] .

وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بنحـو ما مضى قال : وزاد فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا : ثم يكون ماذا قال : الهرج[3] . يتعلق الشيعة الاثني عشرية لهذا النص ويحتجون به علـى أهل السنة ، لا لإيمانهم بما جاء في كتب السنة[4] ، ولكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به ، وبالتأمل في النص بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثني عشر وصفوا بأنهم يتولون الخلافة ، وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة ، وأن الناس تجتمع عليهم ولا يزال أمـر النـاس ماضـياً وصالحاً في عهدهم ، وكل هذه الأوصاف لا تنطبق على مـن تـدعي الاثنا عشرية فيهم الإمامة ، فلم يتول الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن ، كما لم يقم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر ـــ في نظر الشيعة أنفسهم ـــ بل ما زال أمر الأمة فاسداً .. ويتـولى علـيهم الظالمون بل الكافرون[5] وأن الأئمة أنفسهم كان يتسترون في أمور دينهم بالتقية[6] ، وأن عهد أمير المؤمنين علي وهو على كرسي الخلافة عهد تقية ، كما صرح بذلك شيخهم المفيد[7] ، فلم يستطع أن يظهر القرآن ، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام ، كمـا صـرح بـذلك شـيخهم

---

1 المصدر نفسه (٢/ ١٤٥٣) .
2 سنن أبي داود ، ك المهدي (٤٧١/٤) .
3 سنن أبي داود (٤٧٢/٤) ، فتح الباري (٢١١/١٣) .
4 أصول الشيعة الإمامية (٨١٥/٢) .
5 منهاج السنّة (٢١٠/٤) المنتقى صـ ٥٣٣ .
6 أصول الشيعة الإمامية (٨١٦/٢) .
7 المصدر نفسه (٨١٦/٢) .

الجزائري[1] ، واضطر إلى ممالأة الصحابة ومجاراتهم على حساب الـــدين ، كما أقرَّ بذلك شيخهم المرتضى[2] .. فالحديث في جانب ومزاعم هـــؤلاء في جانب آخر ، ثم أنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد ، بل نبوة منه ، بأن الإسلام لا يزال عزيزاً في عصور هؤلاء ، وكان عصر الخلفـــاء الراشدين وبني أميه عصر عزة ومنعة[3] ، ولهذا قال ابن تيمية : إن الإسلام وشرائعه في بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم ، ثم استشهد بحديث : لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم مـــن قريش . ثم قال : وهكذا كان ، فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة معاوية وابنه يزيد ثم عبـــد الملـــك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن . ثم شرح ذلك[4] ، ثم أنه قال في الحديث : كلهم من قريش[5] ، وهذا يعني أنهم لا يختصون بعلي وأولاده : ولو كانوا مختـــصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به ، ألا ترى أنه لم يقل : كلهم من ولـــد إسماعيل ولا من العرب ، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم ، أو من قبيل علي لذكروا بذلك ، فلما جعلهم من قريش مطلقاً علم أنهم من قريش ، بل لا يختصون بقبيلة ، بل بنو تيم وبنو عدي ، وبنو عبد شمس ، وبنـــو هاشم ، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل[6] ، فإذن لم يبق مـــن

---

[1] المصدر نفسه (٨١٦/٢) .
[2] المصدر نفسه (٨١٦/٢) .
[3] أصول الشيعة (٨١٦/٢) .
[4] منهاج السنة (٢٠٦/٤) .
[5] مسلم (١٤٥٣/٢) .
[6] منهاج السنة (٢١١/٤) .

الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد ، والعدد لا يدل على شئ[1] .

ثالثاً : مدة خلافة أمير المؤمنين الحسن ومعتقد أهل السنة في خلافته :

استمر أمير المؤمنين الحسن بن علي بعد بيعته خليفة على الحجاز واليمن والعراق وغير ذلك نحو سبعة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر ، وقيل ستة أشهر وكانت خلافته هذه المدة خلافة راشدة حقة لأن تلك المدة كانت تتمة لمدة الخلافة الراشدة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً[2] ، فقد روي الترمذي بإسناده إلى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك[3] ، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال : وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليما[4] ، وبذلك يكون الحسن بن علي رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين[5] وعند الإمام أحمد من حديث

---

[1] أصول الشيعة (٨١٨/٢) .
[2] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٧٤٣/٢) .
[3] سنن الترمذي مع شرحها تحفة الأحوذي (٣٩٥/٦ ـ ٣٩٧) حديث حسن .
[4] البداية والنهاية (١٣٤/١١) .
[5] مآثر الأنافة (١٠٥/١) ، مرويات خلافة معاوية ، خالد الغيث صـ ١٥٥ .

سفينة أيضاً بلفظ : الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك[1] . وعند أبي داود بلفظ : خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يـــشاء أو ملكه ما يشاء[2] ، ولم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليـــه وســـلم إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن وقد قرر جمع من أهل العلم عند شــــرحهم لقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة في أمتي ثلاثون سنة . أن الأشهر الـــتي تولى فيها الحسن بن علي بعد موت أبيه كانت داخلة في خلافة النبـــوة ومكملة لها فقد قال كل من :

١ ــ **أبو بكر بن العربي رحمه الله** : فنفذ الوعد الصادق في قولـــه صلى الله عليه وسلم ــ : الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم تعود ملكـــاً . فكانت لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وللحسن منها ثمانية أشهر لا تزيد ولا تنقص يوماً فسبحان المحيط لا رب غيره[3] .

٢ ــ **وقال القاضي عياض** : رحمه الله لم يكن في ثلاثين ســـنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة والأشهر التي بويع فيها الحسن بـــن علـــي .. والمراد في حديث : الخلافة ثلاثون سنة . خلافة النبوة فقد جاء مفسراً في بعض الروايات : خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً[4] .

٣ ــ **وقال الحافظ بن كثير ــ رحمه الله ــ** : والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة[5] من طريق سفينة

---

[1] فضائل الصحابة (٧٤٤/٢) إسناده حسن .
[2] صحيح سنن أبي داود (٨٧٩/٣) ، سنن أبي داود (٥١٥/٢) .
[3] أحكام القرآن لابن العربي (١٧٢٠/٤) .
[4] شرح النووي علي صحيح مسلم (٢٠١/١٢) .
[5] البداية والنهاية (١٣٤/١١) .

مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً ، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي[1] .

٤ ــ **وقال شارح الطحاوية** : وكانت خـــلافة أبي بكر الـــصديق سنتين وثلاثة أشهر ، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً ، وخلافة عثمـــان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر ، وخلافة الحـــسن ستة أشهر[2] .

٥ ــ **وقال المناوي** : بعد ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم : ابـــني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[3] ، قال : وكان ذلك فلما بويع له بعد أبيه وصار هو الإمام الحق مدة ستة أشهر تكملة للثلاثين سنة التي أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم إنهـــا مـــدة الخلافة وبعدها يكون ملكاً ....[4] .

٦ ــ **وقال ابن** حجر الهيثمي : هو آخر الخلفاء الراشـــدين بـــنصِّ جَدِّه صلى الله عليه وسلم ، ولي الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة ، فأقام بها ستة أشهر وأياماً ، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقاً لما أخبر به جده الصادق المصدوق بقوله : الخلافة بعدي ثلاثون سنة[5] ، فإن تلك الستة الأشهر هي المكملة لتلك الثلاثين ، فكانت خلافته منصوصاً عليها وقـــام عليها إجماع من ذكر ، فلا مرية في حَقِّيتها[6] .

---

[1] البداية والنهاية (١٣٤/١١) .
[2] شرح الطحاوية صـ ٥٤٥ .
[3] البخاري (٩٤/٧) .
[4] فيض القدير (٤٠٩/٢) .
[5] الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٣٩٧/٢) .
[6] المصدر نفسه (٣٩٧/٢) .

إن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن خلافة الحسن بن علي كانت خلافة حقة وأنها جزء مكمل لخلافة النبوة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن مدتها ستكون ثلاثين سنة[1]

رابعاً : خطب لا تصح للحسن بعد مقتل والده :

ونورد هذا المبحث لمعرفة الباطل والتحذير منه كما قال الشاعر :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وقد اخترع الشيعة الرافضة الكثير من الخطب ونسبوها كذباً وبهتاناً للحسن بن علي رضي الله عنه وإليك نماذج من ذلك منها : .. أيها الناس : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني ، فأنا الحسن بن علي . أنا البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، والذين ، افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول : ((وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا)) (الشورى ، آية : ٢٢) . فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت[2] . ونسجوا خطبة لأبي الأسود الدؤلي إلى أن قالوا : .. ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ثم قال : وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه ،

[1] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٧٤٨/٢) .
[2] مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني صـ ٥١ ـ ٥٢ .

وإني لأرجو أن يجبر الله به ما وهي ، ويسد به ما انثلم ويجمع به الشمل ويطفئ به نيران الفتنة فبايعوه ترشدوا ، فبايعت الشيعة كلها وتخلف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية وهربوا إلى معاوية[1] ، وذكروا رسائل مطولة من الحسن إلى معاوية يدعوه لبيعته ويدلي بحجته وأحقيته وهي لا تثبت من حيث السند والمتن وإنما ذكرت في كتب الشيعة الرافضة العارية من الأسانيد الصحيحة ، المتعارضة مع ما ثبت عن الحسن بن علي في خلافته[2] ، ويكفي أن تلك المراجع تحدث فيها علماء وأهل السنة وبينوا زيفها وبطلانها وأنها ليست بحجة في مجال الاعتقاد والأحكام والعلاقة بين الصحابة الكرام ، ويكفي أن النصوص السالفة الذكر من كتاب مقاتل الطالبيين والأغاني للأصفهاني ومن كتاب نهج البلاغة وقد تحدث العلماء عن الأصفهاني وكتابه وكذلك نهج البلاغة فقالوا :

١ ـ الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني :

يعتبر كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء ومجون وليس كتاب علم وتاريخ وفقه وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ ولقد تحدث العلماء فيه قديماً فقالوا :

- **قال الخطيب البغدادي** : كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف ، ثم تكون كل رواياته منها .

---

1 الأغاني لأبي فرج الأصفهاني (١٢١/١) .
2 الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي محمد ماهر حمادة صـ ٩٠ إلى ٩٥ .

قال ابن الجوزي : ... ومثله لا يوثق بروايته ، يصّح فيه كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهوّن شـــرب الخمـــر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمَّل كتاب الأغـــاني ، رأى كل قبيح ومنكر[1] .

قال الذهبي : رأيت شيخنا تقيّ الدين ابـــن تيميـــة يضعّفه ويتهمه في نقله ، ويستهْول ما يأتي به[2] .

وقد تحدث عنه بعض المعاصرين فقالوا :

قال الأستاذ شوقي أبو خليل مقوماً مصادر فيليـــب حتَّى في كتابه تاريخ العرب المطوّل ما نصه : واعتمد حـــتى كتاب الأغاني للأصفهاني ، وهو ليس كتاب تاريخ يعتمـــد أيضاً ، إنّه كتاب أدب ، وهذا لا يعني مطلقاً أن كل كتاب أدب لا يؤخذ به ، بل يعتمد إن كان صاحبه ثقة ، معروفاً عنه الأمانة في النقل والرِّواية . إن كتاب الأغاني الذي جعله حتَّى مرجعاً تاريخياً معتمداً ، صاحبه متَّهم في أمانته الأدبيَّة والتاريخية ، جاء في ميزان الاعتدال في نقـــد الرّجـــال : أن الأصفهاني في كتابه الأغاني كـــان يأتي بالأعاجيب بحـــدثنا وأخبرنا . ومن يقرأ الأغاني يرى حياة العباسيين لهواً ومجوناً وغناء وشراباً .. وهذا يناسب المؤلِّف وخياله وحياته ، ومن يرجع إلى كتب التاريخ الصحيحة يجد صورة أخرى فيهـــا

---

1 المنتظم (٧/٤٠ ، ٤١) .
2 ميزان الاعتدال (٣/١٢٣) .

علم وجهاد وأدب ، فكتاب الأغاني ليس كتاب تاريخ يحتج به[1] .

وقال أبو عبيدة مشهور بن حسن آل مـــشهور : ..

لا بد من ذكر أمر هام تفطن إليه بعض الباحثين وهـــو أن أهواء وميول أبي فرج الشيعية لها دور بارز ظهر فيما دوّنـــه في كتابه هذا ، قال الدكتور محمد أحمد خلف الله في خاتمة كتابه أبو الفرج الأصفهاني ما نصه : ولقد وقفنا على مـــا لأبي فرج من ميول وأهواء ، فيجب أن نحذر هذه الميـــول وهذه الأهواء كلما حاولنا الاعتماد على مـــا خلَّف الرجل من مرويَّات ، فقد يكون الرجل مـــضللاً ، وقـــد يكـــون صاحب غرض وهوى ، وليس يخفى أنَّ للأهواء حكمها في التاريخ ، وهو حكم قد يملي رغبته لا في ذكـــر الأخبـــار فحسب وإنما أيضاً في الكتمان[2] وأخيراً لماذا هذا التحذير ؟ وقد يتساءل البعض : لماذا هذا التفصيل في التحذير من هذا الكتاب ؟ والجواب : كان هذا التحذير لأسباب كثيرة هي :

أ ـــ لشهرة هذا الكتاب وصيته الذائع .

ب ـــ لاعتماد كثير من أهل التغريب عليه .

جـــ ـــ لما حواه من أخبار فيها قدح في الإسلام والصحابة والخلفاء والولاة الصالحين العادلين .

---

1 موضوعية فيليب حتَّى في كتابه تاريخ العرب المطول صـ ١٨٧ .

2 أبو الفرج الأصفهاني صـ ٢٣٥ ، كتب حذر منها العلماء (٢/٣٠) .

د ــ لحرص غير واحد من المعاصرين على إظهار ما فيه على أنه حق وصدق ، وقد كتب في ذلك وحرص عليه شفيق جبري في كتـــاب دراسة الأغاني الذي وضعه بتشجيع من طه حسين والخلاصة أن هذا الكتاب على الرغم من قيمته الأدبية وأسلوبه القوي الأخَّاذ ، إلا أن أخباره ومادته تحتاج إلى وقفات ونقدات[1] .

* **قال الأستاذ وليد الأعظمي في كتابه السيف اليمـــاني في نحـــر الأصفهاني** في مقدمة كتابه بعـــد كلام : من هنا بدأت أنظـــر إلى كتاب الأغاني نظرة جديدة ، ورجعـــت إلى كتـــب التـــضعيف ، والتوثيق والجرح والتعديل ، فوجدت الأصفهانيِّ رجلاً غير مأمون ، ولا يوثق به عند علمائنا الأجلاَّء المدقِّقين المحصِّين وسلخت مـــن عمري سنتين كاملتين متفرغاً لكتاب الأغاني أتملَّ نصوصه ، وأقواله ، وأقف عنـــد كل خبر من أخباره ، حتى فلَّيت سطوره وكلماته ، واستخرجت قَمْلَه من بين شعراته، واصطبرت عليه اصطبار المجاهدين المرابطين على الثغور ، فرأيت نيران الشعوبية والحقد وهي تغلـــي في الصدور كغلي القدور ، وشعرت بنبال الأعـــداء تتوجَّـــه إلينـــا ، وسهامهم تنثال علينا ، ورددت قول الشاعر :

لو كان سهماً واحداً لاتَّقَيْتُهُ

ولكنه سهم وثانٍ وثالث

فشمرت عن ساعد الجد لأميز الهزل من الجدّ والسمَّ من الشهد ، .. ورحت أفحص رجال السند الذين روى عنهم الأصفهاني ، وبحثت

---

[1] كتب حذر منها العلماء (٢/٣٠ ، ٣١) .

عنهم في كتب نقد الرجال ، وقرأت ما جاء فيهم من أقوال ، فوجدت فيهم كل داهية دهياء ، وبلية سوداء عمياء من الكذابين والمجروحين والمطعون عليهم ، فعزلت أولئك الكذابين وعرّفت بهم ، ثم رحت أحصي روايات الأصفهاني عن كل واحد من هؤلاء ، وهالني ما رأيت من الاعتماد على أولئك الكذابين والرواية عنهم ، والاستقاء من دلائهم ، والاستضاءة بنارهم ورأيت نفسي في وادٍ سحيق رهيب ، ودخلت في كهف مظلم كئيب وإذا كان أولئك الرواة يكذبون في رواية الحديث النبوي الشريف ، فكيف بهم في أخبار الناس وقد توزَّعوا إلى مذاهب وفرق وطوائف ، تتجاذبهم الأهواء والمشارب والمنافع ، وتتقاذف بهم المقاصد والأهداف ؟ وإذا كان الأغاني كتاب أدب وسمر وغناء وليس كتاب علم وتاريخ وفقه ، فليس معنى ذلك أن نسكت عمّا ورد فيه من الدس والكذب الفاضح والطعن والمعايب ، وقد جمع فيه الأصفهاني كثير من أخبار السيرة والتفسير والفقه والأدب إلى أن قال .. واحتوى الفصل الثاني أخباراً وحكايات أوردها الأصفهاني عن آل البيت النبويِّ الشريف ، وهي أخبار تسئ إليهم ، وتجرح سيرهم ، وتشوِّه سلوكهم ، وتوهِّن أمرهم بما يوافق هوى آل بويه الذين يزعمون الولاء لآل البيت كذباً وزوراً ، وقد ناقشت تلك الأخبار وعلَّقت على كل حكاية بما يناسبها .. وجعلت الفصل الرابع للأخبار والحكايات المتفرقة التي طعن فيها الأصفهاني بالعقائد الإسلامية ، ولعْن دين الإسلام وتفضيل الجاهلية على الإسلام ، مع الكفر البواح والاستخفاف

بالصلاة والحج ويوم القيامة ، مع دفاع عن البرامكة وإشادة بالفرس ، وطعون مختلفة بأعلام العرب والمسلمين ، وناقشت كـــل تلــك الأخبار ، وعلَّقت عليها بما يناسب أيضاً[1] . إلى أن قال في الخاتمة : بعد هذه الجولة الواسعة في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصــفهاني ، والوقوف عند أخباره ومناقشتها والتعليق عليها ، أرجو أن يكــون القرئ الكريم قد تبيَّن مقاصد هذا الشعوبي الحاقد اللئــيم ، وقــد غضضت وصرفت القلم عن أخبار فظيعة وحكايات شــــنيعة لا يكتبها أشدُّ الناس عداوة وبغضاً للعرب والمسلمين ، فقد اتّهم كثيراً من أعلامهم باللواطة ، وكريم نسائهم بالسحاق ، وألــصق بهــم السخائم من ذميم الخصال وقبيح الفعال ، متــستراً بظــلال الأدب والسمر والمذاكرة والمؤانسة ، كأن ذلك لا يحصل إلا بشتم ســلف هذه الأمة المجيدة في تاريخها وخُلُقها[2] .

- **وقال أنور الجندي** : ركز التغريب والغزو الثقافي على كتابي الأغاني وألف ليلة تركيزاً شديداً بهدف رفعهمــا إلى مرتبة المراجع الأساسية التي يعتمد عليها في تصوير المجتمــع الإسلامي ، مع تجاهل عيوب الكتابيين الــتي تحــول دون اعتمادها في المصادر الموثوق بها أما الأول ، فكاتبه شــعوبي عدو للإسلام وأما الثاني ، فهو كتاب لقيط ليس مؤلــف ، أما كتاب الأغاني ، فهو موسوعة في بضع وعشرين مجلداً ، وضعها أبو فرج الأصفهاني ليسامر بها الأمراء والفارغين من

---

[1] السيف اليماني صـ ١٠ ـ ١٣ .
[2] السيف اليماني صـ ٢٦٤ .

المترفين في أسمار الليل ، و لم يقصد بها إلى العلم أو التاريخ ، وكان الأصفهاني في نفسه إنساناً رافضاً لمجتمـــع المـــسلمين والعرب ، وله ولاء بالمولد والفكر جميعاً إلى خصوم المسلمين والباطنية والرافضة وغيرهم ، و لم يكن عمله هذا إلا نوعاً من الحرب العنيفة التي شنتها الشعوبية على الإسلام والمسلمين ، رغبة في هدم فكرهم كوسيلة إلى هدم مجتمعهم وقد حرص التغريب وأصحابه نظرية النقد الأدبي الغربي الوافـــدة علـــى إلقاء الأضواء الساطعة على هذا الكتاب وإحيائه ، واعتباره مرجعاً في الدراسات الأدبية ومـــصدراً لتـــصوير المجتمـــع الإسلامي ، وكان الدكتور طه حسين جزاه الله بما هـــــو أهله من أبرز من دعوا إلى ذلك وألحوا عليه ، فقد عمد إلى الأغاني نفسها ، فأصدر اعتماداً على قصصها أحكاماً زائفة على مجتمع المسلمين وتاريخهم أراد بها المـــساهمة في عمليـــة التغريب الضخمة والتي كانت تجري في الثلاثينيات من هذا القرن[١] وقال : على أن أقل مواجهـــة لـــسيرة الأصـــفهاني تكشف عن أنه كان من الشعوبيين ، وقد عرف بالتحايـــل والإغراق ، وأثبت كثير من الباحثين والمؤرخين أنه لم يكن مؤرخاً وأكدوا أن كتابه لا يصلح لأن يكون مادة تاريخ ، وإنما هو جماع لقصص وجدها في الكتب والأســـواق وأراد بها أن يسجل للأغاني والمغنيين ، وهو جانب واحد في حياة

[1] مؤلفات في الميزان صـ ١٠٠ ، كتب حذر العلماء منها (٣٨/٢) .

المجتمع الإسلامي الحافل بالجوانب السياسية والاجتماعية والفقهية والصوفية ، وقد شهد عليه الكثير من معاصريه ومؤرخيه بالإنحراف ودمغه المؤرخ اليوسفي بشهادة هي في نظر العلماء كمصدر موثوق به ، إذ قال : إن أبي الفرج أكذب الناس ، لأنه كان يدخل سوق الورقين وهي عدة من الدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشتري منها شيئاً كثيراً في الصحف ويحملها إلى بيته ، ثم تكون رواياته كلها منها[١] ، وذكر عنه صاحب معجم الأدباء قوله : كان شأنه في معاقرة الخمر ، وحب الغلمان ، ووصف النساء شأن الشعراء والأدباء الذين كانوا في عصره أو قبله ، حيث يقدم دهاقين الخمارين ، وجلهم من النصارى واليهود والصابئين والمجوس ، وقد عرف بمعاقرته للخمر ولم تكن له عناية بتنظيف جسمه وثيابه[٢] .. ثم قال أنور الجندي : ولست أدري كيف يصلح مثل هذا الكتاب مرجعاً في نظر الباحثين أو يمكن أن يؤتمن على رأي أو قول ، ولقد عودتنا مناهج الفكر الإسلامي أن تنظر إلى كاتبه ، فإن وجدناه كريماً أميناً موضع تقدير الناس بالصدق والحق ، قبلنا منه ، وإلا رفضنا ما يقدمه ولو كان صادقاً في بعضه[٣] ثم قال تحت عنوان ، كتاب مجنون وخلاعة ما نصه : فقد كان الأصفهاني مسرفاً

---

[1] كتب حذر العلماء منها (٢/٣٨) .
[2] معجم الأدباء (٥/١٥٣) .
[3] مؤلفات في الميزان صـ ١٠٠ إلى ١٠٣ .

، أشنع في الإسراف في الملذات والشهوات ، وقد كان لهذا الجانب في تكوينه الخلقي أثر ظاهر في كتابه ، فإن كتـــاب الأغاني أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون ، وهو حـــين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الـــضعيفة في أخلاقهم الشخصية ويهمل الجوانب الجدية إهمالاً ظاهراً يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبـــار الجـــد والرزانـــة والتجمل والاغتسال ، وهذه الناحية من الأصفهاني أفسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه ، ونظرة فيما كتبه جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ، وما كتبه طه حسين في حديث الأربعاء تكفي للاقتناع بأن الاعتمـــاد على كتاب الأغاني جر هذين الباحثين إلى الحط من أخلاق الجماهير في عصر الدولة العباسية ، وحملها على الحكم بأن ذلك العصر كان عصر فسق وشك ومجـــون ولا شـــك أن إكثار الأصفهاني من تتبع سقطات الشعراء وتلمس هفوات الكتاب جعل في كتابه جوّاً مشبعاً بأوزار الإثم ، والغواية ، وأذاع في الناس فكرة خاطئة هي اقتران العبقريـــة بـــالترف والطيش[١] . إن الخطر كل الخطر أن يطمئن الباحثون إلى أن لروايات الأغاني قيمة تاريخية ، وأن يبنوا على أساسها مـــا يثيرون من حقائق التاريخ ، ولقد كان من أخطـــر أعمـــال التغريب هو توجيه الباحثين إلى اتخاذ الأغاني مصدراً لدراسة

[1] المصدر نفسه صـ ١٠٠ إلى ١٠٣ نقلاً عن كتب حذر العلماء منها (٤٠/٢) .

المجتمع الإسلامي ، بينما قصر عند جانب واحد هو جانب اللهو ، ولم يتعرض للجوانب الأخرى الجادة في المجتمع وهي متعددة ، ومن هنا يوحي حين الاعتماد عليه كمصدر أن الحياة الإسلامية في القرن الثاني الهجري كانت لهواً ، وهو ما صرح به طه حسين ورده الكثيرون وكشفوا زيفه .. كذلك اعتمد المستشرق لامنس على كتاب الأغاني في كتابه تاريخ بني أمية ، وكذلك ما أورده المستشرق فلهوزن في كتابه ((الدولة العربية وسقوطها)) ويحاول جبور عبد النور أن يدافع عن الأصفهاني فيسأل : أفمن الضروري إن كان المؤرخ فاسقاً أو مسرفاً يتتبع الإسراف في اللذات والشهوات أن لا يكون مؤرخاً وألا يكون صادقاً فيما يروي أو يقول أو يكتب ؟ ونحن نقول له : نعم ، في فكرنا الإسلامي ، فإن لم يكن في الفكر الغربي كذلك ، فهذا أمر آخر ، إن فكرنا الإسلامي وضع قواعد البحث والنقد والعلم على أساس الارتباط الجذري بين علم الباحث وشخصيته ، فإن كان منحرفاً في حياته ، مضطرباً في شخصيته ، بعيداً عن الأخلاق والدين ، فنحن نرفضه مصدراً علمياً ولا نقبل له شهادة ، والأصفهاني بشهادة الجميع من أنصاره وخصومه على السواء مهدور الرأي ساقط الشهادة ، وإن فسقه الشخصي قد أدخل كثيراً من هواه على ما أورده ، فضلاً عن انحرافه الفكري والعقائدي والاجتماعي مما يفسد آراءه

إفساداً ، بالإضافة إلى أن كتاب الأغاني ليس مرجعاً علمياً ، ولكنه من كتب التسلية والسمر التي كتبت لتزجية فـــراغ بعض المترفين ، ومن هنا فإنه لا يصلح أساساً كمصدر للعلم أو مرجعاً للبحث في الأدب والتاريخ[1] . ولقد كـــان لهـــذا الكتاب أثر كبير في تشويه تاريخنا ولذلك وجب التحذير منه .

٢ ــ نهج البلاغة :

من الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب نهج البلاغة ، فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه ، فقد جمع بعد أمـــير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند ، وقد نسبت الشيعة الرافـــضة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصاً فيما يوافق بدعته فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج ؟ وأما المتهم ــ عند المحدثين ــ بوضع النهج فهو أخوه علي[2] ، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا :

- **قال ابن خلكان في ترجمة** الشريف المرتضى : وقـــد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل جمعه ؟ أم جمع أخيـــه الرضي ؟ وقد قيل : إنه ليس من كلام علي ، وإنما الـــذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه[3] والله أعلم .

---

[1] مؤلفات في الميزان صـ ١٠٠ إلى ١٠٣ .
[2] الأدب الإسلامي ، نايف معروف صـ ٥٣ .
[3] الوفيات (١٣٤/٣) .

✤ **وقال الذهبي** في ترجمة المُرتضى أبي طالب علي بن حسين بن موسى الموسوي المتوفى سنة ٤٣٦هـ : هو جامع كتاب نهج البلاغة المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي رضي الله عنه ، ولا أسانيد لذلك ، وبعضها باطل وفيه حق ، لكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها ، ولكن ، أين المنصف ؟ وقيل : بل جَمْعُ أخيه الشريف الرَّضي[1] وقال أيضاً : وفي تواليفه سبٌّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنعوذ بالله من علم لا ينفع[2] ، وقال أيضاً في ترجمته : وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة ، وله مشاركة قويّة في العلوم ، ومن طالع كتابه نهج البلاغة ، جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ، ففيه السّبُّ الصّراح والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة ، وبنفس غيرهم ممّن بعدهم من المتأخرين ، جزم بأن الكتاب أكثره باطل[3] .

✤ **وقال ابن تيمية** : .. وأيضاً ، فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب نهج البلاغة ، بذلك الكلام ، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح ، فلا هي صدق ولا هي مدح ، ومن قال : إن كلام علي وغيره من البشر فوق كلام

---

[1] كتب حذر منها العلماء (٢٥٠/٢) ، الميزان (٢٠٠/١) .

[2] سير أعلام النبلاء (٥٨٩/١٧ ، ٥٩٠) .

[3] ميزان الاعتدال (١٢٤/٣) ، لسان الميزان (٢٢٣/٤) .

المخلوق ، فقد أخطأ ، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم فوق كلامه ، وكلاهما مخلوق .. وأيضاً فالمعاني الصحيحة التي توجد في كلام عليّ موجودة في كلام غيره ، لكن صاحب نهج البلاغة وأمثاله أخذوا كثيراً من كلام الناس فجعلوه من كلام علي ، ومنه ما يُحكى عن عليّ أنه تكلَّم به ، ومنه ما هو كلام حقٌّ يليق به أن يتكلم به ، ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره ، ولهذا ، يوجد في كلام "البيان والتبيين" للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير عليّ ، وصاحب "نهج البلاغة" يجعله عن علي ، وهذه الخطب منقولة في كتاب نهج البلاغة لو كانت كلها عن علي من كلامه ، لكانت موجودة قبل هذا المصنَّف ، منقولة عن عليّ بالأسانيد وبغيرها ، فإذا عَرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيراً منها ((بل أكثرها)) لا يُعرف قبل هذا علم أن هذا كذب ، وإلا فليبيِّن الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك ، ومن الذي نقله عن عليّ ، وما أسناده ؟ وإلا فالدعوة المجردة لا يعجز عنها أحد ، ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد وتبيّن صدقها من كذبها ، عَلِم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن عليّ من أبعد الناس عن المنقولات ، والتمييز بين صدقها وكذبها[1] .

---

[1] منهاج السنة (٨/٥٥ ـ ٥٦) كتب حذر العلماء منها (٢/٢٥٦) .

- **وقال العلامة المقبلي** : أخرج البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال : اقضوا كما كنتم تقضون ، فإني أكره الخلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي . قال : وكان ابن سيرين يرى عامة ما يرون عن علي رضي الله عنه كذباً ، وصدق ابن سيرين رحمه الله ، فإن كل قلب سليم ، وعقل غير زائغ عن الطريق القويم ، ولب تدرب في مقاصد سالكي الصراط المستقيم ، يشهد بكذب كثير مما في نهج البلاغة الذي صار عند الشيعة عديل كتاب الله بمجرد الهوى الذي أصاب كل عرق منهم ومفصل ، وليتهم سلكوا مسلك جلاميد الناس ، وأوصلوا ذلك إلى علي برواية تسوغ عند الناس ، وجادلوا عن رواتها ، ولكن ، لم يبلغوا بها مصنفها[1] .

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظه القدامى والمحدثون على نهج البلاغة للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي :

- خلوّه من الأسانيد التوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه متناً ورواية وسنداً .
- كثرة الخطب وطولها ، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل ممّا يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين .
- رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير علي رضي الله عنه ، وصاحب النهج يثبتها له .

---

[1] العلم الشامخ صـ ٢٣٧ ، كتب حذر العلماء منها (٢/٢٥١) .

- اشتمال هذا الكتاب على أقـوال تتنـاول الخلفـاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهما ، وتنافي ما عُرف عنـه من توقيره لهما بالأسانيد الصحيحة ، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ"الشقشقية" التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة ، رغم ما شُهر عنه من التقشّف والزهد .
- شيوع السجع فيه ، إذ رأى عدد من الأدباء أن هـذه الكثرة لا تتّفق مع البعد عن التكلّف الذي عُرف به عـصر الإمام علي رضي الله عنه ، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكن بعيداً عن روحه ومبناه .
- الكلام المنمق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وَشْي العصر العباسي وزخرُفه ، مـا نجـد في وصـف الطاؤوس والخفّاش ، والنحل والنمل ، والزرع والسحاب وأمثالها .
- الصيغ الفلسفية والمقالات الكلاميـة الـتي وردت في ثناياه ، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالـث الهجري ، حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية ، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكـلام الصحابة والراشدين[1]

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة ومن أراد الاستفادة منه فعليـه أن يعـرض المـسائل

[1] الأدب الإسلامي صـ ٥٤ ، ٥٥ .

العقائدية وحديثه عن الصحابة والأحكام التي فيه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما وافق الكتاب والسنة ، فلا مانع من الاستئناس به وما خالف فلا يلتفت إليه .

لقد نقل صاحب كتاب الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي خطباً ورسائل وحوارات للحسن بن علي بن أبي طالب مع معاوية رضي الله عنه والمتعلقة بخلافته وعهده أكثرها لا يصح[1] ، واعتمد على مصادر ضعيفة واهية ، كالأغاني ونهج البلاغة وغيرها من الكتب التي لا يمكن لطالب علم يحترم الحقيقة العلمية والموضوعية والحيادية أن يعتمد عليها في البحث التاريخي الجاد الذي يراد به وجه الله تعالى .

المبحث الثاني : أهم صفاته وحياته في المجتمع :

أولاً أهم صفاته :

إن شخصية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه تعتبر شخصية قياديّة ، وقد اتصف رضي الله عنه بصفات القائد الرّباني ، فمن أهم هذه الصِّفات : إيمانه العظيم بالله واليوم الآخر ، والعلم الشرعيُّ ، والثقة بالله ، والقدوة ، والصِّدق ، والكفاءة ، والشَّجاعة ، والمروءة ، والزُّهد ، وحب التضحية ، والتّواضع ، وقبول النصيحة ، والحلم والصَّبر

[1] الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي صـ ٧٦ إلى ١٠٠ .

، وعلو الهمَّة ، والحزم ، والإدارة القويَّة ، والعدل ، والقدرة على حـــلِّ المشكلات ، وغير ذلك من الصِّفات ، وبسبب ما أودع الله فيــه مـــن صفات القيادة الربانية استطاع أن يقدم مشروعه الإصلاحي مع قدرتـــه على التنفيذ والتغلب على العوائق في الطريق وتوّجت جهـــوده الفـــذة بوحدة الأمة ومن أهم تلك الصِّفات التّي نحاول تسليط الأضواء عليهـــا هي :

١ ــ العلم :

تربى الحسن في بيت النبوة ، فتأثر بجده صلى الله عليه وسلم ووالدته السيدة فاطمة في طفولته واستفاد من والده العلم الغزير ، فقد اهتم به اهتماماً كبيراً ، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعلم الناس كتاب الله ومن بينهم أبنائه ومنهم أمير المؤمنين الحـــسن والحـــسين فتعلموا منه منهجه لبيان الحكم الشرعي وطريقته في الاستنباط والتي كانت ملامحها ، الالتزام بظاهر القرآن الكريم ، حمل المطلق علـــى المقيد ، وحمل المجمل على المفسر ، والعلم بالناســخ والمنــسوخ ، والنظر في لغة العرب ، وفهم النص بنص آخـــر ، والـــسؤال عـــن مشكله ، والعلم بمناسبة الآيات ، وتخصيص العام ، ومعرفة عادات العرب وأحوالهم ، وقوة الفهم وسعة الإدراك ، وكان القرآن الكريم لذلك الجيل ومنهم الحسن بن علي هو المنهج التربوي ومع هـــدي النبي صلى الله عليه وسلم فكانت للآيات القرآنية الكريمة التي سمعها من والده أمير المؤمنين علي أثرها في علمه وصياغة شخصيته ، فقد تطهر قلبه وزكت نفسه ، وتفاعلت معه روحه ، فأبـــصر الحقـــائق

الكبرى في عالم الوجود ، وكان من شيوخه الذين حفظ عليهم القرآن الكريم عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلُّمي ، مقري الكوفة وكان لأبيه صحبة روى عن علي رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان وقد أخذ القراءة عنه عاصم وعطاء والحسن والحسين رضي الله عنهم وكان يقرئ عشرين آية بالغداة وعشرين آية بالعشي وكان فقيهاً وتوفي في الكوفة في خلافة عبد الملك بن مروان وكان ثقة كثير الحديث[1] ، وعن عبد الله بن المبارك عن عطاء بن السائب قال : دخلنا على أبي عبد الرحمن السُّلمي ـــ وهو يقضي أي يترع في المسجد ، فقلنا له : لو تحولت إلى الفرش فإنه أوثر[2] . قال : حدثني فلان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاّه ينتظر الصلاة[3] ، وفي رواية ابن سعد : الملائكة تقول : اللهم اغفر له ، اللهم أرحمه . قال أبو عبد الرحمن السُّلمي : فأريد أن أموت وأنا في مسجدي[4] ، وكان منهجه رحمه الله في تعليم القرآن الكريم منهج الصحابة الكرام ، فعن أبي عبد الرحمن السُّلمي قال : حدّثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ـــ كعثمان بن عفّان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما : أنَّهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات ، لم يتجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم ، والعمل ، قالوا : فتعلَّمنا القرآن والعلم ، والعمل جميعاً ، ولهذا كانوا يبقون مدّة في حفظ

---

1 تهذيب التهذيب (١٨٣/٥ ـ ١٨٤) ، الطبقات (١٧٣/٢) .
2 أوثر : أوطأ .
3 كتاب الزهد ، رقم ٤٢٠ صـ ١٤١ ـ ١٤٢ .
4 الطبقات الكبر (١٧٤/٦/١٧٥) .

السُّورة[1] ، ويعتبر أبو عبد الرحمن السُّلمي شيخ الحسن بن علـــي في القرآن الكريم من أشهر تلاميذ عثمان بن عفان رضي الله عنه[2] وقد سار الحسن بن علي على نفس الطريقة في حفظ وفهـــم والعمـــل بالقرآن الكريم .

نظرة أمير المؤمنين الحسن لله والكون والحياة والجنة والنار :

قد عرف الحسن من خلال القرآن الكريم وتربية والـــده أمير المؤنين علي من هو الإله الـــذي يجـــب أن يعبـــده ، فأصبحت نظرة الحسن بن علـــي إلى الله عـــز وجـــل ـــ والكون ، والحياة ، والجنّة والنّار ، والقـــضاء والقـــدر ، وحقيقة الإنسان ، وصراعه مع الشيطان مستمدة مـــــن القرآن الكريم وهدي النبي صلى الله عليه وسلم .

- فالله سبحانه وتعالى منَّزهُ عن النقـــائص ، موصـــوف بالكمالات التي تتناهى فهو سبحانه واحد لا شريك له ، و لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .
- وأنَّه سبحانه حدّد مضمون هذه العبوديـــة ، وهـــذا التّوحيد في القرآن الكريم[3] .
- وأما نظرته للكون ، فقد استمدّها من قول الله تعالى :

((قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْـــأَرْضَ فِـــي يَـــوْمَيْنِ

---
[1] الفتاوى (١٧٧/١٣) .
[2] تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان صـ ٢٥ .
[3] منهج الرسول في غرس الروح الجهاديّة صـ ١٠ إلى ١٦ .

وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)) (فصلت ، آية : ٩ ـــ ١٢) .

وأما هذه الحياة مهما طالت ، فهي إلى زوال ، وأنّ متاعها مهما عظم ، فإنه قليل حقير ، قال تعالى : ((إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) (يونس ، آية : ٢٤) .

وأما نظرته إلى الجنة ، فقد استمدها من خلال الآيات الكريمة فأصبح هذا التصور مهيمناً على نفسه ، فيرى المتتبِّع لسيرة الحسن بن علي رضي الله عنه عمق استيعابه لفقه القدوم على الله عز وجل ، وشدّة خوفه من عذاب الله ، وعقابه وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمدَّه من كتاب الله ، وتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم له ، فقد رسخ

مفهوم القضاء والقدر في قلبه كما قال تعالى : ((**قُــلْ لَــنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّــلِ الْمُؤْمِنُونَ**)) (التوبة ، آية ٥١) .

- وعرف الحسن بن علي رضي الله عنه من خلال القرآن الكريم حقيقة الصِّراع بين الإنسان والــشيطان ، وأن هــذا العدوّ يأتي للإنسان من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله يوسوس له بالمعصية ، ويــستثير فيــه كــوامن الشهوات ، فكان مستعيناً بالله على عدوِّه إبليس وانتــصر عليه في حياته .
- وتعلّم من خطيئة آدم ضرورة توكُّل المسلم على ربِّه ، وأهمية التوبة ، والاستغفار في حيــاة المــؤمن ، وضــرورة الاحتراز من الحسد ، والكبر ، وأهمية التخاطــب بأحــسن الكلام مع الصَّحابة لقول الله تعالى : ((**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا**)) (الاسراء ، آية : ٥٣) .

لقد أكرم المولى ــ عز وجل ــ الحسن بن علي رضــي الله عنه بالعيش مع القرآن الكريم ، فعاش به ، واستمد أصوله ، وفروعه من كتاب الله ، وهــدي رســول الله صلى الله عليه وسلم وأصبح من أئمة الهــدى ، الــذين يرسمون للنَّاس خطَّ سيرهم ، ويتأسَّى النَّاس بــأقوالهم ، وأفعالهم في هذه الحياة ، وكان رضي الله عنه من أهــل

القرآن ولذلك **كانت خطبه بالقرآن الكريم فقد روي عنه رضي الله عنه بأنه خطب يوم الجمعة فقرأ ســورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها**[1] وقد كان من هــدي الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قرأ ســورة ق حــتى ختمها ،. فقد روى مسلم عن أم هشام بنــت حارثــة قالت : ما أخذت "ق ، والقرآن المجيد" إلا من لــسان رسول الله يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطــب الناس[2] ، وروى عن ابن ماجة عن أبي بن كعب قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة "تبارك" وهو قائم ، فذكرنا بأيام الله ، وأبو الدرداء أو أبــو ذر يغمزني فقال : متى أنزلت هذه السورة ؟ فإني لم أسمعها إلى الآن ، فأشار إليه أن سكت[3] ، ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان هدي النبي صلى الله عليه وســلم في خطبته : كان النبي صلى الله عليه وسلم كــثيراً مــا يخطب بالقرآن[4] ، ولذلك كان الحسن بن علي رضــي الله عنه يوجِّه الناس بآيات القرآن الكريم ويتلوها عليهم ، ملتزماً بالمنهج النبوي في قراءته للقرآن بإتقان وتركيز وتدبر وخشوع ، وتحسين للصوت ، فتهتز لها القلــوب وتذرف لها الدموع . وإذا حاولنا أن نتأمل في ســورة

---

[1] الطبقات ، تحقيق السُّلمي (٢٧٨/١) إسناده ضعيف .
[2] مسلم رقم ٨٧٣ .
[3] سنن ابن ماجة رقم ١١١١ إسناده حسن .
[4] زاد المعاد (٤٣/١) .

إبراهيم عليه السلام التي قرأها على المنبر كاملة نلاحظ بأن أهم مواضيعها هي :

ــ إثبات أصول العقيدة من الإيمان بالله وبالرسل وبالبعث والجــزاء وإقرار التوحيد ، والتعريف بالإله الحق خالق السَّماوات والأرض ، وبيان الهدف من إنزال القرآن الكريم ، وهو إخراج النــاس مــن الظلمات إلى النُّور ، واتَّحاد مهمة الرُّسل ودعــوتهم في أصــول الاعتقاد والفضائل وعبادة الله والإنقاذ من الضلال .

ــ الوعد والوعيد : ذمَّ الكافرين ووعيدهم على كفرهم وتهديدهم بالعذاب الشديد ، ووعد المؤمنين على أعمالهم الطِّيِّبة بالجنان (الآية ٢ ، والآية ٢٣ ، والآيات ٢٨ ــ ٣١) .

ــ الحديث عن إرسال الرُّسل بلغات أقوامهم ، لتــسهيل البيــان والتفاهم (الآية : ٤) .

ــ تسلية الرّسول صلى الله عليه وسلم ببيان مــا حــدث للرُّســل السابقين مع أقوامهم : قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، والتذكير بعقابهم ، كما في الآيات (٩ ــ ١٢) والآيات (١٣ ــ ١٨) .

ــ ابتداء من بين قصص بعض الأنبياء المتقــدمين علــيهم الــسّلام بمحاورة موسى لقومه ودعوته إيَّاهم لعبادة الله تعالى (الآيات ٥ ــ ٨) .

ـــ ابتداء من بين قصص بعض الأنبياء المتقـــدمين علـــيهم الـــسّلام بمحاورة موسى لقومه ودعوته إيَّاهم لعبادة الله تعالى (الآيات ٥ ـــ ٨) .

ـــ دعوات إبراهيم عليه السَّلام بعد بناء البيت الحرام لأهـــل مكـــة بالأمان والرّزق وتعلُّق القلوب بالبيت الحرام ، وتجنيبه وذريَّته عبادة الأصنام ، وشكره ربه على ما وهبه مـــن الأولاد بعـــد الكـــبر ، وتوفيقه وذريّته لإقامة الصَّلاة ، وطلبه المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين (الآيات ٣٥ ـــ ٤١) .

ـــ بيان مشهد من مشاهد الحوار بين أهل النار في عـــالم الآخـــرة (الآيات ١٩ ـــ ٢٣) .

ـــ ضرب الأمثال لكلمة الحق والإيمان وكلمة الباطـــل والـــضَّلال بالشجرة الطيبة والشَّجرة الخبيثة (الآيات ٢٤ ـــ ٢٧) .

ـــ التذكير بأهوال القيامة وتهديد الظالمين وبيـــان ألـــوان عـــذابهم (الآيات : ٤٢ ـــ ٥٢) .

ـــ بيان الحكمة من تأخير العذاب ليوم القيامة ، وهو ما ختمت به السورة[1] (الآيات : ٥١ ـــ ٥٢) .

هذه أهم المواضيع التي اشتملت عليها سورة إبراهيم عليه الـــسلام والتي خطب بها الحسن بن علي رضي الله عنه على المنـــبر لخطبـــة الجمعة ، **كما كان الحسن بن علي رضي الله عنـــه إذا أوى إلى فراشه قرأ سورة الكهف** ، وقد استهلت السورة ببيـــان وصـــف

[1] التفسير المنير (١٣/١٩٨ ، ١٩٩) .

القرآن بأنه قيم مستقيم لا اختلاف فيه ولا تناقض في لفظه ومعناه ، وأنه جاء للتبشير ثم لفت النظر إلى ما في الأرض من زينة وجمال وعجائب تدل دلالة واضحة على قــدرة الله تعــالى ، وتحــدثت السورة عن ثلاث قصص من روائع قصص القرآن الكريم وهــي قصة أصحاب الكهف ، وقصة موسى مع الخــضر ، وقــصة ذي القرنين ، أما قصة سورة الكهف (٩ ــ ٢٦) فهي مثال عــالٍ ، ورمز سام للتضحية بالوطن والأهل والأقارب والأصدقاء والأموال في سبيل العقيدة الصحيحة وإتباع الهدى ، فقد فرّ هؤلاء الشباب الفتية المؤمنون بدينهم من بطش الملك الوثني واحتموا في غــار في الجبل ، فأنامهم الله ثلاثة مائة وتسع سنين سنة قمرية ، ثم بعــثهم ليقيم دليلاً حسياً للناس على قدرته على البعث واتبــع الله تعــالى القصة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتواضع ومجالسة الفقــراء المؤمنين وعدم الفرار إلى مجالسة الأغنياء لــدعوتهم إلى الــدين : ((وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ)) (الكهــف ، الآيــة : ٢٨) . ثم هدد الله تعالى الكفار بعد إظهار الحق ، وذكر ما أعده لهم من العذاب الشديد في الآخرة ((وَقُلِ الْحَــقُّ مِــنْ رَبِّكُــمْ)) (الكهف ، الآية : ٢٩) وقارن ذلك بما أعده سبحانه من جنــات عدن للمؤمنين الصالحين (٣٠ ــ ٣١) .

وأما قصة موسى مع الخضر في الآيات (٦٠ ــ ٧٨) فكانت مثلاً للعلماء في التواضع أثناء طلب العلم ، وأنه قد يكون عند العبــد الصالح من العلوم في غير أصول الدين وفروعه ما ليس عند الأنبياء

، بدليل قصة خرق السفينة ، وحادثة قتل الغلام ، وبناء الجـــدار ، وأما قصة ذي القرنين في الآيات (٨٣ ــ ٩٩) فهي عبرة للحكام والسلاطين ، إذ أن هذا الملك تمكن من السيطرة علـــى العـــالم ، ومشارق الأرض ومغاربها ، وبنائه السد العظيم بسبب ما اتـــصف به من التقوى والعدل والصلاح . وتخللت هذه القصة أمثلة ثلاثـــة بارزة رائعة مستمدة من الواقع ، لإظهار أن الحق لا يقترن بالسلطة والغنى ، وإنما يرتبط بالإيمان ، وأول هذه الأمثلة قصة أصـــحاب الجنتين (٣٢ ــ ٤٤) للمقارنة بين الغني المغتر بماله ، والفقير المعتز بإيمانه ، لبيان حال فقراء المؤمنين وحال أغنياء المشركين . وثانيها : مثل الحياة الدنيا (٤٥ ــ ٤٦) لإنذار الناس بفنائهـــا وزوالهـــا . وأردف ذلك بإيراد بعض مشاهد القيامة الرهيبة من تسيير الجبال ، وحشر الناس في صعيد واحد ، ومفجأة الناس بصحائف أعمـــالهم (٤٧ ــ ٤٩) وثالثها : قصة إبليس وإبائه السجود لآدم (٥٠ ــ ٥٣) للموازنة بين التكبر والغرور ، وما أدى إليه من طرد وحرمان وتحذير الناس من شر الشيطان ، وبين العبودية لله والتواضع ، وما حقق من رضوان الله تعالى ، وأردف ذلك بيان عنايـــة القـــرآن بضرب الأمثال للناس للعظة والذكر وإيضاح مهام الرسل للتبشير والإنذار والتحذير من الأعراض عـــن آيـــات الله (٥٤ ــ ٥٧) وختمت السورة بموضوعات ثلاثة : أولها ــ إعلان تبديد أعمـــال الكفار وضياع ثمرها في الآخرة (١٠٠ ــ ١٠٦) وثانيها ــ تبشير المؤمنين الذين عملوا الصالحات بالنعيم الأبـــدي (١٠٧ ــ ١٠٨)

وثالثها ــ أن علم الله تعالى لا يحده حدود ولا نهاية[1] (١٠٩ ــ ١١٠) وكانت آخر آية في السورة وبعدما بين المولى عز وجل كمال كلامه ، أمر تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بالتواضع فقال ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)) (الكهف ، آية : ١١٠) أي قل يا محمد لهم : ما أنا إلا بشر مثلكم في البشرية ، ليس لي صفة الملَكية أو الألوهية ، ولا علم لي إلا ما علمني الله ، إلا أن الله تعالى أوحى إلي أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد ، فلا شريك له في ألوهيته ، فمعبودكم الذي يجب أن تعبدوه هو معبود واحد لا شريك له ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)) أي فمن آمن بلقاء الله ، وطمع في ثواب الله على طاعته ، فليتقرب إليه بصالح الأعمال ، وليخلص له العبادة ، وليجتنب الشرك بعبادة الله أحداً من مخلوقاته ، سواء أكان شركاً ظاهراً كعبادة الأوثان أو إدعاء غير الله تعالى أو النذر للمخلوقين أو اعتقاد أن الخلق ينفعون أو يغيرون بما لا يقدر عليه إلا الله أو صرف أنواع العبودية من خوف أو رجاء أو حب لغير الله مما لا ينبغي إلا لله ، أم شركاً خفياً كفعل شئ رياء أو سمعة وشهرة[2] ، والرياء هو الشرك الأصغر

[1] التفسير المنير (١٦/ ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩) .
[2] التفسير المنير (١٦/٤٣) .

، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك الأصغر يا رســـول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله يوم القيامة إذا جزي النـــاس بأعمـــالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا ، فانظروا هـــل تجـــدون عندهم جزاء[1] وقد جمعت الآية الكريمة شرطي قبول الأعمـــال ، إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله : ((**فَلْيَعْمَلْ عَمَلًـــا صَالِحًا**)) **والإخلاص لله وهو قوله : ((وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَـــادَةِ رَبِّـــهِ أَحَدًا))** .

إن هذه المعاني الكريمة والآيات العزيزة كان الحسن بن علي يقرأها كل يوم بتمعن وتدبر ، فكانت لها تأثيرها على نفسه وفي حياته ، كما كان للحسن بن علي رضي الله عنه اهتمام بالسيرة النبويـــة الشريفة ، فقد كانت من ثقافة ذلك الجيل تعلم السيرة النبويـــة ، فقد قال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص : كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدها علينا ويقول هـــذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها[2] وقال علي بن الحسن : كنا نُعلم مغازي رسول الله كما نعلم السورة من القرآن[3] ، وأمـــا الـــسنة النبوية ، فقد كان والده أمير المؤمنين علي أكثر الخلفاء الراشـــدين رواية لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا راجع إلى تأخر وفاته عن بقية الخلفاء ، وكثرة الرواة عنه ، وانتشار طلبـــة

[1] مسند أحمد (٥/٤٢٨ ـ ٤٢٩) إسناده حسن .
[2] البداية والنهاية (٢/٢٤٢) .
[3] المصدر نفسه ، السيرة النبوية للصَّلاَّبيِّ (١/٦) .

العلم من التابعين الذين كانوا يكثرون السؤال ، ووقوع الأحاديث التي تقتضي البلاغ والرواية ، في أمور أخرى فنقلوا عنه ما بلغهم بأمانه ونزاهة وقد استفاد منه ابنه الحسن استفادة عظيمة أما من جده صلى الله عليه وسلم فقد توفي صلى الله عليه وسلم ، والحسن صغير كما هو معلوم ، فعقل عن رسول الله أحاديث وأموراً ذكرها منسوبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد بينتها فيما مضى . وكان الحسن رضي الله عنه يحث أولاده على طلب العلم ، فقد دعا بنيه وبني أخيه فقال : يا بنيَّ وبني أخي إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين فتعلّموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته[1] ، وكان رضي الله عنه خطيباً مفوهاً ، فقد قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للحسن ذات يوم : قم فاخطب الناس يا حسن . قال : إني أهابك أن أخطب وأنا أراك فتغيب عنه حيث يسمع كلامه ولا يراه ، فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه وتكلم[2] ، ثم نزل فقال علي : ((**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)) (آل عمران ، آية : ٣٤) . وقد ورث الحسن من جده صلى الله عليه وسلم ووالده رضي الله عنهم الخطابة والفصاحة والبلاغة وقوة البيان ، وقد ذكرت كتب التاريخ : أن علياً رضي الله عنه سأل ابنه ــ يعني الحسن ــ عن أشياء عن المُروءة ، فقال : يا بُنيّ ما السَّدادُ ؟ قال : يا أبتِ السَّدادُ

---

[1] الطبقات (٢٩٢/١) إسناده حسن تحقيق السُّلمي .
[2] الطبقات (٢٧٦/١) إسناده ضعيف مرسل .

دفع المنكر بالمعروف . قال : فما الشرف ؟ قال : اصطناع العشيرة وحمل الجريرة . قال : فما المروءة ؟ قال : العفاف وإصلاح المــرءِ مالَه . قال : فما الدِّقَّةُ[1] ؟ قال : النظر في اليسير ومنع الحقير[2] . قال : فما اللُّؤْم ؟ قال : إحراز المرءِ نفسه وبذله يحْرسَه قـــال : فمـــا السماحة ؟ قال : البذل في العسر واليسر . قال : فما الشُّح ؟ قال : أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً . قال : فما الإخاء ؟ قال : الوفاء في الشدة والرخاء . قال : فما الجُبن ؟ قال : الجـــرأة على الصديق والنّكول على العدو . قال : فما الغنيمـــة ؟ قـــال : الرغبة في التقوى ، والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ ومَلْكُ النفس . قال فما الغنى ؟ قـــال : رضا النفس بما قسم الله لها وإن قلَّ ، فإنما الغنى غنى النفس قـــال : فما الفقر ؟ قال : شره النفس في كل شئ . قال : فمـــا الـــذلُّ ؟ قال : الفزع عند المصدوقة[3] . قال فما الجرأة ؟ قـــال : موافقـــة الأقران . قال فما الكُلْفة ؟ قال : كلامك فيما لا يَعْنيك . قال : فما المجد ؟ قال : أن تعطي في الغُرم وأن تعفو عن الجُرم . قال فما العقل ؟ قال : قال : حفظ القلب كلَّ ما استرعيته . قال : فمـــا الخُرقُ[4] ؟ قال : معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك . قال : فما الثناء . قال : إتيان الجميل وترك القبيح . قال : فما الحزم ؟ قال : طول الأناة والرفق بالولاة ، والاحتراس من الناس بسوء الظن هو

---

[1] الدقة : الحقارة النهاية (١٢٧/٢) .
[2] الحقير هنا : الشئ اليسير .
[3] المصدوقة : الحملة الصادقة ليس لها مكذوبة .
[4] الخرق : الجهل والحمق .

الحزم . قال فما الشَّرف ؟ قال : قال : موافقة الأخوان ، وحفظ الجيران قال : فما السَّفَهُ ؟ قال اتباعُ الدُّناة ، ومصاحبة الغُــواة . قال : فما الغفلة ؟ قال : تركُك المسجد وطاعتك المفسد . قـــال فما الحرمان ؟ قال : تركك حظَّك وقد عُرض عليك . قال : فما السَّيِدُ ؟ قال : الأحمق في المال ، المتهاون بعرضه ، يُشْتَمُ فلا يجيب ، المحتزن بأمر العشيرة[1] هو السيد . ثم قال عليٌّ : يا بــني سمعــت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا فقر أشد من الجهـــل ، ولا مال أعود من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجـــب ، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة ، ولا عقل كالتـــدبير ، ولا حـــسب كحسن الخلق ، ولا ورع كالكفِّ ، ولا عبادة كـــالتفكر ، ولا إيمان كالحياء ، ورأس الإيمان الصبر ، وآفة الحديـــث الكـــذب ، وآفة العلم النسيان ، وآفة الحلم السفه ، وآفة العبادة الفترة ، وآفة الظَّرف الصَّلف ، وآفة الشجاعة البغي ، وآفة الـــسماحة المـــن ، وآفة الجمال الخيلاء وآفة الحبِّ الفخر . ثم قال علي : يا بُنيَّ ، لا تستخفَّنَّ برجل تراه أبداً فإن كان أكبر منك فعُدَّ أنه أبـــوك ، وإن كـــان مثلك فهو أخوك ، وإن كان أصغر منك ، فاحسب أنـــه ابنك . فهذا ما ساءل عليٌّ ابنه عن أشياء من المروءة . قال القاضي أبو الفرج . ففي هذا الخبر من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه وحفظه ووعاه ، وعمل به ، وأدّب نفسه بالعمل عليه ، وهذبها بالرجوع إليه ، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده ، وفيما رواه

[1] المتحزن بأمر العشيرة : المهتم بأمرهم .

أمير المؤمنين وأضعافه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ما لا غنى لكل لبيب عليم ومدره[1] حكيم عن حفظه وتأمُّله ، والمسعود من هُدى لتقبُّله والمجدود[2] من وفق لامتثاله وتقبله[3] . وقد علق ابن كثير على هذا الأثر فقال : ولكنَّ هذا الأثر وما فيه من الحـــديث المرفـــوع ضعيف ومثل هذه الألفاظ في عبارتها ما يدل ما في بعـــضها مـــن النّكارة على أنه ليس بمحفوظ والله أعلم[4] . وما دامت الأمور التي ذكرتها مع الكتاب والسنة لا تتعارض ولا تبنى عليهـــا عقيـــدة أو عبادة وإنما تدعو إلى مكارم الأخلاق ، فلا مانع من الاستئناس بها . وقد سأل أمير المؤمنين علي ابنه الحسن كم بين الإيمان واليقين ؟ فقال الحسن رضي الله عنه : أربع أصابع . فقال أمير المؤمنين علي وكيف ؟ فقال الحسن : الإيمان كل ما سمعته أذناك وصدقه قلبك . واليقين ما رأته عيناك ، فأيقن به قلبك وليس بين العين والأذن إلا أربع أصابع[5] . ومن أقواله : حسن السؤال نصف العلم[6] ، وسئل عن الصمت فقال : هو ستر العين أو زين العرض وفاعله في راحة وجليسه في أمان[7] ، ومن علمه أنه أوصى بتعلم اللغـــة العربيـــة[8] وتأكيده على تعلم اللغة العربية تأكيد على ضرورة تطبيق القواعد العلمية في القراءة وخاصة قراءة الآيات القرآنية ، لأن اللغة العربية

1 المدرة : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم .
2 المجدود : المحظوظ .
3 البداية والنهاية (٢٠٢/١١) .
4 المصدر نفسه (٢٠٢/١١) الطبراني الكبير ، حديث موضوع .
5 التبيين في أنساب القرشيين صـ ١٢٧ .
6 نور الأبصار للشبلنجي صـ ١٢٢ ، الحسن بن علي رسالة ماجستير صـ ٣٨ .
7 من أقوال الصحابة صـ ٦٧ نقلاً عن الحسن بن علي رسالة ماجستير صـ ٣٨ .
8 مفتاح السعادة ، أحمد مصطفى (٨٢/٢) نقلاً عن الحسن بن علي .

هي اللغة التي أنزل الله بها القرآن كتابة ولفظاً وخاطب بها شـــرائع دينه وفرائض ملته وبها بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم رســـالته وعلم بها سننه النبوية الشريفة المطهرة وبها ألفت الكتـــب الدينيـــة والكتب العلمية وكتب الحكمة . فـــلا بد للناشئ من تعلمهـــا ، وإلا كان جاهلاً بالدين منقوصاً في العلم ، إضافة إلى ما تمتاز بـــه هذه اللغة من الفصاحة والبيان والطلاوة على اللسان والحلاوة في الإسماع والآذان[1] . ومن الأمور التي تؤكد تمكن الحسن بن علي من اللغة العربية ، فقد كان يعد من فصحاء العرب ، فقد قال عمـــرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن بن علي رضي الله عنهما[2] ، وقد كان للحسن بن علي تلاميذ نجباء منهم ابنه الحسن ، والمسيب بن نجبة ، وسويد بن غفلة ، والعلاء بن عبد الرحمن ، والـــشعبي ، وهبيرة بن يريم والأصبغ بن نباته ، وجابر بـــن خالـــد ، وأبـــو الحوراء ، وعيسى بن مأمون بن زرارة ويقال ابن المأموم وأبو يحي عمير بن سعيد النّخعي ، وأبو مريم قيس الثقفي ، وطحرب العجلي ، وإسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق وسفيان بن الليـــل ، وعمر بن قيس الكوفيون[3] . ويظهر غزارة علمه ، ودقة فقهـــه في علم المصالح والمفاسد ، ومعرفته العميقة بمقاصد الشريعة في تقديمه وحدة الأمة وحفظ الدماء على المصلحة الخاصة من ملك الـــدنيا عندما تنازل لمعاوية .

[1] نصيحة الملوك صـ ٣٥٠ للماوردي .
[2] الكامل في التاريخ (١٣٢/٤) نقلاً عن .
[3] تاريخ دمشق (٥/١٤) .

٢ ـــ عبادته :

كان الحسن بن علي رضي الله عنه من المجتهدين في العبادة ومـــارس مفهوم العبادة الشامل في حياته ، فقد رضع لبان العبادة مع ما رضعه من معدن النبوة ، وتربية الزهراء التي جاءت إلى أبيها عليه الـــصلاة والسلام لتطلب خادماً ، فدلها على ما هو أفضل من ذلك ألا وهـــو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، وقال لها ولزوجها في الليـــل وهما في الفراش : ألا تقومان تصليان؟ فأطل على الحيـــاة في بيـــت الزهد والعبادة ، والورع والتقى ، والحلم والصبر ، وانغمس في هذه المفاهيم والمثل والمبادئ حتى غدا مثالاً من مثلها ، ومثالاً بها يضرب ، يشهد له بذلك معاصروه من الصحابة الأبرار .

ـــ ومن عاشره من الأخيار ، فقد كان عابداً بمعرفة ، مقبلاً على الله بيقين ، مدبراً عن الدنيا وشـــواغلها برضـــى واطمئنان ، ولهذا كان إذا توضأ وفرغ من الوضوء تغير لونه ، فقيل له في ذلك فقال : حق من أراد أن يدخل علـــى ذي العرش أن يتغير لونه[١] ، وقد ذكر ابن سعد قوله : ما رأيت أخوف من الحسن بن علي وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما[٢] ، فكلما اقترب العبد من مولاه ، وتعرف على أسمائه وصفاته ، ونعوت كماله ، ازدادت هيبتـــه وإجلالـــه وخوفه منه فهو سبحانه وتعالى يداول الأيام بين الناس قـــال

---

1 وفيات الأعيان (٦٩/٢) .

2 الطبقات الكبرى (٣٩٨/٥) .

تعالى : ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (آل عمران ، آية : ٢٦) . يقلب الدول ، فيذهب بدولة ، ويأتي بأخرى والرسل من الملائكة ـــ عليهم السلام ـــ بين صاعد إليه بالأمر ، ونازل من عنده به ، وأوامره متعاقبة على تعاقب الآيات ، نافذة بحسب إرادته ، فما شاء كان كما يشاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تقدم ولا تأخر ، وأمره وسلطانه نافذ في السماوات وأقطارها ، وفي الأرض وما عليها وفي البحار ، وفي الجو وفي سائر أجزاء العالم وذراته ، يقلبها ، ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء[1] ، قال تعالى : ((يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)) (السجدة ، آية : ٥) . فهو سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات ، ولا في قرار البحار ، ولا تحت أطباق الجبال ، قال تعالى : ((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)) (الأنعام ، آية : ٥٩) ، فاستشعار عظمة الله وجلاله ، ومعرفة أسمائه وصفاته تولد

[1] الإيمان أولا فكيف نبدأ به ، مجدي الهلالي صـ

عند العبد خشية وخوفاً ومهابة من هذا الإله العظيم الـــذي يخضع له كل شئ[1] ((**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَـــنْ فِـــي الـــسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**)) (الرعد ، آية : ١٥) .

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه إذا صَلَّى الغَداةَ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وســــلم يجلــس في مصلاَّه يذكر الله حتى ترتفع الشمس ، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدّثون عنده ، ثم يقوم فيــدخل علــى أمهات المؤمنين فيُسلِّم عليهن ، وربما أتحفنه ، ثم ينصرف إلى مترله[2] .

إن من السعداء الذين تصلِّي عليهم الملائكة أولئك الذين يجلسون بعد أداء الصلاة في مصلاَّهم ، ومما يدل علــى ذلك ما يلي : روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الملائكة تصلِّي على أحدكم ما دام في مصلاَّه الذي صلّى فيه ، ما لم يحدث[3] . اللهم أغفر له ، اللـــهم أرحمـــه[4] ، وإن جلس ينتظر الصلاة صلّت عليه الملائكة ، وصلاقم عليه : اللهم أغفر له ، اللهم أرحمه[5] . وروى الإمام أحمد عن

---

[1] المصدر نفسه صـ ٧٦ .
[2] البداية والنهاية (١٩٣/١١ ، ١٩٤) .
[3] أي : حدثاً حقيقاً ، أي : ما لم يبطل وضوءه .
[4] مسند أحمد رقم ٨١٠٦ صححه أحمد شاكر .
[5] مسند أحمد رقم ١٢١٨ حسنه أحمد شاكر .

عطاء بن السائب قال : دخلت على أبي عبد الـرحمن السلمي ، وقد صلّى الفجر ، وهو جالس ، فقلت : لو قمت إلى فراشك كان أوطأ لك . فقال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صلّى الفجر ثم جلس في مُصلاّه صلت عليه الملائكة ، وصلاتهم عليه : اللهمَّ أغفر له ، اللهم أرحمه . ومن ينتظر الصلاة صلّت عليه الملائكة ، وصلاتهم عليه : اللهم أغفر له ، اللهم أرحمه[1] . وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : هل المكوث في المترل بعد صلاة الفجر لقراءة القرآن حتى تطلع الشمس ، ثم يصلّي ركعتي الشروق ، له نفس الأجر الذي يحصل بالمكوث في المسجد ؟ فأجاب : هذا العمل فيه خير كثير وأجر عظيم ، لكن ظاهر الأحاديث الواردة في ذلك أنه لا يحصل له نفس الأجر الذي وعد به إلا من جلس في مصلاّه في المسجد ، لكن لو صلّى في بيته صلاة الفجر لمرض أو خوف ، ثم جلس في مصلاّه ، يذكر الله أو يقرأ القرآن حتى ترتفع الشمس ، ثم يصلي ركعتين فإنه يحصل له ما ورد في الأحاديث لكونه معذوراً حين صلّى في بيته ، وهكذا المرأة إذا جلست في مصلاّها بعد صلاة الفجر تذكر الله أو تقرأ

[1] مسند أحمد (٣٠٥/٢ ـ ٣٠٦) حسّن إسناده أحمد شاكر .

القرآن حتى ترتفع الشمس ، ثم تصلي ركعتين فإنه يحصل لها ذلك الأجر الذي جاءت به الأحاديث[1] . إن الحسن بن علي رضي الله عنه يعلمنا أهمية الذكر في البكور ، ويرغبنا في ترك النوم في ذلك الوقت من خلال سيرته الربانية ولقد تحدث ابن القيم عن أهمية الذكر في البكور فقال : ومن المكروه عندهم : النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، فإنه وقت غنيمة ، وللسير في ذلك الوقت عند السالكين مزية عظيمة حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالقعود ذلك الوقت حتى تطلع الشمس ، فإنه أول النهار ومفتاحه ، ووقت نزول الأرزاق ، وحصول القسم ، وحلول البركة ، ومنه ينشأ النهار ، وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة ، فيجب أن يكون نومها كنوم المضطر[2] ، ولشرف هذا الوقت ، ولأهميته في السير إلى الله ، نجد الترغيب الشديد في إحيائه بالذكر ، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى الفجر في جماعة ، ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة[3] . قال ابن رجب : لما كان الحج

---

1 مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة ، ابن باز (١١/٤٠٣ـ ٤٠٤) .

2 تهذيب مدارج السالكين صـ ٢٤٨ .

3 سنن الترمذي وقال الترمذي حديث حسن صحيح رقم ٥٨٦ .

من أفضل الأعمال والنفوس تتوق إليه لما وضـــع الله في القلوب من الحنين إلى ذلك البيت المعظم وكان كثيراً من الناس يعجز عنه ولا سيما كل عام ، شرع الله لعبـــاده أعمالاً يبلغ أجرها أجر الحج ، فيتعوض بذلك العاجزون في التطوع[1] .

ويقول الأستاذ البنا : أيها الأخ العزيز ، أمامك كل يوم لحظة بالغداة ، ولحظة بالعشي ، ولحظـــة في الـــسحر ، تستطيع أن تسمو فيها كلها بروحك الطهور إلى المـــلأ الأعلى ، فتظفر بخير الدنيا والآخرة وأمامـــك مواســـم الطاعات ، وأيام العبادات ، وليالي القربات التي وجهك إليهـــا كتابك الكريم ، ورسولك العظيم ، فأحرص أن تكون فيها من الذاكرين لا من الغافلين ومن العاملين لا من الخاملين ، واغتنم الوقت ، فالوقت كالسيف ، ودع التسويف فلا أضر منه[2] .

✤ **وكان الحسن بن علي رضي الله عنه** يقول إذا طلعت الشمس: سمع سامع بحمد الله الأعظم لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، سمع سامع بحمـــد الله الأمجد لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شـــئ قدير[3] ، وقد لازم الحسن بن علي ما ثبت عن رسول الله من

---

[1] لطائف المعارف صـ ٣٥١ ، البدر في الحث على صلاة الفجر الدكتور عماد علي صـ ٨٦ .
[2] الرقائق صـ ١٨ نقلاً عن مجلة مجلة الدعوى العدد ٨ سنة ١٩٥١ ، الإيمان أولاً صـ ٢٤٨ .
[3] الطبقات (٢٩١/١) تحقيق السلمي إسناده صحيح .

أوراد وأذكار وأدعية ، وكان يحث الناس على الصلوات في المساجد وكان يقول من أدمن الاختلاف إلى المساجد رزقه الله احدى خصال : أخاً مستفاداً ورحمة مستترة له أو علماً مستطرفاً أو كلمة تدل على هدى أو يترك الذنوب خشية أو حياء[١] ، وكان رضي الله عنه من أهل القيام ، فقد كان رضي الله عنه يأخذ نصيبه من القيام في أول الليل وكان الحسين رضي الله عنه يأخذه من آخر الليل[٢] ، فقيام الليل من الوسائل المهمة في إيقاظ الإيمان ، جربها الصالحون فوجدوا لها أبلغ الأثر في إحياء القلوب ، وقال ابن الحاج في المدخل : وفي قيام الليل من الفوائد جملة ، فمنها : أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة ، ومنها أنه ينور القلب ، ومنها أن موضعه تراه الملائكة من السماء يتراءى مثل الكوكب الدري لأهل الأرض ، ونفحه من نفحات قيام الليل تعود على صاحبها بالبركات والأنوار والتحف التي يعجز عنها الوصف[٣]

إن قيام الليل شرف المؤمن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف المؤمن صلاته بالليل ، وعزه استغناؤه عما في أيد الناس[٤] ، ومهما كثرت دعاوي المحبة طولب أصحابها بالدليل ، وشهدت عليهم ساعات الليل ،

---

[1] عيون الأخبار (٥/٣) الحسن بن علي صـ ٢٧ .
[2] الزهد لابن حنبل صـ ١٧١ ، رهبان الليل (٤٠٣/١) للعفاني .
[3] الإيمان أولاً صـ ١٧٢ .
[4] صحيح الجامع رقم ٣٧٠١ السلسلة الصحيحة رقم ١٩٠٣ .

فالبينة على من ادعى ، فأهل القيام هم الأشراف بين الناس ، أما أهل النوم والغفلة ـــ من أمثالنا ـــ فقد فضحتهم تلك الساعات ، فأسقطت ذكرهم ، وأدنت شرفهم[1] ، ومن سيرة الحسن بن علي نتعلم أهمية قيام الليل ، فبالليل يتم الغرس ، غرس بذور الإخلاص والصدق ، وعلى قدر غرسك سيكون الخير في قلبك ، وكلما ازدادت مساحته ، ازداد توالي الهدايا عليه من كل جانب ((إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا)) (الأنفال ، آية : ٧٠) .

إن قيام الليل من أهم صور الشكر التي كان يمارسها الحسن بن علي رضي الله عنه ، فشكر الله ـــ عز وجل ـــ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى غاية من غايات العبودية ، والشكر عمل ، والعبد الشكور هو الذي يظهر عليه أثر النعمة ، وأبلغ أثر للنعمة ينبغي أن يظهر على العبد هو زيادة الذل والانكسار والتعظيم لولي النعم[2] ، يقول تعالى : ((وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ * أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ

---

[1] الإيمان أولاً صـ ١٧٣ .
[2] الإيمان أولاً صـ ١٧٤ .

آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَـــةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُـــونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الألباب)) (الزمر ، آية : ٨ ـــ ٩) .

فالآيات الكريمة تتحدث عن صنفين من الناس ، أنعم الله عليهما بنعمة .. الأول مرَّ بتجربة شـــديدة ، وكـــان في ضيق وهم فدع الله بصدق ففرج همه ، وكشف كربه ، لكنه أعرض عن شكره ، وعاد إلى غيِّه ، أما الآخر فقد سار في طريق الشكر بطول القنـــوت بالليـــل ، وـــــ والتضرع لله ـــ عز وجل ويُعَقِّب القـــرآن على الحالتين بقوله تعـــالى : ((**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**)) (الزمر ، آية : ٩) ، لا يـــستوي الذين يعلمون حق الشكر النعم والذين لا يعلمون ذلك[1]

قال الشاعر :

القانتـــون المخبتـــون لربهـــم

الناطقون بأصـــدق الأقوال

يحيون ليلهـــم بطـــاعة ربهـــم

بتلاوة وتضـــرع ، وسؤال

وعيونهم تجري بفيض دموعهم

مثـــل انهمال الوابل الهطّال

في الليل رهبان وعند جهادهم

[1] الإيمان أولا صـ ١٧٥

لعدوهم من أشجع الأبطال

بوجههم أثـــر السجـــود لربهم

وبهـــا أشـــعة نوره المتلالي[1]

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه كثير الحج ، فقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : ما ندمت على شـــئ فاتني في شبابي إلا إني لم أحج ماشياً ، ولقد حج الحسن بن علي خمســـاً وعشرية حجة ماشياً ، وإن النجائب لتُقاد معه ، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات ، حتى أنه يعطي الخـــف ويُمسك النعل[2] ، فهذا مثل من لزوم ما لا يلزم شرعاً يقوم به الحسن بن علي رضي الله عنهما ، حيث لازم الحج ماشياً خمساً وعشرين حجَّة ، وهذا يدل على فضيلة المشي في الحج ، كما يؤيد ذلك ندم ابن عباس رضي الله عنهما على عدم قيامه بذلك أيام شبابه ومداومة الحسن على ذلك على ما فيه من مشقة تدل على قوة إيمانه ورغبته الصادقة في المزيد مـــن الأعمال الصالحة ، والمقصود بالمشي من الحج من مكـــة إلى عرفة ثم من عرفة إلى مكة ، وليس المقصود أن يحج الحـــاج ماشياً من بلده[3] ، ومن سيرة الحسن بن علي رضي الله عنه نتعلم أهمية السياحة إلى البيت الحرام ، كلما سمحت ظروفنا

---

1 رهبان الليل (٣٦٥/١) .

2 سير أعلام النبلاء (٢٦٠/٣) .

3 التاريخ الإسلامي (٢٢١/١٩) .

وتيسر حالنا قال صلى الله عليه وسلم : تابعوا بين الحج والعمرة ، فإن متابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد[1] ، ولذلك حج الحسن ماشياً ونجائبه تقاد إلى جانبه خمساً وعشرين مرة في بعض الروايات[2] وقال : إني استحيي من ربي عز وجل أن ألقاه و لم أمشي إلى بيته[3] ، وكان رضي الله عنه كثير الصمت ، متعبداً على منهج جده صلى الله عليه وسلم .

٣ ــ زهده :

فهم الحسن رضي الله عنه من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمته لوالده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، ومن تفكره في هذه الحياة بأن الدنيا دار ابتلاء واختبار ، فقد تربى على كتاب الله واستوعب الآيات التي تحدثت عن الدنيا وأخبرتنا بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها وكان رضي الله عنه يقرأ كل يوم سورة الكهف ويمر على قوله تعالى : ((**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**)) (الكهف ، آية : ٤٥ ، ٤٦) فهذا المثل يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها ، ومصير ما فيها من النعيم والترف إلى الهلاك ، ولما بين تعالى أن

---

[1] الإيمان أولاً صـ ٢٤٩ .
[2] تاريخ ابن عساكر (٧٢/١٤) .
[3] المصدر نفسه (٧١/١٤) .

الدنيا سريعة الانقراض والزوال ، بين أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا في عرف الناس ، وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقضاء والانقراض ، فيقبح بالعاقل الافتخار به أو الفرح بسببه[1] ((**وأما َالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**)) أي أن أعمال الخير وأفعال الطاعات ، كالصلوات والصدقات ، والجهاد في سبيل الله ، ومساعدة الفقراء والأذكار أفضل ثواباً ، وأعظم قربة عند الله ، وأبقى أثراً ، إذ ثوابها عائد على صاحبها ، وخير أملاً حيث ينال صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا[2] ، وتربى الحسن بن علي على منهج جده صلى الله عليه وسلم الذي كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها ، إذ هو القائل صلى الله عليه وسلم ، لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً شربة ماء[3] ، وقال صلى الله عليه وسلم : ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمِّ فلينظر بما ترجع[4] ، وقال صلى الله عليه وسلم ، الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[5] ، وقد تأثر أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه بالتربية القرآنية والنبوية ، فكان من أصدق النَّماذج الإسلامية في الزهد ، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في الزهد وإليك التفصيل .

[1] التفسير المنير (١٥/٢٥٩) .
[2] التفسير المنير (١٥/٢٦١) .
[3] سنن الترمذي رقم ٤١١٠ صحيح غريب .
[4] مسلم رقم ٢٨٥٨ .
[5] مسلم رقم ٢٨٥٦ .

إن حرص المرء على الشرف والملك أشد من حرصه على المال كما أن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها ، والرياسة على الناس ، والعلو في الأرض أضرُّ على العبد من طلب المال ، وضرره أعظم والزهد فيه أصعب ، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف ، والحرص على الشرف على قسمين :

أحداهما : طلب الشرف بالولاية السلطان والمال ، وهذا خطر جدّاً ، وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزّها . قال تعالى : ((**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**)) (القصص ، آية : ٨٣) . وقلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فَيُوَفَّقُ ، بل يُوَكلُ إلى نفسه[١] ، كما قال : صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمُرة رضي الله عنه : يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها[٢] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة[٣] ، وبئست الفاطمة[٤] إن حبَّ المال والرياسة والحرص عليهما يفسد دين المرء ، حتى لا يبقى منه إلا ما شاء الله فقد قال صلى الله عليه وسلم ، ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها

---

1 ما ذئبان جائعان لابن رجب صـ ٣٣ .
2 البخاري رقم ٦٦٢٢ .
3 مثل ضربه للإمارة وما يصل إلى الرجل من المنافع فيها واللذات .
4 مثل ضربه للموت الذي يهدم عليه تلك اللذات ويقطع منافعها عنه ، البخاري رقم ٧١٤٨ .

من حرص المرء على المال والشرف لدينه[1] . وأصل محبة المال والشرف حبُّ الدنيا ، وأصل حبَّ الدنيا إتباع الهوى[2] ، قال وهب بن مُنبِّه : من إتباع الهوى الرغبة في الدنيا ، ومن الرغبة فيها حبُّ المال والشرف ، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم[3] ولذلك قال تعالى : ((**فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**)) (النازعات ، آية : ٣٧ ـــ ٤١) . كما أن النفس تحب الرفعة والعُلُوَّ على أبناء جنسها ومن هنا نشأ الكِبُر والحسد ، ولكنَّ العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي الذي فيه رضوان الله وقربه وجواره ، ويرغب عن العلوِّ الثاني الذي الفاني الزائل الذي يعقبه غضب الله وسخطه وانحطاط العبد وسفوله وبعده عن الله وطرده عنه ، فهذا العلو الثاني الذي يُذَمُّ وهو العتو والتكبر في الأرض بغير الحقِّ . وأما العلوُّ الأول والحرص عليه ، فهو محمود قال الله تعالى : ((**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**)) (المطففين ، آية : ٢٦) . وقال الحسن : إذا رأيت الرَّجُل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة ، وقال وهيب بن الورد : إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل[4] . ففي درجات الآخرة الباقية يُشرعُ التنافس وطلب العلوِّ في منازلها والحرص على ذلك بالسِّعي في أسبابه ، وأن لا يقنع

[1] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان رقم ٣٢١٨ حسن صحيح .
[2] شرح حديث ما ذئبان جائعان لابن رجب صـ ٧١ .
[3] المصدر نفسه صـ ٧١ .
[4] المصدر نفسه صـ ٧٢ .

الإنسان منها بالدون مع قدرته على العلوِّ ،ـــ وأما العلوُّ الفـــاني ، المنقطع الذي يُعقب صاحبه غداً حسرة وندامة وذلة وهواناً وصغاراً فهو الذي يُنْشَرُ الزهد فيه والإعراض عنه[1] ، وهذا الفقه العظـــيم والفهم العميق نتعلمه من سيرة الحسن بن علي رضي الله عنه فقد ترك الملك والسلطان رغبة فيما عنـــد الله وحقناً لدماء المسلمين ، فقد تركها وهو في قوة ومنعة فقد قال : كانت جمـــاجم العـــرب بيدي ، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغـــاء وجه الله[2] . وقال في رواية أخرى : .. ولكن خشيت أن يجئ يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً ، أو أكثر أو أقلُّ ، كلهم تنضح أوداجهم دماً ، كلهم يستعدي الله فيم هُرِيق دمه[3] ، لقـــد بـــايع الحسن بن علي بعد وفاة علي تسعون ألفاً[4] ، فزهد في الخلافة ، فلم يُردها وسلّمها لمعاوية وقال : لا يهرق علي يدي محجمـــة دم[5] . وقال في رواية : ما أحببتَ أن ألي من أمة محمد مثقال حبـــة مـــن خردل يهراق فيه محجمة من دم ، قد علمت ما ينفعني مّما يضرني ، فالحقوا بطيَّتكم[6] .

٤ ـــ إنفاقه وكرمه وجوده :

من الأخلاق القرآنية والتي تتصف بها النفوس الكريمة التي تجسدت في شخصية الحسن بن علي رضي الله عنه ، خلق الكرم والجود ، وكثرة

---

1 المصدر نفسه صـ ٧٣ .
2 البداية والنهاية (٢٠٦/١١) .
3 تاريخ دمشق (١٠٤/١٤) .
4 المصدر نفسه (٩٨/١٤) .
5 المصدر نفسه (٩٨/١٤) .
6 بطيتكم : طية الشئ ـ جهته ونواحيه ، تاريخ دمشق (٨٩/١٤) .

الإنفاق في سبيل الله تعالى ، وكان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيماً ، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسملة : ((ألم * **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**)) ثم وصفهم بقوله : ((**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)) (البقرة ، آية : ١ ـ ٥) وقد تأثر أمير المؤمنين الحسن بالقيم القرآنية والنبوية والتربية العملية في حضن أمير المؤمنين علي وانعكس ذلك على نفسيته وترك لنا آثاراً بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم والإنفاق في شخصيته العظيمة ، فقد كان على جانب عظيم من السخاء والجود ، وكيف لا يكون كذلك وقد شبَّ وكبر في بيت أكرم الكرماء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، وقد تسلسلت إليه هذه الخلة الكريمة وتشربتها نفسه في طفولته ، وأخبار كرمه وجوده أصبحت مضرب الأمثال ، وقدوة العظماء من الرجال[1] .

منها : قال محمد بن سيرين : ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمائة ألف[2] ، وقال سعيد بن عبد العزيز ، سمع الحسن رجلاً إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم فقام إلى منزله فبعث إليه[3] ، وذكروا أنه رأى غلاماً في حائط من حوائط المدينة يأكل من

---

[1] الدوحة النبوية الشريفة صـ ٨٤ .
[2] تهذيب الكمال (٢٣٤/٦) .
[3] سير أعلام النبلاء (٢٦٠/٣) .

رغيف لقمة ، ويطعم كلباً هناك لقمة ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : إني استحيي من أن آكل ولا أطعمه ، فقال له الحسن : لا تبرح مكانك حتى آتيك فذهب إلى سيده فاشتراه ، واشترى الحائط الذي هو فيه ، فأعتقه وملَّكه الحائط ، فقال له الغلام : يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتني له[1] ، وقال أبو هارون العبدي : انطلقنا حجاجاً فدخلنا المدينة ، فدخلنا على الحسن بن علي ، فحدثناه بمسيرتنا ، وحالنا ، فلما خرجنا بعث إلى كل واحد منا بأربعمائة ، فرجعنا ، فأخبرناه بيسارنا ، فقال : لا تردوا على معروفي فلو كنت في غير هذه الحال لكان هذا لكم يسيراً ، أما إني مزودكم ، إن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة[2] ، فهذا الحسن بن علي رضي الله عنه قد أعطى أولئك الحجاج ذلك المال مع ظهور يسارهم ، فكيف الحال لو كانوا محتاجين ، وحينما أظهروا له عدم حاجتهم لم يقبل منهم رد ذلك المال ، وهذا دليل على قوة الدافع في نفسه نحو السخاء والجود ، ولم ينس أن يزودهم بما هو خير من ذلك حيث ذكّرهم بفضل يوم عرفة الذي يباهي الله تعالى به ملائكته عليهم السلام[3] ، وعن عبد الله بن عبيد الله بن عمير قال قال : ابن عباس عن الحسن بن علي : ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات ، حتى إنه يعطي الخف ويمسك النعل[4] . وهذا مثال عزيز في الكرم ، حيث قسم الحسن بن علي رضي الله عنه ماله قسمين ثلاث مرات ،

---

1 البداية والنهاية (١٩٦/١١) .
2 سير أعلام النبلاء (٢٦١/٣) .
3 التاريخ الإسلامي (١٣٦/١٧) .
4 سير أعلام النبلاء (٢٦٠/٣) .

فكان يتصدق بنصف ماله ، ولقد كان دقيقاً في محاسبته نفسه وكأنه يؤدي واجباً من الواجبات ، حيث كان يعطي الخف ويمسك النعل مع أن أحدهما لا يغني عن الآخر وأنه في عمله هذا قد جعل من نفسه قدوة للمسلمين في أعمال الخير والإحسان[1] . فقد كان رضي الله عنه من أسخى أهل زمانه[2] ، وعد رضي الله عنه من الأجواد[3] ، ومن أخبار جوده أن معاوية بن أبي سفيان بعث إليه بمائة ألف فقسمها بين جلسائه ، فأصاب كل واحد منهم عشرة آلاف[4] ، ومن أخبار كرمه أنه دخل على أسامة بن زيد وهو يجود بنفسه ويقول واكرباه واحزناه فقال له الحسن ، وما الذي أحزنك يا عم ، فقال له أي ابن رسول الله عليَّ دين مقداره ستون ألف درهم ولا أتمكن من رده فقال الحسن رضي الله عنه ، سأردها عنك ، فقال له أسامة فك الله رهانك يا ابن النبي أن الله أعلم حيث يجعل رسالته[5] . وكان الناس يشهدون للحسن رضي الله عنه بكرمه ودليل ذلك أن إعرابياً قدم إلى المدينة يستعطي الناس فقيل له عليك بالحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو عبد الله بن جعفر أو سعيد بن العاص ، فلقي سعيد بن العاص ، فأكرمه وأعطاه ما أراد[6] ، ومن كرم الحسن رضي الله عنه أنه قيل له من أحسن الناس عيشاً ؟ فقال من أشرك الناس في عيشه وقيل له من شر الناس ؟ فقال : من لا يعيش

---

1 التاريخ الإسلامي (١٣٧/١٧) .
2 المحاسن والمساوي صـ ٥٥ ، الحسن بن علي صـ ٣٢ .
3 الحسن بن علي ، رسالة ماجستير صـ ٣٢ لم تنشر .
4 البداية والنهاية نقلاً عن الحسن بن علي صـ ٣٢ .
5 المحاسن والمساوئ صـ ٥٧ .
6 غاية المرام ، عز الدين القريشي (٩٥/١) .

في عيشه أحد[1] ولقد سئل الحسن بن علي رضي الله عنه لأي شيء نراك لا ترد سائلاً وإن كنت على فاقة ، فقال : إني لله سائلاً وفيه راغب وإن الله تعالى عودني عادة ، عودني أن يفيض نعمه عليّ وعودته أن أفيض نعمه على الناس ، فأخشى أن قطعت عادتي أن يمنعني عادته[2] ، وكان الحسن رضي الله عنه في سخاءه وإيثاره لا يميز بين غني وفقير ، أو صغير وكبير ، أو قريب أو بعيد لأن النفس التي ترتاح للبذل والعطاء ، وجبلت على الكرم والسخاء لذتها في إسعاد الناس[3] ابتغاء مرضاة الله وطلباً للمثوبة والأجر تجد راحتها في ذلك .
وكأن الشاعر حافظ إبراهيم كان يعني الحسن عندما قال :

إني لتطربني الخلالُ كريمةً
طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزُّني ذكرُ المروءة والندى
بين الشمائل هِزة المشتاق
فإذا رُزِقتَ خليقة محمودة
فقد اصطفاك مقسِّم الأرزاق
فالناس هذا حظه مال ، وذا
علم ، وذاك مكارم الأخلاق

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه خطب الناس ثم قال : إن ابن أخيكم الحسن بن علي قد جمع مالاً ، وهو يريد أن يقسمه

1 تاريخ اليعقوبي (٢/٢٢٦ ، ٢٢٧) .
2 نصيحة الملوك صـ ٤٣٨ للماوردي .
3 الدوحة النبوية الشريفة صـ ٨٤ .

بينكم ، فحضر الناس فقام الحسن فقال : إنما جمعته للفقراء ، فقام نصف الناس ، ثم كان أول من أخذ منه الأشعث بن قيس[١] ، ومن سيرة الحسن بن علي نتعلم أن بداية انطلاق النفس إلى رضاء الله ، وتخلُّصها من جواذب الأرض ، وتطهيرها من الشح بدوام الإنفاق في سبيل الله حتى يصير سجية من سجاياها ، فتزهد في المال ويخرج حبه من القلوب فلا يفرح صاحبه بزيادته ولا يحزن على نقصانه مصداقاً لقوله تعالى : ((**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**)) (الحديد ، آية : ٢٣) .

كما أن للصدقة أثر عظيم في تزكية النفوس فإن لها فوائد أخرى عظيمة في الدنيا والآخرة منها :

فهي أفضل استثمار للمال :

عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فُلُّوه حتى يكون مثل الجبل[٢] .

وهي حجاب من النار :

عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة ، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان[٣]

---

[1] الطبقات (٢٧٨/١) إسناده صحيح .
[2] صحيح متفق عليه ، والفلو : الفرس أول ما يولد .
[3] صحيح الترغيب والترهيب للألباني ٨٥٥ .



وهي ظل لصاحبها يوم القيامة :

عن عقبة بن عامر ـــ رضي الله عنه ـــ قال : سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم : يقول كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضي بين الناس[١] .

والصدقة تدفع العذاب وقد ترد الحقوق بين الناس :

عن أبي سعيد الخدري ـــ رضي الله عنه ـــ قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار ، إنكن تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير[٢] . قال ابن حجر : وفي هذا الحديث : أن الصدقة تدفع العـــذاب ، وأنها تكفر الذنوب بين المخلوقين[٣] .

وأما في الدنيا ففوائدها كثيرة ومجزية وجاءت الأحاديث التي تؤيد تلك الفوائد ، فهي دواء للمرضى ، وتدفع البلاء ، وتيسر الأمور ، تجلب الرزق ، تقي مصارع السوء ، وتطفئ غضب الرب ، وتزيل أثر الذنوب[٤] .

إن للإنفاق في سبيل الله علاقة وثيقة بالسير إلى الله فهـــو وســـيلة مؤثرة غاية التأثير كما أنه من الوسائل المحورية في إحيـــاء القلـــب وإيقاظ الإيمان ، ولنا في جود وكرم وإنفاق الحسن بن علي أسوة وقدوة حسنة . فإن الإنفاق في سبيل الله من أعظم أبواب الجنـــة وهو مفتوح للمؤسرين أكثر من غيرهم ، دخل من خلاله سادات

---

[1] صحيح الترغيب والترهيب رقم ٨٢٢ .
[2] متفق عليه .
[3] فتح الباري (٥٣٦/١) .
[4] الإيمان أولاً كيف نبدأ به صـ ١٨٨ إلى ١٨٩ .

الأمة الجنة ، مثل عثمان وعبد الرحمن بن عوف والحسن وغيرهم ، فعلى أغنياء المسلمين في العصر الحديث أن يقتحموا هـذا البـاب فيدعموا قضايا الإسلام العادلة ومشاريع الدعوة إليه بما يستطيعون فيكسبون رضا الله ودخول الجنة والمساهمة في نصرة دين الله وإغاثة المحتاجين ولا يبخلوا فيضيق الله عليهم .

٥ ـ حلمه :

كان بين الحسن بن علي ومروان بن الحكم كلام ، فأقبل عليه مروان فجعل يغلظ له ، والحسن ساكت ، فامتخط مروان بيمينه ، فقـال الحسن رضي الله عنه : ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج ، أف لك ، فسكت مروان[1] وما سكون الحسن رضـي الله عنه ، إلا لما كان لحق نفسه ، فلما خالف مروان السنة ، غضب لله وللسنة وأبان له الصواب فيها[2] ، ولما مات رضي الله عنه ، بكـى مروان بن الحكم في جنازته ، فقال له الحسين : أتبكيه وقد كنـت تجرِّعه ما تجرِّعه ؟ فقال : إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم مـن هـذا وأشار إلى الجبل[3] ، وذكر ابن عائشة أن رجلاً من أهل الشام ، قال : دخلت المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فرأيت رجلاً راكباً على بغلة ، لم أرَ أحسن وجهاً ولا سمتاً ، ولا ثوباً ، ولا دابة منه ، فمال قلبي إليه فسألت عنه ، فقيل : هذا الحسن بن علي بـن أبي طالب فامتلأ قلبي بغضاً له ، وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله

---

1 سير أعلام النبلاء (٢٦٠/٣) .
2 الدوحة النبوية الشريفة صـ ٨٧ .
3 تهذيب الكمال (٢٣٥/٦) .

، فصرت إليه ، فقلت : أأنت ابن علي بن أبي طالب ؟ قال : أنا ابنه ، قلت : فعل بك وبأبيك ، أسبهما ، فلما انقضى كلامي ، قال لي : أحسبك غريباً ، قلت : أجل ، قال : مر بنا فإن احتجت إلى مترل أنزلناك ، وإن احتجت إلـــى مال آسيناك ، أو إلى حاجة عاونناك ، قال : فانصرفت عنه ، وما على الأرض أحب إليَّ منه وما فكـــرت فيما صنع ، وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي[١] ، وهذه المواقـــف الكريمة التي نتعلم منها الحلم من سيرة الحسن بن علي رضي الله عنه وكيفية كسب المخالفين ، بالإحسان إليهم والترفق بهم والصبر على آذاهم ومحبة الخير لهم وقد يغلب على كثير منهم الجهل وعدم معرفة الحقائق ، تطبيق لقول الله تعـــالى : ((**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**)) (الأعراف ، الآية : ١٩٩)واقتـــداء بجده صلى الله عليه وسلم ، فقد بلغ عليه الصلاة والسلام الـــذروة والغاية في حلمه وعفوه وضبط نفسه إزاء التخرصات والمفتريات التي نُسِبت إليه ، إضافة إلى الإيذاء من مشركين العرب : كـــامرأة أبي لهب ، وأبي جهل ، وأبي بن خلف ، وغيرهم من سفهاء مكـــة[٢] ، ووصفت السيدة عائشة رضي الله عنها خُلُق رسول الله صـــلى الله عليه وسلم فقالت ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح[٣] ، وعنها أيضاً قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط ـــ بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل

[1] وفيات الأعيان (٦٧/٢ ، ٦٨) .
[2] الأخلاق بين الطبع والتطبع ، فيصل الحاشدي صـ ١٣٩ .
[3] رواه الترمذي رقم ٢٠١٦ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم ١٦٤٠ .

منه شئ ـــ قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينتهك شيئاً من محارم الله فينتقم لله عز وجل[1] .

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال : من كظم غيظاً ـــ وهو قادر على أن ينفذه[2] دعـــاه الله يـــوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يُخيَّر من أي الحور العين[3] شاء[4] وفي صفة الحلم يقول الشاعر :

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى
وفي الخرق[5] إغراء فلا تلـــك أخرقا
فتنـــــدم إذ لا تنفعـــك ندامـــة
كما نـــدم المغبـــون لمّـــــا تفرَّقا[6]

٦ ـــ تواضعه :

مرّ الحسن بن علي رضي الله عنه على جماعة من الفقراء قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز كانوا قد التقطوها من الطريق ، وهم يأكلون منها فدعوه إلى مشاركتهم فأجابهم إلى ذلك وهـــو يقول : إن الله لا يحب المتكبرين . ولما فرغ من تناول الطعام دعاهم

---

1 مسلم رقم ٢٣٢٨ .
2 ومنه العفو عند المقدرة .
3 الحور : نساء شديدات سواد العيون وبياضها .
4 سنن الترمذي رقم ٤٧٧٧ حسّنه الألباني صحيح الجامع (٦٥١٨/٢) .
5 الخرق : الجهل ضدُّ الرِّفق .
6 الأخلاق بين الطبع والتطبع صـ ١٥١ .

إلى ضيافته ، فأطعمهم وكسَاهم وأغدق عليهم من إحسانه[1] ، ومن مواقف تواضعه ، أنه مرّ على صبيان يتنــاولون الطعــام فــدعوه لمشاركتهم ، فأجابهم إلى ذلك ثم حملهم إلى منزله فمــنحهم بــبره ومعروفه وقال : اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني ونحن نجد مما أعطيناهم[2] ، فصفة التواضع من صفات عباد الرحمن ، قال الله تعالى وتبــارك : ((**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**)) (الفرقان ، الآية : ٦٣) ، والتواضع علامة مــن علامــات حب الله للعبد ، قال تعالى : ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ** عَلِيمٌ)) (المائدة ، الآية : ٥٤) فمــن ســيرة الحسن بن علي رضي الله عنه نتعلم صفة التواضع قال الشاعر :

تواضع كالنجم لاح[3] لناظر

على صفحات الماء وهو رفيع

ولأنك كالدخان يعلو بنفسه

على طبقات الجــو وهــو وضيع[4]

---

[1] حياة الإمام الحسن بن علي (٢٩١/١) .
[2] صلاح الأمة في علو الهمة (٤٣٧/٥) .
[3] الأخلاق بين الطبع والتطبع صـ ١٢٨ : لاح : ظهر وبرز .
[4] المصدر نفسه صـ ١٢٨ .

٧ ـــ سيادته :

ولقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة هذا الإمام وسيادته وجلالة قدره ، على مرأى ومسمع من الناس في غير مـــرة ، وقـــد تواترت الروايات بقوله صلى الله عليه وسلم عن الحسن ، إن ابـــني هذا سيد ، قال ابن عبد البر : وتواترت الآثار الصحاح عن الـــنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الحسن بن علي : إن ابني هذا ســـيد وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين[١] ، وجاء من حديث جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : إن ابني هذا ـــ يعني الحسن ـــ سيِّد ، وليصلحنَّ الله به بين فئتين من المسلمين[٢] ، وعن سعيد بن أبي سعيد قال : كنا مـــع أبي هريرة جلوساً ، فجاء حسن بن علي بن أبي طالب فسلم علينـــا ، فرددنا عليه ، وأبو هريرة لا يعلم فمضى ، فقلنا : يا أبا هريرة هذا حسن بن علي قد سلم علينا ، فقام فلحقه ، فقال : يـــا ســـيدي ، فقلت له : تقول يا سيدي ؟ قال : إني سمعت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يقول : إنه لسيد[٣] ، وعن جابر بن عبد الله أنه قال : من سرَّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي[٤] ، وعن أبي سعيد الخدري قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[٥] وقد نقل إلينا خبر ســـيادة

---

[1] البخاري ، فضائل الصحابة (٩٤/٧) .
[2] الطبراني في الكبير رقم ٢٥٩٧ .
[3] المستدرك (١٦٩/٣) وقال الحاكم صحيح وأقرَّه الذهبي .
[4] صحيح ابن حبان (٤٢١/١٥ ، ٤٢٢) ، مجمع الزوائد (١٧٨/٩) .
[5] مستدرك الحاكم (١٦٦/٣) وقد صح هذا الحديث من أوجه كثيرة .

الحسن والحسين في الجنة جمع غفير من الصحابة ، وما ذلك إلا لإعلان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك مرة بعد مرة ، أو في محافل جامعة[1] ، وقد أثبتت الأيام ومرور الشهور والأعوام على رسوخ صفة السيادة في الحسن وقد بلغت ذروتها في توفيق الله له في عقد الصلح مع معاوية ، وجمع الأمة على كلمة سواء ، فقد كان الحسن سيداً جليلاً ، ويعلمنا الحسن بأن السيادة لا تكون بالقهر وسفك الدماء ، أو أهدار الأموال والحرمات ، بل السيادة بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء ، فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه ذروة السيادة التي لا يستطيعها من فكر بالقوة وهو يملك طرفاً منها ، وقد صالح الحسن معاوية وحوله الألوف فيهم من هو طامع مدسوس ولكن فيهم الكثير الكثير من المخلصين الأوفياء ، فما أراد أن تراق بسببه قطرة دم ، أو يخدش مسلم في هذا السبيل ، وإن الرئاسة للأقوام إن لم تكن لصيانتها وحياطتها وحفظها ، وترقيتها ، فهي نوع من الطاغوت الأعمى والتهور الأحمق ، والمغامرة والمقامرة التي تجلب معها الدمار والخراب ، والإذلال واليباب ، وينتهي أصحابها إلى غضب الله ، ولعنة التاريخ ، وهل تدافع أمواج الدماء البشرية عبر العصور والقرون إلا من الحرص على الرئاسة والسلطان والتكالب على الدنيا[2] .

٨ ــ صفاته الخَلْقية :

---

[1] الدوحة النبوية الشريفة صـ ٨١ .

[2] المصدر نفسه صـ ٩٤ .

كان الحسن بن علي رضي الله عنه سيداً وسيماً جميلاً أبيض اللون مشرباً بحمرة أدعج العينيين سهل الخدين كث اللحية كأن عنقه أبريق فضة ، عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين ليس بالطويل ولا بالقصير من أحسن الناس وجهاً جعد الشعر حسن البدن[1] ، ومن بركات الله سبحانه وتعالى على الحسن أنه كان أشبه الناس بجده صلى الله عليه وسلم[2] ؟

ثانياً : من حياة الحسن بن علي في المجتمع :

ترك لنا الحسن بن علي مواقف متميزة من حياته في المجتمع الإسلامي الراشدي ، فقد كان حريصاً على تصحيح المفاهيم وقضاء حوائج الناس ، ومخالطتهم بالحسنى ، وإرشادهم بالمواعظ ، والحكم النادرة وغير ذلك وإليك تفصيل ما أجملت :

١ ــ تفنيده لمعتقد الرجعة :

عن عمرو بن الأصمِّ ، قلت للحسن : إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، قال : كذبوا والله ، ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوَّجنا نساءه ، ولا اقتسمنا ماله[3] ، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ ، إلا أنه قال بأنه غاب وسيرجع و لم يصدق بموته ، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية الكيسانية وغيرها ، ولكنها صارت عند الاثني عشرية عامة للإمام

---

[1] سير أعلام النبلاء (٤٩/٣) ، أخبار الدول صـ ١٠٥ .
[2] الحسن بن علي فتيخان كردي صـ ٢٤ .
[3] سير أعلام النبلاء (٢٦٣/٣) .

وكثير من الناس ، ويشير الألوسي إلى تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة الرافضة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث[1] ، وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الاثني عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف :

- ــ الأئمة الأثني عشر ، حيث يخرج المهدي من مخبئه ، ويرجع من غيبته ، وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا .
- ــ ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة ــ في زعمهم الباطل ــ من أصحابها الشرعيين "الأئمة الاثني عشرية" فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان .. ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا كما يزعم الشيعة الرافضة ــ للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب .
- ــ عامة الناس ، ويخص منهم : من محض الإيمان محضاً ، وهم الشيعة عموماً ــ على حد زعمهم ــ ولأن الإيمان خاص بالشيعة كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم ومن محض الكفر محضاً وهم كل الناس ما عدا المستضعفين[2] . ولهذا قالوا في تعريف الرجعة إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة[3] ، وعودتهم إلى الحياة

---

[1] روح المعاني (٢٧/٥) ضحى الإسلام (٢٣٧/٣) أحمد أمين .
[2] أصول الشيعة الإمامية (١١٠٥/٢) .
[3] تفسير القمي (٧٦/٢) وضع عنوان في أعلى الصفحة أعظم دليل على الرجعة .

بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها[1] . وقد خالف الشيعة الرافضة علماء أهل البيت ممن ساروا على الهدى والحق كتاب الله وسنة رسوله في معتقد الرجعة وعلى رأسهم الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وجعلوا الرجعة من أصول المذهب الشيعي الرافضي ، فمن رواياتهم اختلاقها الرواة الكذبة : ليس منا من لم يؤمن بكرتنا[2] ، وقال ابن بابويه في الاعتقادات : واعتقادنا في الرجعة أنها حق[3] ، وقال المفيد : واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات[4] ، وقال الطبرسي والحر العاملي ، وغيرهما من شيوخ الشيعة : بأنها موضع إجماع الشيعة الإمامية[5] ، وأنها من ضروريات مذهبهم ، وأنهم : مأمورون بالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة[6] .

إن فكرة الرجعة عن الشيعة الرفضة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم ، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ((**قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**)) (المؤمنون ، الآية : ٩٩ ، ١٠٠) . فقوله سبحانه ((**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**))

---

1 أوائل المقالات صـ ٩٥ .
2 أصول الشيعة الإمامية (١١٠٣/٢) .
3 الاعتقادات صـ ٩٠ .
4 أوائل المقالات صـ ٥١ .
5 مجمع البيان (٥٢/٥) .
6 القاموس (٢٨/٣) مجمع البحرين (٣٣٤/٤) .

صريح في نفي الرجعة مطلقاً[1] ، وقال تعـــالى : ((**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ** الْمُؤْمِنِين * **بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**)) (الأنعام ، الآية : ٢٧ ، ٢٨) . فهؤلاء جميعاً يسألون الرجوع عند المـــوت ، وعند العرض على الجبار جلا علاه ، وعند رؤية النار يجابون ، لما سبق من قضائه أهم لا يرجعون ولذلك عد أهل العلـــم القـــول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع[2] ، وقد مرّ معنا موقف الحسن بن علي من رواية عمرو بن الأصـــمِّ وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة : وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال للحسن بن علي : إن الشيعة يزعمـــون أن علياً يرجع . قال الحسن : كذب أولئك الكذابون ولو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه[3] ، والقول بالرجعة بعد المـــوت على الدنيا لمجازة المسيئين وإثابة المحسنين يتافي طبيعة هذه الدنيا وأنها ليست دار جزاء قال تعـــالى : ((**وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**)) (آل عمران ، الآية : ١٨٥) .

وقد كان لابن سبأ اليهودي دور التأسيس لمبدأ الرجعة ، إلا أنها رجعة خاصة بعلي كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلاً كحـــال الاثني عشرية مع مهديهم الذي يزعمون وجوده ، وعقيدة الرجعة

---

[1] مختصر التحفة صـ ٢٠١ .
[2] أصول الشيعة الإمامية (١١٢٤/٢) .
[3] مسند أحمد (٣١٢/٢) قال أحمد شاكر إسناده صحيح .

عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة وأن الله كلما توعد كافراً أو ظالماً إنما توعده بيوم القيامة ، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة[1] . هذا من حيث النقـــل ، وأما من حيث العقل ، فإن الله جعل الدنيا دار ابتلاء وجعل الآخرة دار جزاء فلماذا يرجعهم للدنيا ليحاسبهم فيها ومع وجود الآخرة ، علماً بأن عذاب الآخرة أعظم وأشد لمن انحرف عن دينـــه ، ولم يحدث أن أرجع الله أحداً من الأموات ليحاسبه في الدنيا في تاريخ البشرية كلها .

٢ ـــ قضاء حوائج الناس :

جاء رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنه فذكر له حاجته فخرج معه لحاجته ، فقال : أما إني قد كرهت أن أعينك في حاجتي ولقد بدأت بحسين فقال : لولا اعتكافي لخرجت معك . فقال الحـــسن : لقضاء حاجة أخ لي في الله أحبّ إليّ من اعتكاف شهر[2] ، وجاء في رواية أخرى أنه ترك الطواف وخرج في حاجة إنسان له حاجة عند شخص معين[3] ، وجاء من كلام الحسن وذكر بعض الكتّاب أنه من كلام الحسين رضي الله عنهما : إن حوائج الناس إليكم ، من نعـــم الله عليكم ، فلا تملوا النعم فتحور[4] نقماً ، واعلمـــوا أن المعـــروف مكسب حمداً ومعقب أجراً ، فلو رأيتم المعروف رجلاً ، رأيتمـــوه

---

[1] أصول الشيعة الإمامية (١١٢٤/٢) .

[2] تاريخ دمشق الكبير (٧٦/١٤) .

[3] المصدر نفسه (٧٦/١٤) .

[4] فتحور : ترجع .

حسناً جميلاً يسر الناظرين ويفوق العالمين ، ولو رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ويفوق العالمين ، ولو رأيتم اللؤم ، رأيتمـــوه سمجـــاً[1] مشوهاً ، تنفر عنه القلوب والأبصار[2] ، وذكر صـــاحب كتـــاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة : أن رجلاً رفع إلى الحسن بـــن علي رضي الله عنهما رقعة فقال : قد قرأها ، حاجتـــك مقـــضية ، فقيل له : يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو نظرت إلى رقعته وراجعته على حسب ما فيها ، فقال : أخاف أن أسأل عـــن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأها[3] ، وهذه المواقف تدل على حـــسن أخلاقه وعظمتها مع تواضع كبير ولا نستغرب ذاك مـــن ســـيدنا الحسن ، فهو القائل : مكارم الأخلاق عشرة ، صـــدق اللـــسان ، وصدق البأس ، وإعطاء السائل وحسن الخلق ، والمكافأة بالصنائع ، وصلة الرحم ، والترحم على الجار ، ومعرفة الحق للصاحب وقـــرى الضعيف ، ورأسهن الحياء[4] ، وأيضاً قوله : أشد من المصيبة ســـوء الخلق[5] ، وهذه المواقف الكريمة للحسن رضـــي الله عنـــه تطبيـــق لتوجهات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن عبد الله بن دينـــار عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قيل يـــا رسول الله ، من أحب الناس إلـــى الله ؟ قال أنفعهم للنـــاس . وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن ، تكشف عنه كرْباً

---

[1] سمج : قبح ، لسان العرب (١٩٧/٢) سمج .
[2] الشهب اللامعة في السياسة النافعة صـ ٤٤١ .
[3] الشهب اللامعة في السياسة النافعة صـ ٤٣٩ .
[4] من أقوال الصحابة ، محمد خورشيد صـ ٦٨ ، الحسن بن علي صـ ٣١ .
[5] تاريخ اليعقوبي (٢٢٧/٢) .

أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ولأنْ أمشي مع أخي المسلم في حاجة ، أحبُّ إليَّ مِنْ أن أعتكف شهرين في مسجد .. ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يُثبتَها له ، ثبَّت الله قدمه يوم تزل فيه الأقدام ، وإنَّ سوء الخُلُقِ لَيُفْسِدُ العمل ، كما يفسد الخلُّ العسل[1] . وعن مسلمة بن مخلد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من ستر مسلماً في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن نجّى مكروباً فك الله عنه كُربةٌ من كرب يوم القيامة ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته[2] .

٣ ـ زواجه من بنت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم :

عن شعيب بن يسار ، أن الحسن بن علي أتى ابناً لطلحة بن عبيد الله[3] ، فقال : قد أتيتك لحاجة وليس لي مرد قال : وما هي ؟ قال : تزوجني أختك[4] ، قال : إن معاوية كتب إلي يخطبها على يزيد ، قال : مالي مردٌّ إذ أتيتك فزوجها إياي ثم قال : دخل بأهلك ، فبعث إليها بحلة ثم دخل بها ، فبلغ ذلك معاوية ، فكتب إلى مروان أنْ خيّرها فخيّرها فاختارت حسناً فأقرّها ثم خلف عليها بعده حسين[5] .

٤ ـ زواجه من خوّلة بنت منظور :

[1] سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٩٠٦ وحسن الألباني إسناد في الصحيح الجامع .
[2] مصنف عبد الرزاق رقم ١٨٩٣٦ ، حديث صحيح .
[3] هو إسحاق بن طلحة .
[4] هي أم إسحاق .
[5] الطبقات ، تحقيق السُلمي (٢٩٢/١) إسناده لا بأس به .

عــن ابن أبي مليكة ، قال : تزوج الحسن بن علي خولــة بنــت منظور فبات ليلة على سطح أجم[1] ، فشدت خمارها برجله والطرف الآخر بخلخالها فقام من الليل فقال : ما هذا ؟ قالــت : خفــت أن تقوم من الليل بوسنك[2] فتسقط ، فأكون أشأم سخلة[3] على العرب ، فأحبها ، فأقام عندها سبعة أيام[4] . فقال ابن عمر : لم نر أبا محمــد منذ أيام . فانطلقوا بنا إليه ، فأتوه فقالت له خولة : أتحبسهم حــتى نهيئ لهم غداءاً قال : نعم ، قال ابن عمر : فابتدأ الحسن حديثاً ألهانا بالاستماع إعجاباً به حتى جاءنا الطعام[5] .

٥ ـــ لا يرى أمهات المؤمنين :

كان الحسن والحسين لا يريان أمهات المؤمنين . فقال ابن عبــاس : إنَّ رؤيتهن حلال لهما وعلق الذهبي فقال : الحل متيقن[6] . وهذا يدل على شدة حياءه .

٦ ـــ الغيرة في النسب النبوي :

دخل سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما السُّوق لحاجة يقضيها فساوم صاحب دكان في سلعة ، فأخبره بالسعر العام ، ثم علم أنــه الحسن بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله صــلى الله عليــه وسلم ، فنقص في السعر إجلالاً له وإكراماً ، ولكن الحسن بن علي

---

1 المصدر نفسه (٣٠٧/١) .

2 الوسن : قيل النوم الثقيل وقيل أول النوم .

3 سخلة : السخلة : ولد الشاه من المعز والضأن ذكراً كان أو أنثى ويطلق على المولود المحبب لوالديه والمراد أشأم امرأة .

4 المعلوم من السنة أن الرجل إذا تزوج امرأ' على زوجته فإنه يقيم عندها سبعة أيام متواصلة إذا كانت بكراً وثلاثة أيام إذا كانت ثيباً ثم يعود إلى القسم بينهن وخولة عندما تزوجها الحسن لم تكن بكراً حيث سبقها عليه محمد بن طلحة بن عبيد الله كما في جمهرة أنساب العرب لابن حزم صـ ٢٥٨ وحقها ثلاث ليال لا سبعاً . وحقها ثلاث ليال لا سبعاً وهذا ما يؤكد ضعف الرواية فإن إسنادها ضعيف جداً وهذه نكارة في المتن تؤكد الضعف .

5 الطبقات ، تحقيق السُّلمي (٣٠٧/١ ، ٣٠٨) إسناده ضعيف .

6 سير أعلام النبلاء (٢٦٥/٣) .

رضي الله عنهما لم يقبل منه ذلك ، وترك الحاجة ، وقال : إنـــي لا أرضى أن استفيد من مكانتي من رسول الله في شئ تافه[1] . وهـــذا الحال كان مصاحباً لأهل البيت ممن ساروا على كتاب الله وســنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا زين العابدين بن علي بن الحسين ، يقول عن جويرية بن أسماء ـــ وهو من أخص خدمه ، ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم درهماً قط[2] ، وكان إذا سافر كتم نفسه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أنا أكــره أن آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم مالا أعطي بــه[3] . وكـــذلك روي عن أبي الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم فقد قيل إنه كان إذا سافر كتم نفسه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أنا أكره أن آخـــذ برسول الله صلى الله عليه وسلم مالا أعطي به[4] فهؤلاء السادة مـــن أهل البيت كانوا غيارَى أشد الغيرة في الرحم التي كانت تـــصلهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فما كانوا يستغلون هـــذه النـــسبة لمصالح دنوية ، شأن أبناء أسر الزعماء الدينيين في الديانات الأخرى ممن ينالون تقديساً زائداً في كل حال ، ويعـــاملون مـــن أتبـــاعهم كشخصيات تفوق البشر ، وكانوا بعيدين عن كسب حطام الدنيا بأسمائهم ، وبناء قصور الفخر على عظـــامهم واســـتغنائهم وعـــزّة نفسهم ، تصور سيرهم وسلوكهم تصويراً يختلف تماماً عن ســـيرة الطبقة المحترفة بالدين من البراهمة والكهنة في الديانات والملل الأخرى

---

1 المرتضى للندوي صـ ٢٢٨ .
2 البداية والنهاية نقلاً عن المرتضى للندوي صـ ٢٢٨ .
3 وفيات الأعيان (٤٣٤/٢) .
4 المصدر نفسه (٤٣٤/٢ .

، فإنها تعتبر ذات قدسية وعظمة عن طريق الولادة ، فهي لا تحتاج لكسب المعاش وتحقيق حاجات الحياة إلى بذل شئ من الجُهد والسعي[1] .

٧ ـ صلاته على الأشعث بن قيس :

مات الأشعث بن قيس بعد مقتل أمير المؤمنين علي بأربعين ليلة ، وصلى عليه الحسن بن علي[2] ، وهو زوج بنت الأشعث بن قيس[3] ، وقد ذهبت بعض الروايات الضعيفة إلى تورط الأشعث بن قيس في دم أمير المؤمنين وهذا ليس عليه دليل ، وذلك لأن الأشعث بن قيس عند استعراض دوره في خلافة علي رضي الله عنه نجده مخلصاً ووفياً ، فهو أول من حارب أهل الشام أثناء القتال على الماء ، وأظهر العداوة للخوارج منذ نشأتهم فهو الذي أبلغ علياً رضي الله عنه أن الخوارج يقولون : إن علياً تاب من خطيئته ورجع عن التحكيم وقاتل علي الخوارج في النهروان ، وقد حرص كل الحرص على أن يوطد علاقته بعلي وآل بيته فزوج ابنته من الحسن بن علي رضي الله ، وعندما أراد الحن أن يبني بها قامت كندة وجعلت أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث[4] ، وقد مات الأشعث بعد مقتل علي وصلى عليه الحسن بن علي كما مرّ ، ولم ينقل عن أل علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنهم اتهموا الأشعث بهذه التهمة ، أو كشفوا

---

[1] المرتضى للندوي صـ ٢٢٨ .
[2] الكامل في التاريخ (٤٤٤/٣) .
[3] تهذيب التهذيب (٣٠٠/٢) .
[4] تهذيب الكمال (٣٩٣/٣ ـ ٣٩٤) الطبقات (٢٣/٦) .

أحداً من آل الأشعث بهذا السبب ، ويظل قتل علي عملاً من تدبير الخوارج جاء في الأرجح ثأراً لقتلى النهروان[1] .

٨ ـــ معاملته لمن يسئ إليه :

قدم رجل من المدينة وكان يبغض علياً فقطع به فلم يكن له زاد ولا راحلة فشكا ذلك إلى بعض أهل المدينة ، فقال له عليك بالحسن بن علي ، فقال له الرجل : ما لقيت هذا إلاّ في حسن وأبي حسن ؟ فقيل له : فإنك لا تجد خيراً إلا منه فأتاه فشكل إليه ، فأمر له بزاد وراحلة ، فقال الرجل : الله أعلم حيث يجعل رسالاته فقيل للحسن : أتاك رجل يبغضك ويبغض أباك فأمرت له بزاد وراحلة قال : أفلا أشتري عرضي منه بزاد وراحلة[2] .

٩ ـــ من أدبه في المجالس :

كان ذات يوم جالساً في مكان ، فأراد الانصراف ، فجاءه فقير فرحب به ولاطفه وقال له : إنك جلست على حين قيام منا أفتأذن لي بالانصراف ؟ قال : نعم يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .[3] .

١٠ ـــ حسن خلقه بين الناس :

عن عميربن إسحاق قال : ما تكلم عندي أحد كان أحبَّ إليَّ إذا تكلَّم ألا يسكت من الحسن بن علي ، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة ، فإنه كان بين الحسين بن علي وبين عمرو بن عثمان

[1] دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين بطاينة صـ ٥٢ .
[2] تاريخ ابن عساكر (٧٦/١٤) .
[3] الطبقات (٢٨١/١) تحقيق السُلمي إسناده ضعيف ، تاريخ الخلفاء صـ ٧٣ .

خصومة ، فقال الحسن : ليس له عندنا إلا ما رَغِم أنفه . فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط[1] .

١١ ــ ملاعبته بالمداحي[2] :

قال سليمان بن شديد : كنت ألاعب الحسن والحسين بالمداحي فكنت إذا أصبت مدحاته فكان يقول لي : يحل لك أن تركب بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وإذا أصاب مدحاتي قال : أما تحمد ربك أن يركبك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] .

١٢ ــ بعده عن فضول الكلام :

كان الحسن بن علي أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال بذَّ القائلين فالحسن بن علي يعلمنا الابتعاد عن فضول الكلام وهذا عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قال : لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه[4] ، وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت[5] ، وجاء عنه : من صمت نجا[6] ، وسئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال : الفم والفرج[7] ، وقد سئل معاذ النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار ، فأخبره برأسه وعموده وذروة سنامه ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك

---

1 البداية والنهاية (١١/١٩٨) .

2 المداحي : هي أحجار أمثال القِرَصَة كانوا يحفرون حفرة ويدحون فيها بتلك الأحجار ، فإن وقع الحجر فيها غلب صاحبها وإن لم يقع غُلب : وهي لعبة يلعب بها أهل مكة وقد سئل ابن المسيب عن المراماة والمسابقة بها فقال : لا بأس به .

3 الطبقات ، تحقيق السُّلمي (١/٢٩٤) .

4 السلسلة الصحيحة رقم ٢٨٤١ .

5 البخاري رقم ٦١٣٦ .

6 صحيح الجامع رقم ٦٣٦٧ .

7 السلسلة الصحيحة رقم ٦٦٩ .

كلِّه ؟ قال : بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسان نفسه ، ثم قال : كُفَّ عليك هذا . فقال : وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ وهل يُكُبُ الناس في النار على وجوهه ـ أو على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم[1] ويقول بن عبيد : ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت ذلك صلاحاً في سائر عمله[2] ، وكان ابن الكاتب يقول : إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه[3] ، وقال الأوزاعي : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة أما بعد : فإنه من أكثر ذكر الموت رضي بالدنيا باليسير ، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه ، والسلام[4] . فالحسن بن علي كان يعد كلامه من عمله ولذلك أكثر الصمت .

١٣ ـ إكرام الحسن بن علي أسامة بن زيد رضي الله عنهما :

عن حرملة ـ مولى أسامة ـ قال : أرسلني بن زيد إلى عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه وقال لي : إنه سيسألك ويقول لك : ما خلَّف صاحبك فقل له : يقول لك : لو كنت في شدْق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه ، ولكن هذا أمر لم أرَه قال : فأتيت علياً فلم يعطني شيئاً ، فذهبت إلى حسن وحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم ـ فأوقروا لي راحلتي[5] .

1 سنن الترمذي وقال حديث صحيح .
2 صفة الصفوة (٣٧٢/٣) .
3 المصدر نفسه (٣٢٣/٤) .
4 سير أعلام النبلاء (١٣٣/٥) .
5 ذخائر العقبى صـ ٢٣٧ .

١٤ ـــ الحسن بن علي واليهودي الفقير :

اغتسل الحسن رضي الله عنه وخرج من داره في بعض الأيام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة فعرض له في طريقه شخص من محاويج اليهود وعليه مسح من جلود ، قد أنهكته العلة ، وركبته القلة والذلة ، وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه ، فاستوقف الحسن رضي الله عنه وقال : يا ابن رسول الله ، سؤال ، قال : ما هو ؟ قال : جدك يقول : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[١] . وأنت مؤمن وأنا كافر . فما أرى الدنيا إلا جنة لك تتنعم بها ، وما أراها إلا سجناً عليّ قد أهلكني ضرها وأجهدني فقرها ، فلما سمع الحسن كلامه قال له : يا هذا لو نظرن إلى ما أعد الله لي في الآخرة لعلمت أني في هذه الحالة بالنسبة إلى تلك في سجن ، ولو نظرت إلى ما أعد الله لك في الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن في جنة واسعة[٢] . لقد كان الحسن بن علي حاضر البديهة ، فأجاب بجواب مقنع مفحم حيث أوضح له أن حالته التي يشكو منها إنما هي كالجنة بالنسبة إلى عذاب الآخرة الذي أعد للكافرين وأن حالة الحسن التي ظنها نعيماً إنما هي كالسجن بالنسبة إلى نعيم الجنة الذي أعد للمتقين[3] .

١٥ ـــ احترام وتقدير ابن عباس للحسن والحسين رضي الله عنهم :

[1] مسلم وابن ماجة رقم ٤١١٣ .
[2] الحسن والحسين ، محمد رشيد رضا صـ ٣٢ .
[3] الحسن والحسين رضي الله عنهما صـ ٣٣ .

قال مدرك أبو زياد : كنا في حيطان ابن عباس فجاء ابـــن عبـــاس وحسن وحسين فطافوا في البستان فنظـــروا ثم جـــاءوا إلى ســـاقية فجلسوا على شاطئها فقال لي حسن : يا مُدرك أعندك غداء ؟ قلت : قد خبزنا ، قال : إئت به . قال : فجئته بخبز وشئ مـــن ملـــح جريش وطاقتي بقل فأكل ثم قال : يا مُدرك ما أطيب هذا ؟ ثم أتى بغدائه ، وكان كثير الطعام طيّبه ــ فقال : يا مُدرك اجمع لي غلمان البستان قال : فقدم إليهم فأكلوا و لم يأكل فقلت : ألا تأكل ؟ فقال : ذاك أشهى عندي من هذا ، ثم قاموا فتوضأوا ثم قدّمت دابة الحسن فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوَّى عليه ، ثم جئ بدابّة الحـــسين فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوَّى عليه ، فلما مضيا قلت : أنت أكبر منهما تمسك لهما وتسوّي عليهما ؟ فقال : يا لُكع أتدري من هذان ؟ هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما أنعـــم الله عليّ به أن أمسك لهما وأسوّي عليهما[1] ؟ وهذا الاحترام والتقـــدير من ابن عباس للحسن والحسين دليل على محبته لهما ومعرفة فضلهما ، كما يدل على فضل ابن عباس فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهله . وقد كان أمير المؤمنين علي يعامل عمه العباس والد عبـــد الله معاملة قلّ نظيرها في الاحترام والتقدير فعن ابن عبـــاس رضـــي الله عنهما ــ قال : اعتلَّ أبي العباس ، فعاده عليٌّ ، فوجـــدني أضـــبط رجليه ، فأخذهما من يدي ، وجلس موضعي وقال : أنا أحقُّ بعمِّي منك ، إن كان الله عز وجل قد توَّفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

[1] تاريخ ابن عساكر (٦٩/١٤) .

وعمِّي حمزة وأخي جعفراً فقد أبقى لي العباس . عمُّ الرجل صِنْوُ أبيه ، وبُّره به كِبرِّه بأبيه ، اللهُمَّ هب لعمِّي عافيتك وارفع له درجته ، واجلعه عندك في علِّيِّين[1] .

١٦ ــ ثناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما عن الحسن :

قال عبد الله بن عروة : رأيت عبد الله بن الزبير قعد إلى الحسن بن علي في غداة من الشتاء باردة قال : فوالله ما قام حتى تفسّخ جبينه عرقاً فغاظني ذلك ، فقمت إليه فقلت : يا عم ! قال : ما تشاء ؟ قال : قلت رأيتك قعدت إلى الحسن بن علي ، فأقمت إليه حتى تفسخ جبينك عرقاً قال : يا ابن أخي إنه ابن فاطمة ، لا والله ما قامت النساء عن مثله[2] .

١٧ ــ بين الحسن والحسين رضي الله عنهما :

ذكر ابن خلكان (بصيغة التمريض) وقيل : دار بين الحسن والحسين كلام فتقاطعا فقيل للحسين ، لو أتين أخاك فهو أكبر منك سناً منك ، فقال : فإن الفضل للمبتدئ وأنا أكره أن يكون لي الفضل على أخي ، فبلغ ذلك الحسن فأتاه[3] .

١٨ ــ أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدة وخالاً وخالة وعماً وعمة :

قال معاوية ــ وعنده عمرو بن العاص وجماعة من الأشراف ــ من أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدّة وخالاً وخالة وعماً وعمّة ؟ فقام النعمان بن العجلان الزُرقاني ، فأخذ بيد الحسن فقال : هذا أبوه

---

1 ذخائر العُقبى صـ ٣٣٧ .
2 تاريخ ابن عساكر (٧٠/١٤) .
3 وفيات الأعيان (٦٩/٢) .

علي وأمه فاطمة وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدته خديجة ، وعمّه جعفر ، وعمته أمّ هاني بنت أبي طالب ، وخاله القاسم ، وخالته زينب[1] .

١٩ ــ محبة الناس له ولأخيه الحسين وازدحامهم عليهما في البيت الحرام :

قال أبو سعيد : رأيت الحسن والحسين صليا مع الإمام العصر ثم أتيا الحجر فاستلماه ثم طافا أسبوعاً وصليا ركعتين ، فقال الناس : هذان ابنا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فحطمهما الناس حتى لم يستطيعا أن ويمضيا معهما رجل من الركانات وأخذ الحسين بيد الركاني[2] ، وردّ الناس عن الحسن ـــ وكان يجله وما رأيتهما مرّا بالركن الذي يلي الحجر من جانب الحجر إلا استلماه قال : قلت لأبي سعيد[3] ، فلعله بقي عليهما بقيه من سُبُوع قطعته الصلاة ؟ قال : لا بل طافا أسبُوعاً تاماً[4] .

ثالثاً : من أقواله وخطبه ومواعظه التي حفظها عنه الناس :

١ ــ قال الحسن بن علي : هلاك الناس في ثلاث : الكبر والحرص والحسد ، فالكبر هلاك الدين ، وبه لُعن إبليس ، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد السؤ ومنه قتل قابيل هابيل[5]

---

1 تاريخ ابن عساكر (٧٠/١٤) .

2 كأنه منسوب إلى ركانه بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب الذي صارعه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ، كما في مادة ركن من القاموس وشرحه .

3 القائل الراوي وهو عمارة بن معاوية الدّهني .

4 تاريخ ابن عساكر (٦٩/١٤) .

5 علموا أولادم حب صـ ٣١ .

فهذه الأمراض القلبية حذر منها الحسن بن علي رضي الله عنه وهي من أشد الأمراض علة وإليك بعض البيان :

أ ــ مرض الكبر : **قول الحسن** : **فالكبر هلاك الدين وبــه لعــن إبلس** :

الكبر نقيض التواضع ، وهو استعظام النفس واستكبار حالــة نفسه ، والنظر إلى الآخرين بعين الاحتقار وهو مــن عظــيم الآفات ، وعنه تتشعب أكثر البليات يستوجب به من الله عــز وجل سرعة العقوبة والغضب لأن الكبر لا يحق إلا لله عز وجل ، ولا يليق ولا يصلح لمن دونه ، إذ كل من سواه عبد مملوك ، وهو المليك الإله القادر ، فيستحق المتكبر أن يقصمه الله عــز وجل ويحقره ويصغره ، إذ تعدى قدره ، وتعاطى ما لا يصلح لمخلوق[1] .

ــ **علامات الكبر** ، وللكبر علامات في الظاهر تــدل عليــه ، فمنها : حب التقدم على الناس ، وإظهار الترفع عليهم ، وحب التصدر في المجالس والتبختر في المشية ، والاستنكاف من أن يرد عليه كلامه وإن كــان بــاطلاً ، والامتنــاع مــن قبولــه ، والاستخفاف بضعفاء المسلمين ومساكينهم ، ومنــها تزكيتــه لنفسه والثناء عليها ، والفخر بالآباء والتبجح بالنسب ، والتكبر

[1] منهج الإسلام في تزكية النفس ٣٤٢ .

بالمال والعلم ، والعمل والعبادة والجمال والقوة ، وكثرة الأتباع والأنصار والعشيرة ونحو ذلك[1] .

الوقاية والعلاج من هذا المرض :

- ــ أن يُسائل المسلم نفسه وأن يراقب قلبه ، هل هو متكبر ؟ هل يميل إلى التكبر ؟ فإن وجد نفسه ميالاً إلى التواضع كارهاً التكبر وأهله ، فليحمد الله عز وجل على ما أنعم عليه وأفضل وإلا عاتب نفسه ، وحاسبها وجاهدها ، وعاقبها بكثرة الذكر والعبادة والصيام والطاعة وحرمانها من كثير من الراحة واللهو والرغبات المباحة حتى تعود إلى رشدها ، وتبتعد عن طريق غيها ، وتشفى من مرضها .

- وأن يضع المسلم نصب عينه حقيقة هذا المرض ونتائجه في الدنيا والآخرة ، وحكمه في الشريعة ، وعقابه في الدنيا والآخرة ، ومن القرآن والسنة والواقع ، وقصص الصالحين وحياتهم ، فهذا القرآن الكريم يظهر أن الكبر من صفات الشيطان قال تعالى في إبليس اللعين : ((**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**)) (البقرة ، الآية : ٣٤) .

والمتكبر لا يحبه الله ، كما قال تعالى : ((**لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**)) (النحل ، الآية : ٢٣) .

[1] المصدر نفسه صـ ٣٤٢ .

وقال سبحانه : ((**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**)) (لقمان ، الآية : ١٨) .

والخيلاء والفخر من أوصاف المتكبر ، والمتكبر متعرض لأن يطبع الله على قلبه ، كما قال تعالى : ((**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**)) (غافر ، الآية : ٣٥) .

فإن تكبر بالعلم والعبادة وهو أعظم آفات التكبر ، فعليه أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم ...... ، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العالم ، وبالتكبر يعصي الله عز وجل عن علم فجنايته أفحش وخطره أعظم ، وأن تكبر من جهة النسب ، فليعلم أن هذا تعزز بكمال غيره ثم يعلم أباه وجدّه ، فإن أباه القريب نطفة قذرة ، وأباه البعيد تراب ، ومن اعتراه الكبر بالجمال ، فلينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم ، ومن اعتراه من جهة القوة ، فليعلم أنه لو آلمه عرق عاد أعجز من عاجز ، ومن تكبر بسبب الغنى فلينظر لمن هو أغنى منه قارون وهامان وما حل بهما ، من كل ذلك يجد نفسه أصغر من أن يتكبر ، وما عليه إلا أن يتواضع فيرفعه الله ويعزه ، ويعلو شأنه ويرضى الله عنه في الدنيا والآخرة وأن يعتبر بالآخرين ممن ذكروا في القرآن الكريم أو السنة الشريفة ، أو من قصص الأقدمين والحاضرين ممن تكبروا ، فما

كان مصيرهم ومآلهم وخزيهم في الدنيا والآخرة ؟ يعتـــبر منـــهم فيتقي نفسه من التكبر ويعالجهـــا إن مرضـــت ، وأن يـــصاحب المتواضعين من الصالحين لينتفع منهم ويكسب من أخلاقهم وأقوالهم وطريقة معاملتهم للآخرين ويبتعد عن المتكبرين ولا يجالسهم ، حتى لا يكسب منهم ما يضره في الدنيا والآخرة ، أو يتأثر بهم فينساق في أهوائهم وضلالاتهم[1] .

ب ـــ الحرص : قول الحسن : والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه[2] ، فهذا مثل عظيم جداً ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفـــساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا ، وأنَّ فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا في الغنم قد غاب عنها رِعاؤها ليلاً ، فهما يأكلان في الغـــنم ويفترسان فيها ، ومعلوم أنه لا ينجلو من الغنم مـــن إفـــساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل ، فأخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ حرص المرء على المـــال والشرف إفساد لدينه ليس بأقلَّ من إفساد الذئبين لهذه الغنم ، بل إمـــا أن يكـــون مساوياً وإما أكثر . يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مـــع

1 منهج الإسلام في تزكية الإسلام صـ ٣٤٦ .
2 الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان رقم ٣٢١٨ حسن صحيح .

حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل ، فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شرِّ الحرص على المال والشرف في الدنيا فأما الحرص على المال فهو على نوعين :

ــ حال من حرص على جمع المال :

* **أحدهما شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة** والمبالغة في طلبه ، والجدُّ في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة وقد ورد أن سبب الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع ، كما أخرجه الطبراني[1] من حديث عاصم بن عديّ رضي الله عنه قال : اشتريت مائة سهم من سهام خيبر فبلغ ذلك النبيَّ صلّى الله عليه وسلم فقال : ما ذئبان ضاريان ضَلاَّ في غنم أضاعها ربُّها بأفسد في طلب المسلم المال والشرف لدينه[2] . وقد علق ابن رجب ــ رحمه الله ــ على الحديث فقال : ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة له ، وقد يُمكِّن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم ، فضيَّعه بالحرص في طلب رزق مضمون مقسوم لا يأتي منه إلا ما قُدِّر وقُسم ، ثمَّ لا ينتفع به ، بل يتركه لغيره ، ويرتحل عنه فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره فيجمع لمن لا يحمده ، ويقدَّم على مَنْ لا يعذره لكفاه بذلك ذماً للحرص ، فالحريص يضيع زمانه الشريف ،

---

1 الطبراني في الأوسط (٤٧٠/١) رقم ٨٥٥ .
2 الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان رقم ٣٢١٨ حسن صحيح .

ويخاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب الأخطـــار لجمع مال ينتفع به غيره ، كما قيل :

ومن ينفق الأيام في جمع ماله

مخافة فقر فالذي فعل الفقر[١]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : اليقين أن لا ترضي النـــاس بسخط الله ولا تحسدنَّ أحداً على رزق الله ، ولا تلوم أحـــداً على ما لم يؤتك الله ، فإنّ الرزق لا يسوقه حِرصُ حريصٍ ، ولا ترده كراهة كاره ، فإن الله بقسطه جعل الروح والفـــرح في اليقين والرِّضا . وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسَّخط[٢] ، وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله لحرص المرء على الدنيا أخوف عليه عندي مـــن أعْدَى أعدائه . وكان يقول : يـــا أخوتاه لا تغبطوا حريصاً على ثروته وسعته في مكـــسب ولا مال وانظروا له بعين المقت له في اشتغاله اليوم بما يرديه غداً في المعاد ثمَّ يتكبَّر وكان يقول : الحرص حرصان : حرص فاجع ، وحرص نافع ، فأما النافع فحرص المرء على طاعة الله ، وأما الحرص الفاجع ، فحرص المرء على الدنيا[٣] . وكتب بعـــض الحكماء إلى أخ له كان حريصاً على الدنيا : أما بعد : فإنك أصبحت حريصاً على الدنيا تخدمها وهي تخرجُك من نفسها بالأعراض والأمراض والآفات والعلل ، كأنك لم تر حريـــصاً

[1] ما ذئبان جائعان لابن رجب صـ ٢٣ .
[2] المصدر نفسه صـ ٢٦ .
[3] ما ذئبان جائعان صـ ٢٦ .

محروماً ولا زاهداً مرزوقاً وقال بعض الحكماء : أطول الناس هماً الحسود ، وأهنؤهم عيشاً القنوع وأصبرهم علـــى الأذى الحريص ، وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا وأعظم ندامة العالم المفرِط[1] . قال الشاعر :

الحرص داء قد أضـــرَّ

بمن تـــرى إلاَّ قليـــلا

كم من حريص طامع

والحرص صيَّرهُ ذليلاً[2]

وقال الشاعر محمود الوراق :

ونازح الـــدار لا ينفك مغترباً

عـــن الأحبـــة لا يـــدرون

بالحال

بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها

لا يخطر الموت من حـــرص

على بال

ولو قنعت أتاك الرزق في دعة

---

[1] المصدر نفسه صـ ٢٧ .
[2] المصدر نفسه صـ ٢٧ .

إنَّ القنـــوع الغِنَى لا كثرة

المـــال

وقال أيضاً :

أيهـــا المتعب جهـــداً نفسه

يطلـــب الدنيـــا حريـــصاً

جاهداً

لا لك الدنيا ولا أنتَ لهـــا

فاجعـــلِ الهمـــينِ همـــــاً

واحـــداً[1]

وأما النوع الثاني : من الحرص على المال أن يزيد على ما ســبق ذكره في النوع الأول ، حتى يطلب المال من الوجوه المحرّمة ويمنع الحقوق الواجبة ، فهذا من الشحِّ المذموم ، قال الله تعالى : ((**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)) (التغابن ، الآية : ١٦) . وفي سنن أبي داود عن عبد الله بـــن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا الشحَّ فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا[2] ، وقال

---

[1] المصدر نفسه صـ ٢٩ .

[2] سنن أبي داود (٣٢٤/٢) رقم ١٦٩٨ ، صححه الألباني .

طائفة من العلماء : الشُّحُّ هو الحرص الشديد الـذي يحمـل صاحِبَهُ على أن يأخذ الأشياء من غير حِلِّها ، ويمنعها حقوقها[1] ، والبخل هو إمساك الإنسان ما في يده . والشّحُ تناول مـا ليس له ظلماً وعُدْواناً من مال أو غيره . حتى قيل : إنه رأس المعاصي كلِّها ، وبهذا فسَّرَ ابن مسعود رضي الله عنه وغـيره من السلف الشحَّ والبخل[2] ، وقد يستعمل الشُّح بمعنى البخل وبالعكس ، ولكنَّ الأصل هو التفريق بينهما على ما ذكرنـاه ومتى وصل الحرص على المال إلى هذه الدرجة نقص بـذلك الدين والإيمان نقصاً بيِّناً ، فإن منع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بهما الدين والإيمان بلا ريب حتى لا يبقـى منـه إلا القليل[3] ، **وأما حرص المرء على الشرف فهو أشد إهلاكاً** من الحرص على المال ، فإن طلب شرف الدنيا والرفعـة فيهـا ، والرياسة على الناس ، والعُلُوِّ في الأرض أضرُّ على العبد مـن طلب المال ، وضرره أعظم ، والزهد فيه أصعب ، فإن المـال يبذل في طلب الرياسة والشرف والحرص على الشرف قسمين : أحدهما : طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال ، وهـذا خطر جِدًّا وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزَّها ، قال تعالى : ((**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ**

---

[1] ما ذئبان جائعان صـ ٣١ .
[2] المصدر نفسه صـ ٣١ .
[3] المصدر نفسه صـ ٣١ .

لِلْمُتَّقِينَ)) (القصص ، الآية : ٨٣) ، وقلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيُوفَّقُ ، بل يُوكَلُ إلى نفسه ، كما قال صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه : يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أُعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها[1] . واعلم أنَّ الحرص على الشرف يستلزم ضرراً عظيماً قبل وقوعه في السّعي في أسبابه ، وبعد وقوعه بالحرص العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظُّلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد[2] . وأما القسم الثاني ، طلب الشرف والعلوِّ على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد ، فهذا أفحش من الأول ، وأقبح فساداً وخطراً ، فإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب به ما عند الله من الدرجات العُلى والنعيم المقيم ، القُرب منه ، والزُّلفى لديه[3] ، وأما طريقة العلاج من الحرص المذموم ، فيكون بالزهد وفيه أسباب عديدة منها :

ـــ نظر العبد إلى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والإمارة لمن لا يؤدي حقها في الآخرة .

ـــ نظر العبد إلى عقوبة الظالمين والمتكبرين ، ومن ينازع الله رداء الكبرياء .

---

[1] البخاري رقم ٦٦٢٢ .

[2] ما ذئبان جائعان صـ ٤٣ ، ٣٥ .

[3] المصدر نفسه صـ ٤٧ .

ــ نظر العبد إلى ثواب المتواضعين لله في الدنيا بالرفعة في الآخرة ، فإن من تواضع لله رفعه الله .

ــ وليس هو في قدرة العبد ولكنه من فضل الله ورحمته ما يعوِّض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يغني المال والشرف مما يعجِّلُهُ الله لهم في الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر ، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة في الباطن ، وهي الحياة الطيبة التي وعدها الله لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك في الدُّنيا ولا أهل الرياسات ، والحرص على الشرف كما قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجادلونا عليه بالسيوف . ومن رزقه الله ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل ، والرياسة الفانية[1]، قال تعالى : ((**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**)) (الأعراف ، الآية : ٢٦) وقال : ((**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**)) (فاطر ، الآية : ١٠) . فالحسن بن علي رضي الله عنه يحذرنا من الحرص المذموم ولذلك قال : الحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة[2] .

جــ ــ الحسد : قال الحسن : والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل :

---

[1] ما ذئبان جائعان صـ ٧٥ ، ٧٦ .

[2] علموا أولادكم حب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم صـ ١٣١ .

الحسد نقيض الحب الذي هو تمني الخير للآخرين ، فهو تمني زوال النعمة عن المحسود ، وهو مرض مهلك مذموم وقبيح ، أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمره بالاستعاذة من شر الشيطان ، فقال تعالى : ((**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**)) (الفلق ، الآية : ٥) ، وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً[1] ، وقال أنس : كنا يوماً جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع علينا رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه ، قد علّق نعليه في يده الشمال ، فسلم ، فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل ، وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل ، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له : إني لآحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تأويني إليك حتى تمضى الثلاث فعلت ، فقال : نعم فبات عنده ثلاث ليال ، فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا انقلب عن فراشه ذكر الله تعالى ، ولم يقم إلا لصلاة الفجر ، قال : غير أني ما سمعته يقول إلا خيراً فلما مضت الثلاث ، وكدت أن أحتقر عمله فقلت : يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هَجْر ، ولكني

[1] البخاري رقم ٦٠٦٥ .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كـــذا وكـــذا ، فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملاً كثيراً ، فمـــا الذي بلغ بك ذاك ؟ فقال : ما هو إلا ما رأيت فلما وليـــت دعاني فقال : ما هو إلا ما رأيت ، غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشاً ولا حسداً على خير أعطـــاه الله إياه . قال عبد الله فقلت له هي التي بلغت بك ، وهي التي لا نطيق[1] ، والحسد له أسباب كثيرة منها العـــداوة والبغـــضاء والعجب وحب الرياسة ، وخبث النفس وبخلها وغيرها مـــن أمراض القلب الأخرى، فالحسد جامع الآفات والأمـــراض ، وهو من أشدها مذهباً للدين والإيمان والحب والإخاء ، وهو مفسدة وأي مفسدة ويكثر الحسد بين أقوام تكثـــر بينـــهم الأسباب التي ذكرناها ، ويقع ذلك غالبـــاً بـــين الأقـــران ، والأمثال والإخوة وبني العم ، وأصحاب المهن والأعمـــال ، وبين العلماء والتجار ، لأن سبب التحاسد توارد الأغـــراض على مقاصد يحصل فيها فيثور التنافر والتباغض ، فأصل الحسد التزاحم على غرض واحد ومنشأ جميع ذلك حـــب الـــدنيا ، والدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين[2] .

ــ علاج مرض الحسد :

هناك عدة أدوية تقي وتعالج من مرض الحسد منها :

---

[1] مسند أحمد (١٦٦/٣) إسناده صحيح .
[2] منهج الإسلام في تزكية النفس صـ ٣٤٠ .

ـــ العلم بأن مرض الحسد ضرر على الحاسد في الدين والدنيا ، وأنه لا يضر المحسود في الدين ولا في الدنيا ، وأن النعمة لا تزول عن المحسود بحسد الحاسد ، فماذا يستفيد الحاسد من حسده إلا البغض والألم والحسرة والانفعال وذهاب الـــدين والدنيا ، فكيف يريد الحاسد زوال نعمة أنعمها الله عز وجل على المحسود ، فالله أحب أن ينعم على عبـــده ، والحاســـد يحب زوالها فقد أحب ما كره الله وكره ما أحب الله وهذا داء مزيل للإيمان ، لأن صاحبه لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير .

ـــ التذكر الدائم لمساوئ هذا المرض في الدين والدنيا ، وبغض الله عز وجل له وكراهية النبي صلى الله عليه وســـلم لـــه ، والنتيجة التي ينالها الحاسد في الدنيا والآخرة كل يساعد على فهم حقيقة الحسد ، والوقاية منه والبعد عنه وطلب العلاج .

ـــ العبرة من الآيات والأحاديث والقصص وواقع الحاسدين ، ونتائج حسدهم ، كل ذلك يساعد على الوقاية والعلاج من هذا المرض الخطير .

ـــ محاسبة النفس ومعاتبتها عند كل فكرة حسد تعرض عليه ، ومحاولته كف نفسه عن المحسود ، بل الثناء عليه ، والدعاء له ، بالحفظ والزيادة ، ولا مانع من أن يتمنى لنفسه مثل ذلك دون حسد الآخرين .

ــ الرضا بعطاءِ الله ومنحه ، والقناعة بذلك ، والإيمان بـــأن الرزق والعطاء والفضل من الله يؤتيه من يشاءِ وكيفما يشاءِ ، ولا أحد يستطيع أن يزيل نعمة أنعمها الله على عبد مـــن عباده ، وأنه لا ينال عطاء الله إلا بفضل الله وإرادتـــه ، ولا يملك العبد إلا الرضا والدعاءِ والالتجاء ، فلِمَ لا يقف العبد على الباب الذي يجلب الخير ؟ ولِمَ يبتعد عن المرض الـــذي يجلب الشر[1] ؟ فالحسن بن علي رضي الله عنه يحذرنا مـــن الحسد ولذلك قال : والحسد رائد السوءِ ومنه قتل قابيـــل هابيل[2] ، عندما حسد أخيه على تقبل الله منه ولم يتقبل منه هو .

٢ ــ مقام الرضا بين الحسن وأبي ذر :

قال أبو العباس محمد بن يزيد المُبَرِّدُ : قيل للحسن بن علـــيٍّ : إن أبا ذرٍّ يقول : الفقر أحبُّ إليَّ من الغنى ، والسَّقم أحبُ إليَّ من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذرَّ ، أما أنا فأقول : مـــن اتَّكل على حسن اختيار الله له لم يتمنَّ أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له وهذا حد الوقوف على الرِّضا بما تصرَّف به القضاء[3] . إن الحسن بن علي رضي الله عنه في حديثه هـــذا يصف لنا شيئاً من أعمال القلوب وهذا دليل على معرفته بهذا العمل العزيز ، فالرضا من أعمال القلوب ، نظير الجهاد مـــن

---

[1] منهج الإسلام في تزكية النفس صـ ٣٤١ .
[2] علموا أولادكم محبة آل بيت النبي صـ ٣١ .
[3] البداية والنهاية (١١/١٩٩) .

أعمال الجوارح ، فإنَّ كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان[1] ، فالرضا ثمرة من ثمار المحبة ــ لله عز وجل ــ وهـــو أعلـــى مقامات المقرّبين ، وحقيقته غامضة على الأكثرين . وهو باب الله الأعظم ، ومستراح العارفين ، وجنة الدنيا ، فجدير بمـــن نصح نفسه أن تشتد رغبته فيه ، وأن لا يستبدل بغيره منـــه ورضا الله على العبد أكبر من الجنة وما فيهـــا ، لأن الرضـــا صفة الله والجنة خلقه قال تعـــالى : ((**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**)) (التوبة ، الآية : ٧٢) ، بعـــد قولـــه : ((**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**)) (التوبة ، الآية : ٧٢) . وهذا الرضا جزاء من رضاهم عنه في الدنيا ، ولما كان هذا الجزاء أفضل الجزاء ، كـــان ســـببُه أفضال الأعمال ، والسخط باب الهمِّ والغمِّ وشتات القلب ، وكَسْف البال ، وسُوء الحال ، والظنَّ بالله خلاف ما هو أهله ، والرضا يخلّصه من ذلك كلّه ، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة ، فالرضا يوجب له الطمأنينـــة وبَـــرد القلـــب وسكونه وقراره ، والسُّخط يُوجب اضطراب قلبه ، وريبتـــه وانزعاجه ، وعدم قراره ، والسُّخط يوجب تلـــون العبـــد ، وعدم ثباته مع الله ، فإنه لا يرضى إلاَّ بما يلائم طبعه ونفسه ،

[1] مدارج السالكين (٢/٢١٤) .

والمقادير تجري دائماً بما يلائمه وما لا يلائمه ، وكلّها جـــرى عليها منه ما لا يلائمه أسخطه فلا تثبت له قدم على العبودية ، فإذا رضي عن ربه في جميع الحالات استقرت قدمه في مقام العبودية ، فلا يُزيل التلوُّن عن العبد شئٌ مثل الرضا ، والرضا يفرِّغ القلب لله ، والسُّخط يُفرِّغ القلب من الله ، فإنّ من ملأ قلبه من الرضا ، ملأ الله صدره غنىً وأمناً وقناعة وفرّغ قلبـــه لمحبّته والإنابة إليه والتوكل عليه ، ومن فاته حظُّه من الرضـــا امتلأ قلبه بضدّ ذلك واشتغل عمّا فيه سعادته وفلاحه ، وبداية الرضا مكتسبة للعبد وهي من جملة المقامات ، ونهايته من جملة الأحوال وليس مكتسبة ، فأوَّله مقام ونهايته حال وقد مـــدح الله أهله وأثنى عليهم وندبهم إليه ، فدلّ ذلك على أنّه مقدور لهم . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاق طعـــم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً[1] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال حين يـــسمع المؤذن : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـــريك لـــه ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً ، وبمحمـــد رسولاً ، وبالإسلام ديناً . غفر الله له ما تقدم من ذنوبـــه[2] . قال ابن القيم : وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين ، وإليهما ينتهي . وقد تضمّنا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته ، والرضا برسوله ، والانقياد لـــه والرضا بدينه ، والتسليم له .

---

[1] مسلم رقم ٤٣ (٦٢/١) .
[2] مسلم رقم ٣٨٦ (٢٩٠/١) .

ومن اجتمعت له هذه الأربعة ، فهو الصديق حقّاً ، وهي سهلة بالدعوى واللسان ، وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان ، ولاسيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادّها ، من ذلك تبيّن أن الرضا كان لسانه به ناطقاً ، فهو على لسانه لا على حاله .

ـــ **فارضا بإلهيته** : يضمن الرضا بمحبته وحده وخوفه ، ورجائه والإنابة إليه ، والتبتُّل إليه ، وانجذاب قوى الإرادة والحبّ كلها إليه ، فعل الراضي بمحبوبه كلّ الرضا ، وذلك يتضمّن عبادته والإخلاص له .

ـــ **والرضا بربوبيّته** : يتضمّن الرضا بتدبيره لعبده ، ويتضمّن إفراده بالتوكل عليه ، والاستعانة به ، والثقة به ، والاعتماد عليه ، وأن يكون راضياً لكل ما يفعل به ، فالأول ، يتضمن رضاه بما يؤمر به ، والثاني : يتضمّن رضاه بما يُقدِّر عليه .

ـــ **وأما الرضا بنبيّه رسولاً** : فيتضمن كمال الانقياد له ، والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه وأن يكون متميزاً بمكانته عن غيره من البشر فلا يشاركه أحداً مكانته ولا خصوصيته ، فلا يتلقّى الهدى إلا من مواقع كلماته ، ولا يحاكم إلا إليه ، ولا يحكّم عليه غيره ، ولا يرضى بحكم غيره البتة ، ولا في شئ من أسماء الربّ وصفاته وأفعاله ، ولا في شئ من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته ، ولا في شئ من أحكام ظاهره وباطنه ، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره ، ولا

يرضى إلا بحكمه ، فإن عجز عنه كان تحكيمه غيَره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يعينُهُ إلا من الميتة والدم ، وأحسن أحواله : أن يكون من باب التراب ، الذي إنما يُتيمَّم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور ، وأما الرضا بدينه ، فإذا قال ، أو حكم أو أمر ، أو نهى : رضي كل الرضا ، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه ، وسَلَّم له تسليماً ، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها أو قوْل مُقلِّده وشيخه وطائفته[1] .. وقال : .. فإن الرضا آخر التوكّل ، فمن رسخ قدمه في التوكل والتسليم والتفويض حصل له الرضا ولابدّ ، ولكن لعزَّته وعدم إجابة أكثر النفوس له ، وصعوبته عليها ــ لم يُوجبه الله على خلقه ، رحمة بهم ، وتخفيفاً عنهم ، لكن ندبهم إليه ، وأثنى على أهله ، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم ، الذي هو أعظم وأكبر وأجل من الجنان وما فيها ، فمن رضي عن ربِّه رضي الله عنه ، بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه ، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده ، رضا قلبه ، أوجب له أن يرضى عنه ، ورضاً بعده وهو ثمرة رضاه عنه ، ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، ومستراح العارفين ، وحياة المحبّين ، ونعيم العابدين ، وقُرّة عيون المشتاقين .

كيف تحقق الرضا ؟ :

[1] مدارج السالكين (١٧٢/٢ ـ ١٧٣) صلاح الأمة في علو الهمّة (٤٩١/٤ ، ٤٩٢) .

إن من أعظم أسباب حصول الرضا : أن يلزم ما جعـــل الله رضاه فيه ، فإنه يوصله إلى مقام الرضا ولابد . قيل ليحي بن معاذ : متى يبلغ العبد مقام الرضا ؟ فقال : إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يُعامل به ربَّه ، فيقول : إن أعطيتني قبلت ، وإن منعتني رضيت ، وإن تركتني عبدت ، وإن دعوتني أجبت . وقال الجنيد : الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلـــب ، فإذا باشر القلب حقيقة العلم ، أدّاه إلى الرضا ، وليس "الرضا والمحبة" كالرجاء والخوف ، فإنّ الرضا والمحبة حـــالان مـــن أحوال أهل الجنة ، لا يفارقان المتلبِّس بها في الـــدنيا ، ولا في البرزخ ، ولا في الآخرة ، بخلاف الخوف والرجاء ، فإنهمـــا يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجونه ، وأمّنهم مما كانوا يخافونه ، وإن كان رجاؤهم لمـــا ينالون من كرامتـــه دائمـــاً لكنّه ليس رجاءً مشوباً بشكٍّ ، بل هو رجاء واثـــق بوعـــد صادق ، من حبيب قادر ، فهذا لون ورجاؤهم في الدنيا لون . وقال ابن عطاء : الرضا سكون القلب إلى قديم اختيـــار الله للعبد أنَّه اختار له الأفضل ، فيرضى به[1] . وقال بعض العارفين : من يتوكل على الله ، ويرضى بقدر الله ، فقد أقام الإيمان ، وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير ، وأقام الأخلاق الـــصالحة التي تُصلح للعبد أمره والرضا يفتح باب حُسن الخلق مـــع الله تعالى ومع الناس ، فإن حسن الخلق من الرضا ، وسوء الخلق

[1] مدارج السالكين (١٧٤/٢ - ١٧٥) .

من السخط ، وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم ، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والرضا يُثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور وطيب النفس وسكونها في كل حال .. ولهذا سمّي بعض العارفين الرضا : حسن الخلق مع الله ، فإنه يوجب ترك الاعتراض عليه في ملكه ، وحذف فضول الكلام التي تقدح في حسن خُلقه[1] .

قال الشاعر :

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر
والدهر ذو دول والرزق مقسوم

والخير أجمع في ما اختار خالقنا
وفي اختياره سواه اللّوْمُ والشُّومُ

وقال الشاعر :

إذا ارتحل الكرام إليك يوماً
ليلتمسوك حالاً بعد حال

فإنَّ رحالنا حطت لترضى
بحلمك عن حلول وارتحال

---

[1] صلاح الأمة (٥١٢/٤) نقلاً عن مدارج السالكين

أنخنا فـــي فنانـــك يا إلهـــي

إليـــك مُعَرَّضـــين بـــــلا

اعتلال

فسُسْنَا كيف شئت ولا تكلنا

إلـــى تدبيرنا يا ذا المعالي[1]

فهذه بعض المعاني في مقام الرضا توضح قول أمـــير المـــؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه عندما قال : من اتكـــل علـــى حسن اختيار الله له ، لم يتمنَّى أن يكون في غير الحالة الـــتي اختار الله له وهذا حد الوقوف على الرضا بما تـــصرَّف بـــه القضاء[2] .

٣ ــ قال أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه : إني أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني ، وكان عظيم ما عظَّمـــه في عيني صِغرُ الدنيا في عينه ، كان خارجاً عن سلطان بطنه ، فـــلا يشتهي مالا يجد ، ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من ســـلطان فرجه ، فلا يستخف له عقله ولا رأيه ، وكان خارجاً من سلطان الجهلة ، فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة ، كان لا يسخط ولا يتبرم ، كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه علـــى أن يتكلم ، وكان إذا غُلِب على الكلام لم يُغلَب على الصمت ، كـــان أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال بذَّ القائلين ، كان لا يشارك في دعوى

[1] صلاح الأمة في علو الهمّة (٥٢٩/٤) .
[2] البداية والنهاية (١٩٩/١١) .

، ولا يدخل في مراء ، ولا يدلي بحجة حتى يُرى قاضياً يقول ما يفعل ، ويفعل ما لا يقول تفضلاً وتكرماً ، كان لا يغفل عن أخوانه ، ولا يستخص بشئ دونهم ، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العُذر بمثلـه ، كان إذا ابتدأه أمران لا يَرى أيهما أقرب إلى الحقِّ ، نظر فيما هـو أقرب إلى هواه فخالفه[1] . ففي هذا الأثر ترشيد وتوضيح وتعليم للناس نحو صفات كريمة وأخلاق حميدة ، وهذا منهج سلوكي رفيع ينبغي أن نربي عليه أنفسنا وأبنائنا حتى يتحول إلى واقع ملموس في الحياة ، ونستفيد من ذلك الأثر دروساً وعبر منها :

ـ قول الحسن رضي الله عنه : وكان عظيم ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه[2] : ولا تصغر الدنيا إلا في عين من عرف حقائق الأمور واستقر التصور الصحيح عن الله والحياة والكون والجنة والنار ، والقضاء والقدر واستوعب بعمق فقه القدوم على الله تعالى فعمل للباقي وترفع عن الفاني ، وأيقن أن الدنيا دار اختبار وابتلاء وعليه ، فإنه مزرعة للآخرة ، ولذلك تحـرّر من سيطرة الدنيا بزخارفها ، وزينتها ، وبريقها وخضع وانقاد وأسلم نفسه لربه ظاهراً وباطناً ، وكان وصل إلى حقائق استقرت في قلبه ساعدته على الزهد في هذه الدنيا ، ومن هذه الحقائق .

---

[1] المصدر نفسه (١١/١٩٩) .
[2] المصدر نفسه (١١/١٩٩) .

* اليقين التام بأننا في هذه الدنيا أشبه بالغرباء أو عابري سبيل ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل[1] .

* إن هذه الدنيا لا وزن لها ولا قيمة عند رب العزة إلا ما كان منها طاعة لله تبارك وتعالى ، إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء[2] ، وقال صلى الله عليه وسلم : الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً أو متعلماً[3] .

* إن عمرها قد قارب على الانتهاء ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم : بعثت أنا والساعة كهاتين بالسبّابة والوسطى[4] ، وتبدأ قيامة الإنسان بموته والعمر قصير ، فإذا استثنينا منه فترة الطفولة والنوم والكدر فكم يصفى لنا منه .

* إن الآخرة هي الباقية ، وهي دار القرار ، كما قال مؤمن آل فرعون : ((**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ** القرَار * **مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**)) (غافر ، الآية : ٣٩ ، ٤٠) فإذا استقرت هذه الحقائق في قلب الأخ المسلم تصغر الدنيا في عينه .

---

[1] الترمذي ، ك الزهد رقم ٢٣٣٣ وهو حديث صحيح .
[2] الترمذي ، ك الزهد رقم ٢٣٢٠ .
[3] الترمذي ، ك الزهد رقم ٢٣٢٢ وقال : حسن غريب .
[4] مسلم ، ك الفتن وأشراط الساعة رقم ١٣٢ ـ ١٣٥ .

ـ **قول الحسن رضي الله عنه : كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي مالا يجد ولا يكثر إذا وجد**[1] ، ففي هذا التوجيه دعوة إلى ترك فضول الطعام ، لأنه داع إلى أنواع كثيرة من الشرب ، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي ويثقلها عن الطاعات وحسبك بهذين شراً ، فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام ، وكم من طاعة حال دونها ، فمن وقي شر بطنه فقد وقي شراً عظيماً والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام[2] ، ولذلك حذرنا ربنا سبحانه من إتباع وساوسه ومكائده التي تؤدي إلى طغيان شهوة البطان وعدم الاكتفاء بالحلال ، فقال تعالى : ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ** مُبِين)) (البقرة ، الآية : ١٦٨) ، كما أرشد سبحانه إلى الاعتدال في الطعام والشراب لئلا يؤدي ذلك إلى تسلط شهوة البطن وانحرافها قال تعالى ((**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِين**)) (الأعراف ، الآية : ٣١) . فالأمر التي تدل على تسلط شهوة البطن أن يُكثر صاحبها من الطعام والشراب فوق الحاجة ، ويبالغ في الشبع ويفرط فيه وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أخطار هذا الإسراف وضرره على الجسد والنفس ، وذلك فيما رواه الترمذي عن مقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال : سمعت

---

1 البداية والنهاية (١٩٩/١١) .
2 جهاد النفس / على الدهامي صـ ٩٣ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه ، فإن كـــان لا محالـــة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه[1] . وفي هذا الحـــديث النبوي بيان للمنهج السوي الذي ينبغي التمسك به في الإقلال من الطعام والشراب وعدم الإسراف في شـــهوة الـــبطن لأن هـــذا الإسراف يؤدي إلى الشر الكبير ، وليس المقصود بالشر هنـــا مـــا يتعلق بأمراض المعدة فحسب ، وإنما المقصود أيضاً الـــشر الـــذي يصيب النفس حينما تعتاد الشرهَ في الطعام والشراب وشدة التعلق بهما فيتحول الطعام من وسيلة للغذاء وتقوية البدن إلى غاية وهدف يسعى صاحبه من أجله ويصبح ذلك السعي شغله الشاغل حـــتى تصبح همته مصروفة إليها ، فمهما شبعت بطنه لا تشبع نفـــسه ، لأن شهوة البطن أضحت عنده مقياس السعادة[2] ، فطغيان شـــهوة البطن لا يعني كثرة الأكل فحسب لأن كثرة الأكل عرض ظاهري لهذا المرض ، وإنما حقيقة المرض في شَرَه النفس وما دِّيتها وتحـــول الطعام من وسيلة إلى غاية حتى يصبح الإنـــسان كالبـــهائم الـــتي تسيِّرها شهواتها وفي ذلك يقول الله عز وجل : ((**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ**)) (محمد ، الآية : ١٢) ، وقد روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الكافر يأكل في ســـبعة

---

[1] الترمذي ، ك الزهد ، رقم ٣٨٠ ، حديث حسن صحيح

[2] أمراض النفس ، د . أنس كرزُون صـ ١٠٩

أمعاء والمؤمن يأكل في معي واحد [1]. ومعنى هذا الحديث أن مـــن شأن المؤمنين التقليل من الأكل للاشتغال بأسباب العبادة ، والكافر بخلاف ذلك كله لأنه تابع لشهوة نفسه مسترسل فيها غير خائف من تبعات الحرام ، وإن أكل قليلا فليس ذلك لزهده في الدنيا وإنما لمراعاة الصحة ورياضة الجسم ، فهو لشدة حرصه علـــى الـــدنيا وتمسكه بها كأنه يأكل في سبعة أمعاء كما تقول : فـــلان يأكـــل الدنيا أكلاً وأما المؤمن فإنه يأكل في معي واحد ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يضرب المثل في هذا الحديث للمـــؤمن وزهـــده في الدنيا وللكافر وحرصه عليها [2]، وقد ذكر النووي ـــ رحمه الله ـــ توجيهاً آخر لهذا الحديث فقال : قيل : المراد بالسبعة سبع صفات ، الحرص والشره ، وطول الأمل ، والطمـــع ، وســـوء الطبـــع ، والحسد ، والسمن [3]. وقد قال : ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ : لعينه وذاته كالمحرمات والثاني : ما يفسده بقدر وتعدي حده كالإسراف في الحلال والشبع المفرط ، فإنه يثقله عن الطاعـــات ، ويـــشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولته حتى يظفر بها ، فإذا ظفر بهـــا شـــغله بمزاولة تصرفها ووقاية ضررها والتأذي بثقلها ، وقوى عليه مـــواد الشهوة ، وطرق مجاري الشيطان ووسعها ، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فالصوم يضيق مجارية ويسد عليه طرقه والشبع يطرقها ويوسعها ، ومن أكل كثيراً شرب كثيراً فنام كثيراً فخسر كثيراً [4]

---

[1] مسلم رقم ٢٠٦٠

[2] فتح الباري شرح البخاري (٩ / ٥٣٨ ـ ٥٣٩)

[3] شرح النووي على صحيح مسلم (١٤ / ٢٣)

[4] مدارج السالكين (٤٥٨/١ـ٤٥٩)

قول الحسن رضي الله عنه : وكان خارجاً من سلطان فرجـه ، فـلا يستخف له عقله ولا رأيه[1] ، فالحسن رضي الله عنه يدعو إلى التحكم في شهوة الفرج ولا يكون إشباعاً إلا بما شرّع المولى عز وجل ، الآن طغيانها يترتب عليه نتائج خطيرة ، كقسوة القلب وضعف الإيمان ، فكلما تمادت شهوة الفرج في الطغيات ازداد القلب قسوة وظلمة ووحشة ابتداء مـن النظر إلى ما حرم الله ثم الاختلاط بين الجنسين وما يتبعه من رجُّل النساء وتخنث الرجال ، وما ينتج عنه من هوين أمر الفاحشة والتمهيد لها حـتى يقع فيها وعندها يتمكن المرض من القلب ، وتبتعد عنه حقيقة الإيمـان ، ومصداق ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزني الزاني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن[2] . قال البخـاري ـــ رحمه الله ـــ عند روايته لهذا الحديث : أي لا يكون هذا مؤمناً تامـاً ولا يكون له نور الإيمان ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا زنى العبد خرج منه الإيمان ، فكان فوق رأسه كالظُلة ، فإذا أخرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمـان[3] . فأصـحاب الكبائر يترع منهم نـور الإيمان ويضعف تعظيم الرب سبحانه من قلوبهم ، إذ لو استشعروا من أتى الكبائر مثل الزنى أو السرقة أو شرب الخمـر وغير ذلك ، فلا بدأ أن يذهب ما في قلبه من تلك الخـشية والخـشوع والنور ، وإن بقى أصل التصديق في قلبه ، وهذا من الإيمان الذي يترع منه عند فعل الكبيرة[4] ومن نتائج طغيان شهوة الفرج ، كثـرة الوقـوع في

[1] البداية والنهاية (١٩٩/١١)
[2] البخاري ، ك الحدود (١٣/٨) مسلم رقم ٥٧ .
[3] صححه الحاكم في المستدرك (٢٢/١) ووافقه الذهبي .
[4] كتاب الإيمان ، لابن تيمية صـ ٢٩ .

المعاصي ، فالمعصية ولو كانت صغيرة تمهد الطريق لأختها حتى تتابع المعاصي ويهون أمرها ولا يدرك صاحبها خطرها ، فالنظرة تؤدي إلى الفكرة ثم يتولد الخاطر في القلب وتتحرك الشهوة وقد يؤدي ذلك إلى العزم على اقتراف الفاحشة ، فإن تيسرت أسبابها وقع فيها ولهذا كانت النظرة مقدمة من مقدمات الزنى ، وباباً من الأبواب الموصلة إليه ، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى ، مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، ، والرجل زناها الخُطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه[1] ، وهكذا تتدرج المعاصي في تسربها إلى قلب العبد وتأثيرها عليه حتى لا يبالي بها ولا يقدر على مفارقتها ويطلب ما هو أكثر منها[2] ، وفي ذلك يقول ابن اقيم ـــ رحمه الله ـــ : إن المعاصي تزرع أمثالها ، ويولد بعضها بعضاً حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها .. حتى تصير هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة ، ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه ، وضاق صدره حتى يعاودها ، حتى إن كثيراً من الفسّاق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ، ولا داعية إليها إلا لما يجده من الألم بمفارقتها[3] . ومن نتائج طغيان شهوة الفرج ، ذهاب الحياء ، فإذا اعتاد العبد على مقارفة الآثام نتيجة لطغيان شهوته ، سيصل إلى حال لا يبالي فيه باطلاع الناس على أفعاله القبيحة ،

---

[1] مسلم رقم ٢٦٥٧ .
[2] أمراض النفس صـ ١٢١ .
[3] الجواب الكافي صـ ٥٩ ـ ٦٠ .

بل أن كثيراً من هؤلاء يخبرون الناس بما يفعلونه ويتباهون به لأنهم انسلخوا من الحياء[1] .

وهكذا نجد أن التهاون في وقاية شهوة الفرج من الانحراف ولو كان يسيراً ، سيؤدي شيئاً فشيئاً إلى ما هو أخطر وحتى لا يقع المرء فريسة طغيان الشهوة التي يصعب التخلص من شرودها ، وتؤدي في النهاية إلى طمس قلب صاحبها وانسلاخه من الأخلاق الفاضلة بالإضافة إلى ما يصيبه من الأمراض النفسية والجسدية[2] ، فقد شرع الإسلام تدابير وقائية من طغيان شهوة الفرج منها :

- **غض البصر وستر العورة :**

لأن الطريق الذي تنفذ منه سهام الشهوة إلى القلب هو البصر ولذلك أمر الله عباده بغض البصر عمّا حرّم عليهم وستر عواراتهم عمن لا يحل لهم قال تعالى : ((**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**)) (النور ، الآية : ٣٠) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد[3].

يقول ابن القيم ـــ رحمه الله : قد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته ، وإذا أطلق بصره أطلق شهوته[4] ويقول أيضاً : النظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في

---

[1] أمراض النفس صـ ١٢٢ .
[2] أمراض النفس صـ ١٢٣ .
[3] مسلم رقم ٣٣٨
[4] روضة المحبين صـ ١٠٩

الرمّية ، فإن لم تقتله جرحته ، وهي بمنزلة الشرارة من النار تُرمـــي في الحشيش اليابس ، فإن لم تُحرقه كلَّه أحرقت بعضه وقد قيل :

كل الحوادث مبداها مـــن النظر

ومعظم النـــار مـــن مُستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها

فتـــك السهام بـــلا قوس ولا وَتر

والمرء مـــا دام ذا عيـــن يُقلِّبـــها

في أعين الغيد موقوف على الخطر

يَسُـــرُّ مقلتـــه مـــا ضـــرّ مهجته

لا مرحباً بـــسرور عـــــاد بالضرر[1]

- ــ **تحريم الاختلاط والأمر بحجاب النساء :**

وقد ورد في بيان ذلك آيات قرآنية وأحاديث نبوية عديدة ومنـــها : قوله تعـــالى : ((**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا** رَحِيماً)) (الأحزاب ، الآية : ٥٩)

[1] المرجع نفسه صـ ١١٤

. وقوله تعالى : ((وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)) الأحزاب ، الآية : ١٥٣) وروى البخاري ومسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله قال : إياكم والدخول على النساء . فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو ؟ قال : الحمو الموت[1] . والحمو : أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج كابن الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم وقوله صلى الله عليه وسلم الحمو الموت . معناه أن الخوف منه أكثر من غيره لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي[2] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم[3] كما ورد التشديد والوعيد في أحاديث عديدة من تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال في اللبس والحركة لما في ذلك من إثارة الشهوات وانحرافها ، روي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال[4] .

- ـــ **الترغيب في الصيام لتسكين الشهو :**

إذا لم يتيسر الزواج و لم يجد المرء المقدرة عليه لسبب من الأسباب فعليه أن يقي نفسه من تسلط الشهوة وذلك بالمبادرة إلى الصيام لما

---

[1] مسلم رقم ٢١٧٢ .
[2] شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٣/١٤) .
[3] مسلم رقم ١٣٤١ .
[4] البخاري ، ك اللباس (٥٥/٧) .

فيه من تسكين الشهوة وتخفيف وطأتها ، وقد ورد في الإرشاد إلى ذلك الحديث الذي رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[1] ، أي : أن الصوم يقطع الشهوة ، ويُلحق بذلك التقليل من الأغذية المحركة للشهوة لكي يكسر من حدتها ويضعف تأثيرها ، فإذا لم يحرص المرء على هذه التدابير الوقائية و لم يلتزم بها ، فإن سهام الشهوة وسمومها لا بد أن تنفذ إلى القلب ما دام على أهبة الاستعداد لقبول هذا الانحراف ، وعندها سيتمادى في مرضه وتتمادى الشهوة في طغيانها يوماً بعد يوم حتى يقع صاحبه في حمأة الرذيلة[2] ، فقول الحسن بن علي رضي الله عنه : كان خارجاً من سلطان فرجه ، فلا يستخفُّ له عقله ولا رأيه[3] ، دعوة صريحة إلى كبح طغيان شهوة الفرج .

ـ قول الحسن بن علي رضي الله عنه : كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه أن يتكلم[4] . وفي هذا احترام للعلماء وتقديرهم والاستفادة منهم ، فتوقيرهم واحترامهم من السنة ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر ويعرف

[1] مسلم رقم ٤٠٠ .
[2] أمراض النفس صـ ١٢٦ .
[3] البداية والنهاية (١١/١٩٩) .
[4] المصدر نفسه (١١/١٩٩) .

لعالمنا حقه[1] . لقد كان سلف هذه الأمة يحترمون علماءهم احتراماً كبيراً ويتأدبون معهم ولقد أكثر أهل العلم من الكلام عن أسلوب التعامل مع العالم في مجلسه ، وأسلوب الحديث معه مما هو مذكور بتوسع في كتب آداب العالم والمتعلم ، ومن أجمع ما رُوي في ذلك ما قاله علي بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ : إن من حق العالم ألاّ تكثر عليه السؤال ، ولا تعنته في الجواب ، وأن لا تُلِحَ عليه إذا كسل ـــ ولا تأخذ بثوبه إذا نهـــض ، ولا تفشينّ له سراً ولا تغتابن عنده أحداً ، وإن زلَّ قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته[2] . وقال : من حق العالم عليك أن أتيته أن تـــسلِّم عليه خاصة ، وعلى القوم عامة ، وتجلس قدامه ، ولا تشر بيديك ، ولا تغمز بعينيك ، ولا تقل قال فلان خلاف قولك ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلح عليه في السؤال فإنه بمترلة النخلة المرطبة لا يزال يـــسقط عليك منهـــا شئ[3] وقال عبد الرحمن بن مهدي ـــ رحمه الله ـــ : كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من هو فوقه في العلم فهو يـــوم غنيمة سأله وتعلم منه وإذا لقي من هو دونه في العلم علَّمه وتواضع له ، وإذا لقي من هو قرينه في العلم ذاكره ودارسه[4] .

ولقد ضرب السلف الصالح أبلغ المثل في الحرص علـــى الطلـــب ، والسعي في الأخذ عن أهل العلم والاستماع إلـــيهم واحتـــرامهم

---

[1] سنن الترمذي رقم ١٩٨٦ صححه ابن حبان رقم ١٩١٣ .
[2] جامع بيان العلم وفضله (١٢٩/١) .
[3] المصدر نفسه (١٤٦/١) .
[4] المحدث الفاصل للرامهرمزي صـ ٢٠٦ ، قواعد في التعامل مع العلاماء ، عبد الرحمن بن معلا اللويحق صـ ٨٦ .

وتقديرهم تشهد لذلك قصصهم التي ساقها الخطيب البغدادي وغيره في هذا المجال .

ــ قول الحسن بن علي رضي الله عنه : كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال بذَّ القائلين ، كان لا يشارك في دعوى ، ولا يدخل في مراء[1] . فالحسن بن علي رضي الله عنه يدعو إلى التقليل من الكلام ، ومنابذة المراء ، وفي الحديث : إذا أصبح العبد فإن الأعضاء كُلها تُكفِّرُ اللسان ، تقول : اتّق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإذا استقمت استقمنا ، وإن أعوججت أعوججنا[2]، وقد كان السلف يحاسب أحدهم نفسه في كلامه ، لئن اللسان أيسر حركات الجوارح وهي أضرُّها على العبد ، وكان الصديق رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول : هذا أوردني الموارد [3]، والكلام أسيركُ ، فإذا اخرج من فيك صرت أنت أسيره والله عند لسان كل قائل ((**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**)) (ق ، الآية : ١٨) .

وفي اللسان آفتان عظيمتان إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى : آفة الكلام ، وآفة السكوت ، وقد يكون كل منهما أعظم إثماً من الأخرى في وقتها ، فالساكت عن الحق شيطان أخرس ، عاص لله ، مراء ، مداهن ؛ إذا لم يخف على نفسه ، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق ، عاص لله ، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته ؛ فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط ــ وهم أهل

---

[1] البداية والنهاية (١١/١٩٩) .
[2] الترمذي رقم ٢٤٠٧ حسنه الألباني في الصحيح الجامع (١/٥١٣٦) .
[3] جهاد النفس صـ ٧٦

الصراط المستقيم ــ كفُّوا ألسنتهم عن الباطل ، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة ، فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة ، فضلا عن أن نضره في آخرته ، وإن العبد ليــأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال ، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلَّها ، ويأتي بسيئات أمثال الجبال ، فيجد لسانه قد هدمها من كثــرة ذكر الله وما اتَّصل به[1] ، فليس الكلام مأمورا به على الإطلاق ، ولا السكوت كذلك ، بل لا بد من الكلام بالخير والسكوت عن الشر ، وكان السلف كثيراً يمدحون الصمت عن الشر ، وعما لا يعــني لشدته على النفس ، ولذلك يقع فيه الناس كثيراً ، فكانوا يعالجون أنفسهم ، ويجاهدونها على السكوت عما لا يعنيهم[2] ، قال الفضيل بن عياض ــ رحمه الله ــ : ما حج ولا رباط ، ولا جهاد أشد من حبس اللسان ، ولو أصبحت يهمك لسانك ، أصــبحت في غــم شديد . وقال : سجن اللسان سجن المؤمن ، ولو أصبحت يهمك لسانك ، أصبحت في غم شديد[3]

ــ قول الحسن بن علي رضي الله عنه : كان إذا ابتدأه أمران[4] لا يرى أيهما أقرب إلى الحقِّ ، نظر فيما هو أقــرب إلى هــواه فخالفه :

فالحسن رضي الله عنه ، يحث على مخالفة الهوى ، والهوى ، ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[1] ، ويعتبر

[1] الداء والدواء لابن القيم صـ ٣٧٩
[2] جهاد النفس صـ ٧٧
[3] جامع العلوم والحكم
[4] البداية والنهاية (١١ / ١٩٩

الهوى من الأسباب التي لأجلها خالفت كثير من الأمم أنبيائها فاستكبروا و لم يقبلوا الحق والهدى والنور الذي جاءهم به أنبياؤهم ، عليهم السلام . قال تعالى : ((**وَلَقَدْ أَخَذْ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسهم فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**)) (المائدة ، الآية : ١٠) كما أن الله تعالى أمر نبيه داود عليه السلام بمخالفة الهوى ، قال تعالى : ((**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ** يَومُ الحِسَاب)) (ص ، الآية : ٢٦) . ويقول ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : ونفس الهوى ــ هو الحب والبغض الذي في النفس ــ لا يلام عليه ، فإن ذلك قد لا يملك ، وإنما يلام على اتباعه[2] ،وقال في موضع آخر : ومجرد الحب والبغض هوى ، لكن المحرم اتباع حبّه وبغضه بغير هدى من الله[3] ، إن العلاج الناجع والبلسم الشافي لمن ابتلى بشئ من الهوى ، إلزام النفس بالكتاب والسنة ، واتباع منهج السلف الصالح وتربية النفس باستمرار على التقوى والخشية من الله تعالى ، واتهام النفس ومحاسبتها دائماً فيما يصدر منها وعدم الاغترار بأهوائها وتزييناتها وخداعها ، والإكثار من إستشارة أهل العلم والإيمان واستجلاء آرائهم حول ما يريد أن يقوله ويفعله ، وكذلك ترويض النفس على استنصاح الآخرين

---

[1] التعريفات للجرجاني ص ٢٥٧ .
[2] الفتاوي (١٣١/٢٨) .
[3] المصدر نفسه (١٣٣/٢٨) .

وتقبل الآراء الصحيحة الصائبة وإن كانت مخالفة لما في النفس ، وتعويدها على التريث وعدم الاستعجال في إصدار الأحكام وإمضاء الأعمال والحذر من ردود الأفعال التي قد يكون فيها إفراط وتفريط وغلو أو تقصير ، وجهل وبغى وعدوان ، وإكثار المرء من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يجنبه اتباع الهوى ومضلات الفتن ويسأله تعالى أن يوفقه لقول كلمة الحق في الغضب والرضا ويكثر الدعاء الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته : وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب[1] . وقوله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء[2] .

٤ ــ **قال الحسن رضي الله عنه : يجوز أن يظن السوء بمن علم السوء منه وبدت عليه أدلته وليس ينبغي أن يظن به** السوء بمجرد الظن فإن الظن يكذب كثيراً[3] . ومفهوم هذه الحكمة الحسنية أن المؤمن الكيس الفطن يجوز له ظن السوء بمن علم من أحواله ، وتصرفاته ، وسلوكه ومواقفه وأقواله ما يشير إلى السوء به ، فإن الإنسان يظهر بعض ما في نفسه على صفحات وجه وفلتات لسانه ، وبعض مواقفه ، وهذا الظن لا يبني عليه عقاب أو جزاءً على الشخص المشكوك فيه بطبيعة الحال ولكن المقصد من قول الحسن رضي الله عنه الاحتراز والحذر والحيطة من أمثال هؤلاء حتى لا يقع الإنسان المسلم في مصائب وويلات بسبب حسن الظن

[1] النسائي ، ك السهو ، باب الدعاء بعد الذكر (٥٥/٣) صححه الألباني .
[2] سنن الترمذي وصححه الألباني ، كما في صحيح سنن الترمذي (١٨٣/٣) .
[3] الشهب اللامعة في السياسة النافعة للمالقي صـ ١٧٣ .

بأمثال هؤلاء ومن عاشر الناس علم خطورة الثقة في من له سوابق من سوء الظن وقرائن تدل على ذلك وأما مجرد ظن السوء بالمسلم بلا دلائل ولا قرائن قوية فلا ينبغي للمسلم ، فقد قال تعالى : ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**)) (الحجرات ، الآية : ١٢) . قال بعض العلماء في قوله تعالى ((**إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**)) . هو أن تظنَّ بأهل الخير سوءاً ، فأمّا أهل السوء والفسوق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر لنا[١] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث[٢] . وعد ابن حجر سوء الظن بالمسلم من الكبائر الباطنة حيث قال .. وذلك أنّ من حكم بشرٍّ على غيره بمجرد الظن حمله الشيطان على احتقاره ، وعدم القيام بحقوقه ، والتّواني في إكرامه ، وإطالة اللسان في عرضه ، وكل هذا مهلكات ، وكل من رأيته يسئ الظّنَّ بالناس ، طالباً لإظهاره معايبهم ــ فاعلم أنّ ذلك لخبث باطنه وسوء طويّته ، فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه ، والمنافق يطلب العيوب لخُبث باطنه[٣] .

فهذه إطلالة موجزة على قول الحسن بن علي رضي الله عنه : يجوز أن يظن السوء بمن علم السوء منه وبدت عليه أدلته وليس ينبغي أن يظن به السوء بمجرد الظن ، فإن الظن يكذب[٤] كثيراً .

٥ ــ قول الحسن بن علي رضي الله عنه : والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم[١] ، فالحسن رضي الله عنه يحث الناس

---

[١] الأخلاق بين الطبع والتطبع صـ ٢٤٣ .
[٢] البخاري رقم ٥١٤٣ ، مسلم رقم ٢٥٦٣ .
[٣] الزواجر صـ ١١٤ .
[٤] الشهب اللامعة في السياسة اللامعة صـ ١٧٣ .

ويوصيهم بضرورة التشاور فيما بينهم في جميع أمورهم ، وقـد مـارس الرعيل الأول الشورى وتعلمها من هدي الرسول صلى الله عليه وسـلم والخلفاء الراشدين ، وقد شاور الحسن أخيه الحسين وابن عمه عبد الله بن جعفر وغيرهم من قادة دولته في الصلح مع معاوية رضي الله عنهم كمـا سيأتي بيانه ، وتعتبر الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ، ومن لا يستشير أهل العلم والدين ـــ من الأحكام ـــ فعزله واجب ، هذا ما لا خلاف فيـه[2]. وقال الجصاص الحنفي ـــ رحمه الله ـــ في تفسيره بأحكام القرآن معقباً على قوله تعالى : ((وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)) وهذا يدل على جلالة موقع الشورى لذكرها مع الإيمان ، وإقامة الصلاة ، ويـدل على أننا مأمورون بها[3]، قال الطاهر بن عاشور : مجموع كلام الجصاص يدل على أن مذهب أبي حنيفة وجوبها[4]، وقال النووي ـــ رحمه الله ـــ : واختلف أصحابنا هل كانت الشورى واجبة على رسول الله صـلى الله عليه وسلم أم كانت سنة في حقه كما في حقنا ، والـصحيح عنـدهم وجوبها ، وهو المختار قال الله تعـالى : ((وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)) ، والمختار الذي عليه جمهور الفقهاء ومحققو الأصول أن الأمر للوجوب[5]. وقال ابن تيميه رحمه الله : لا غنى لولي الأمر عن المشاورة فإن الله تعـالى أمر بها نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : ((فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

---

[1] تهذيب الرياسة ، وترتيب السياسة للقلعي صـ ١٨٣ .
[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٣٧٩) .
[3] أحكام القرآن للجصاص (٣ / ٣٨٦)
[4] التحرير والتنوير (٤ / ١٤٩)
[5] شرح النووي على مسلم (٤/ ٧٦)

يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)) (آل عمران ، آية : ١٥٩) . إن الشورى من قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم ، وقد شرع نظام الشورى لحكم بالغة ومقاصد عظيمة ، ولما فيها من المصالح الكبيرة ، والفوائد الجليلة التي تعود على الأمة والدولة والمجتمع بالخير والبركة ومن ذلك :

ـ الشورى نوع من الحوار المفتوح ، ومن أحسن الأساليب لتوعية الرأي العام وتنويره ، وتعزيز عوامل الحب والثقة بين الحاكم والمحكومين ، والقائد والمقودين ، والرئيس والمرءوسين ، وهو خير أسلوب في الحكم لعزل الشكوك ، ونفي الهواجس ، وإزالة الأوهام ، ووقف الإشاعات التي تنمو عادة في ظل الاستبداد ، وتنشر في عتمة الغوغائية

ـ تقضي مبادئ الإسلام بأن يشعر كل فرد أن له دوراً في حياة المجتمع والجماعة ، والشورى تتيح الفرصة أمام كل فرد لكي يقدم ما يستطيع من جهود وأفكار وآراء ومهارات لخير المجتمع ، كما تتيح الفرصة أمام كل فرد ليعبر عن رأيه في الشئون العامة .

ـ إن الشورى تمنح الدفء العاطفي ،والتماسك الفكري لأفراد الأمة ، وفيها إشعار الفرد بقيمته الذاتية ، وقيمته الفكرية ، وقيمته الإنسانية ، وتدفع أفراد المجتمع نحو الاجتهاد والإبداع والرضى وتتفجر الطاقات وتنكشف المواهب المغمورة في الأمة .

ـ إن الشورى تساهم في علاج ضروب الكبت الضاغطة ، وكوامن الأحقاد الدفينة ، وتطيح بكثير من الكظوم الخفية ، تدفع رعايا الدولة للعطاء والحرص على ترسيخ النظام ، وصدق الولاء .

ـــ وفي نظام الشورى تذكير للأمة بأنها هي صاحبة السلطان وتذكير لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها في مباشرة الحكم والسلطان .

ـــ وفي المشاورة امتثال لأمر الله بها ، واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه المزية أرجح المزايا المتقدمة ، وهذا أهم العوامل في نجاح نظام الشورى[1]. فالحسن بن علي رضي الله عنه يحث الناس على الاهتمام بالشورى وممارستها وتطبيقها ولذلك قال : والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم[2]

٦ ـــ قال الحسن بن علي رضي الله عنه في بعض مواعظه للمسلمين :

يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً وارض بما قسم الله لك تكن غنياً واحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً . أنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً أصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً . يا ابن آدم انك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ، فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع[3] ، وتلا هذه الآية : ((وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)) (البقرة ، آية : ١٩٧) .

أ ـــ وهذا شرح موجز لهذه الخطبة الحسنية يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً[4]، فهذا توجيه من الحسن بن علي يحث فيه الناس على الابتعاد من المحرمات ، ويعتبر الحسن بن علي من ترك

[1] الشورى بين الأصالة والمعاصرة لعز الدين التميمي صـ ٣٣ ، ٣٤
[2] تهذيب الرياسة وترتيب السياسة صـ ١٨٣
[3] نور الأبصار ، الشبلنجي صـ ١٢١ ، الحسن بن علي صـ ٢٨
[4] المصدر نفسه صـ ١٢١

المحرمات فهو العابد فالوقوع في المحرمات توقع الإنسان في الغفلة وتعرضه لسخط الله وعقابه وغضبه ، كما أن الوقوع في المحرمات والغفلة عن طاعة الله سببان لمفاسد كثيرة وأضرار بليغة في الدنيا والآخرة يقول ابن القيم : قلة التوفيق وفساد الرأي ، وخفاء الحق ، وفساد القلب ، وخمول الذكر ، وإضاعة الوقت ، ونضرة الخلق ، والوحشة بين العبد وبين ربه ، ومنع إجابة الدعاء ، وقسوة القلب ، ومحق البركة في الرزق والعمر ، وحرمان العلم ولباس الذل ، وإهانة العدو ، وضيق الصدر ، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ، ويضيعون الوقت ، وطول الهم والغم وضنك المعيشة ، وكسف البال ، كل هذه الأشياء تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع من الماء ، والإحراق من النار ،وأضداد هذه تتولد من الطاعة[1]، فالبعد عن المحرمات طريق للطاعات ، فيصبح المسلم عابداً ، ولذلك قال الحسن عف عن محارم الله تكن عابداً[2].

ب ــ وأرض بما قسم الله لك تكن غنياً[3] :

يتحدث الحسن رضي الله عنه عن الرضى بما كتبه الله على العبد ، وأن الرضى يؤدي إلى الغنى بالله سبحانه وتعالى ، والرضا عن الله سبحانه وتعالى معناه : أن لا يكره العبد ما يجري به قضاء الله تعالى [4]. وأعلاه : سرور القلب ، وسكينة النفس إلى قضاء الله

[1] الفوائد صـ ٣٢
[2] الحسن بن علي صـ ٢٨ ، نور الأبصار صـ ١٢١
[3] المصدر نفسه صـ ٢٨
١المفردات للراغب صـ ١٩٧

وقدره خيره وشره والإيمان بالقضاء والقدر أحد الأركان الستة ، حلوه ومره ، وهذا القسم من الرضا من أجـــل الأخلاق الإيمانية لأنه : آخذ بزمام مقامات الدين كلها ، إذ هو روحها وحياتها ، فإنه روح التوكل وحقيقته ، وروح اليقين ، وروح المحبـــة ودليل صحة محبة المحب ، وروح الشكر ودليله[1]، وهو أيضاً يفتح بـــاب حسن الخلق مـــع الله تعالى ومع الناس ، فإن حسن الخلق مـــن الرضا ، وسوء الخلق من السخط ، بل إن بعض العلماء عـــرف الرضا بحسن الخلق مع الله ، قال ، لأنه يوجب ترك الاعتـــراض عليه في ملكه ، وحذف فضول الكلام الذي يقـــدح في حـــسن خلقه **...** فلا يسمى شيئاً قط قضاه الله تعالى وقدره باسم مذموم ، إذا لم يذمه الله تعالى ، لأنه ينافي الرضا[2]، ولذلك كـــان هـــذا النوع من الرضا محل عناية القرآن الكريم في التحدث عنه بآيات كثيرة يقول فيـــها عز وجل : ((**رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْـهُ**)) (التوبة ، الآية : ١٠٠) مما يدل على أنـــه مـــن أعلـــى مقامات الإيمان لما يعينه من كمال الخُلق مع الخالق جلا وعـــلا لكل ما يقضيه الله عز وجل في خلقه وكونه وتشريعه ، فيقبلـــه العبد بكل سرور واطمئنان وانشراح نفس ، فلا يجد في نفـــسه حرجاً ممّا قضاه الله تعالى له من خير أو شر ــ بل يرضـــى بمـــرُ القضاء الذي قدره له ــ ولا على ما قضاه في الكون من تـــدبير وخلق وفناء بداية لما يعلمه من حكمته سبحانه في تدبيره الملكوت

---

[1] مدارج السالكين (٢/٢١٨)
[2] مدارج السالكين (٢/٢٢٠)

كله ، ولا على ما شرعه لعباده من تشريع على ألسنة رسله ، وفي محكم كتابه ، لأنه كله هو الحق والهدى ـــ فصاحب هذا الخلق يتلقى كل ذلك بالمحبة والسرور على مراد الله الذي قضاه في كل ذلك ، لعلمه أن الله عز وجل حكيم في فعله وتدبيره وقضائه ودود مع عباده لا يفعل لهم إلا محض الخير مهما بدا لأنفسهم خلافه[1] ، وقد كان جدّ الحسن صلى الله عليه وسلم القدوة المثلى والأسوة الحسنى ، فقد بين لنا صلى الله عليه وسلم كيف كان رضاه عن الله تعالى فيما يبتليه به في الحياة من متاعب في النفس أو المال أو البنين أو الأقارب ؟ ، فكان صلى الله عليه وسلم على ذلك النحو من الرضا كمالاً وتماماً سواء فيما ناله من الأذية في نفسه من جراء دعوته إلى الله تعالى في مكة أو في الطائف أو في المدينة ، ولقد بلغت به الأذيّة، أن جرت عليه عدة محاولات اغتيال فلم تفلح، فلم يزد على تقرير المحاولين ما أرادوه ، ثم العفو عنهم ، وأما رضاه بما كان عليه من القلة في المال ، فلم تعرف البشرية رضاً مثله ، حيث بلغ به في حاله ذاك ، أن جعل يدعو الله تعالى ويقول : اللهم أجعل رزق آل محمداً قوتاً[2] ، وأما في فقد الأولاد فلما مات خال الحسن ولد النبي صلى الله عليه وسلم الرضيع إبراهيم عليه السلام عن ثمانية عشراً شهراً ، وقد رزق به على الكِبَر وبعد موت أبنائه الذكور من قبل ، لم يتزعزع رضاه عليه الصلاة والسلام لقضاء الله وقدره ، بل أعلن رضاه

[1] أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة (٩٦/١) .
[2] البخاري ، الرقائق رقم ١٠٥٥ .

بذلك ، وقال فيما رواه عنه أنس بن مالك ـــ رضي الله عنه ـــ : إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا بما يرضي ربنـــا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون[١] وأما أقاربه صلى الله عليه وسلم فقد صُرِّعوا حوله بين يديه في الدفاع عنه وعن دعوته ، فلم يتبرم لذلك ، بل جاء أنه قال في حق عمه أسد الله وأســـد رســـوله حمزةبن عبد المطلب[٢] رضي الله عنه ـــ الذي استشهد بأحـــد ، ومُثِّلَ به أيَّما تمثيل : فنظر إلى منظر لم ينظر إلى منظـــر أوجـــع للقلب منـــه ، نظر إليه ، وقد مُثِّل به ، فما زاد على أن قـــال : رحمة الله عليك ، إن كنت ما علمتك إلا وصولاً للرحم ، فعولاً للخيرات ، والله لولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركـــك حتى يحشرك الله في بطون السباع[٣] ومع ما كان عليه صـــلى الله عليه وسلم من كمال الرضا عن الله تعالى في كل أحواله ، فقـــد كان دائب الدعاء أن يرزقه الله تعالى المزيد من الرضا والثبـــات الدائم عليه[٤]، فكان من دعائه صلى الله عليه وسلم : ... وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد المـــوت ، ولـــذة النظـــر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك ، وأعوذ بك من ضراء مـــضرة ، وفتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتـــدين[٥]، و لم تقتصر أقواله صلى الله عليه وسلم في الرضا على ما كان يعبر

[١] مسلم رقم ٢٣١٥ .
[٢] طبقات بن سعد (٨/٣) .
[٣] تفسير ابن كثير (٥٩٢/٢) عزاه ابن كثير إلى البزار وقال عنه بعد إيراده له بسنده : هذا إسناده فيه ضعف ، وذكره بنحوه ابن هشام في سيرته (١٧١/٣) عن ابن إسحاق مرسلاً .
[٤] أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة (١٠٠/١)
[٥] سنن النسائي ، في السهو (٥٥/٣) من حديث عمار بن ياسر اسناده حسن

به عن نفسه من ذلك الخلق العظيم ، بل كذلك كان ينوه بهـــذا الخلق العظيم ، ويبين ما له من عظيم الأجر والثواب عنـــد الله ، ليحض أمته عليه ، وذلك كما في قوله صلى الله عليه وسلم : من قال حين يسمع المؤذن : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحـــده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله ، رضيت بالله ربا ، وبمحمـــد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، وبالإسلام دينا ، غفـــر لـــه ذنبه[1]. ويلاحظ هنا كيف ربط النبي صلى الله عليه وسلم هـــذا الدعاء بأمر يتكرر يومياً خمس مرات ، ليـــصبح هـــذا الـــدعاء ومضمونه شيئاً راسخاً في نفس المؤمنين والمؤمنات ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا ، وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا[2]. فقد بين في هـــذين الحديثين عظيم خلق الرضا عن الله تعالى حيث أبان أن هذا الخلق سبب لمغفرة الذنوب ، وشهد له في الحديث الآخر أنه مما يوجد حلاوة الإيمان ، وذلك لأن صاحب هذا الخلق يعلم أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن تدبير الله تعالى له خير من تدبيره لنفسه ، فيعيش قرير العين في هذه الحيـــاة في السراء والضراء ، يحمد الله تعالى على الخير وغيره ، لأن ذلـــك كله فعل الله تعالى وتصرفه في ملكه ، وأي راحة للمرء أكثر من أن يعيش في هذه الحياة على هذا النحو[3] ؟ ، فالحسن بن علـــي

[1] مسلم رقم ٣٨٦
[2] مسلم رقم ٢٧٥٨
[3] أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ١٠١) .

رضي الله عنه حثّ على هذا الخلق بلسان الحال ولسان المقـــال فقد قال : وأرضى بما قسم الله لك تكن غنيا[1]

جـــ ـــ قوله : واحسن جوار من جاورك تكن مسلماً[2] :

فالحسن رضي الله عنه يحث المسلمين على حسن الجوار فحق الجار على جاره من أعظم الحقوق ، قال تعالى ((وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ)) (النساء ، آيـــة :٣٦) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه[3] وذلك لشدة الوصية به وتأكيدها ومن حقـــوق الجوار وآدابه في الإسلام أمر منها :

ـــ عدم إيذائه بأي شئ من قول أو عمل : فقد قال صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره[4] . فيجب على الإنسان أن يكف اذاه عن جاره ، وسواء كان بالقول ، أو بالفعل ، أو بالإشارة فأذية الجار محرمة على كل حال

ـــ الإحسان إليه دائماً : وبكل صورة ممكنه ، كما قال صلى الله عليـــه وسلم : من كان يؤمن واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخــــر ، فليقل خيراً ، أو ليسكت[5] ونظراً للأهمية الكبرى التي يعطيهـــا الإســـلام

[1] الحسن بن علي صـ ٢٨ ، نور الأبصار ١٢١ .
[2] المصدر نفسه صـ ٢٨ .
[3] البخاري ، رقم ٦٠١٥ .
[4] البخاري ، رقم ٦٠١٨ .
[5] مسلم ، رقم ٤٨ .

للجار ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين صدق الإيمان بالله واليـــوم الآخر والإحسان للجار ولو طبقنا هذا التوجيه النبوي مـــع جيراننـــا في مجتمعاتنا لتحولت هذه المجتمعات إلى مجتمعات متعاونة ومتكاثفة ولعاش أهلها حياة طيبة .

ـــ تحمل أذى الجار والصبر عليه : وكما قيل : ليس حسن الجوار بكف الأذى على الجار ، ولكن بتحمل أذاه . فينبغي للمسلم أن يصبر علـــى أذى جاره ، وأن يتحمله ، وأن يقابله بالإحسان . فإن بهذا يغلق البـــاب أمام نزغ الشيطان

ـــ مواساته بالطعام ولا سيما إذا كان فقيراً :

قال صلى الله عليه وسلم : ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع جنبه[١] ، وقال صلى الله عليه وسلم: إذا طبخ أحدكم قدراً فليكثـــر مرقهـــا ، ثم ليناول جاره منها[٢] ، وقال صلى الله عليه وسلم : يا نساء المـــسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة[٣] . فينبغي لكل

مسلم أن يتنبه إلى هذا الأدب الرفيع ، وألا يهمله ، فإن له أثراً عظيمًـــا على الجار ، وهو دليل على اتصاف المجتمع المسلم بالتراحم ،

والتعاطف ، والتكافل بين أفراده[٤] ويفهم من الحديث الحرص على ســـد احتياجات الجار ما أمكن من ملابس وأدوية وغيرها

ـــ مشاركته الفرح والحزن :

---

1 المستدرك (١٦٧/٤) السلسلة الصحيحة رقم ١٤٨ .

2 مجمع الفوائد (٨ / ١٦٥) ، صحيح الجامع للألباني رقم ٦٧٦

3 مسلم رقم ١٠٣٠

4 موسوعة الآداب الإسلامية (١ / ٢٩٩)

فإذا كان عند جاره مناسبة سارة فينبغي له أن يذهب إليه ، وأن يشاركه ويقاسمه فرحه ، ما لم يكن فيه معصية وإذا أحلت به

نازلة فينبغي له أن يحضره ، وأن يشاركه ويقاسمه حـــــزنه ، ويواســـيه بالكلمة الصالحة ، ويشد من أزره . وكل هذا من حق المسلم أصلاً على أخيه المسلم ، والجار أولى بهذه الحقوق من غيره .

ـــ أن يعرض عليه البيت قبل غيره إذا أراد التحول عنه :

فإذا أراد أن ينتقل من داره فليعرضها على جاره قبل غيره ، فقد يرغب في شرائها ، وكذلك أي أرض أو عقار ، وقد قال صلى الله عليه وســـلم : من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره[١]. وهـــذا أطيـــب لخاطره ولقلبه ، وإذا فرط الناس في هذا الأمـــر فـــإنهم يفتحـــون بابـــا للمشاحنات والمنازعات والعداوات ، فالله المستعان .

ـــ ألا يمنع جاره من غرس خشبه في جداره : إذا احتاج الجار إلى ذلك ، فينبغي أن يسمح له بغرس هذه الخشبة ، ولا يمنعه من الانتفاع بها ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : لا يمنع جار جـــاره أن يغـــرس خـــشبه في جداره[٢]. ثم قال أبو هريرة : مالي أراكم عنها معرضين ؟ والله لأرمين بها بين أكتافكم . أي لأصرحن ولأحدثن بها بينكم مهما ســـاءكم ذلـــك وأوجعكم[٣]ويفهم من الحديث كل مساعدة يحتاجها الجـــار ولا يترتـــب عليها ضرر لجاره ، فالإسلام يحث على تقديمها .

---

[١] سنن ابن ماجة رقم ٢٤٩٣ ، صحيح ابن ماجة ٢٠٢٢
[٢] البخاري رقم ٢٤٦٣
[٣] موسوعة الآداب الإسلامية (٣٠١/١)

ـــ تعظيم حرمة الجار وعدم خيانته : لا بإفشاء سره ، ولا بهتك عرضه ، ولا بالفجور بأهله ، فإنه من أقبح الكبائر قال صلى الله عليه وسلم لما سئل : أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك . قيل ثم أي ؟ قال : أن تزاني حليلة جارك[1]، بل ينبغي أن يحفظه في نفسه وماله وعرضه ، حتى يأمنه جاره ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : والله لا يؤمن ـــ ثلاثاً ـــ الذي لا يأمن جاره بوائقه[2]. أي غدره وخيانته[3]. ولذلك كان الحسن بن علي رضي الله عنه يوصي الناس في مواعظه وخطبه بحسن الجوار والإحسان إلى الجار فقد قال : واحسن جوار من جاورك تكن مسلماً[4].

ح ـــ قوله : وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً : فالحسن رضي الله عنه يحث المسلمين على إنصاف الناس ومصاحبتهم بالعدل وعدم ظلمهم ، فالإنصاف خصلة شريفة ، وخلة كريمة ، يدل على نفس مطمئنة ، وأفق واسع ، ونظر في العواقب بعيد ، ويعرف بأنه ، استيفاء الحقوق لأربابها[5]، واستخراجها بالأيدي العادلة ، والسياسة الفاضلة[6]، وقال ابن القيم في إنصاف الناس : أن تؤدي حقوقهم ، وألا تطالبهم بما ليس لك ، وألا تحملهم فوق وسعهم ، أن تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به ، وأن تعوضهم ممّا تحب أن يعوضوك منه ، وأن تحكم لهم أو عليهم بما تحكم به لنفسك أو عليها[7]. الإنصاف والعدل

---

[1] مسلم رقم ٨٦
[2] البخاري رقم ٦٠١٦
[3] موسوعة الآداب الإسلامية (٣٠١/١)
[4] الحسن بن علي صـ ٢٨ نور الأبصار صـ ١٢١
[5] أرباب : أصحاب ، مفرد رب
[6] الأخلاق بين الطبع والتطبع صـ ٢٢٨
[7] زاد المعاد (٢ / ٤٠٧) بتصرف

تؤمان نتيجتهما عُلُوُّ الهمَّة ،وبراءة الذِّمَّة باكتساب الفضائل ، واجتنـــاب الرَّذائل[1]، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالأنصاف ، ونهى أن يحملنا بغضنا للكُفَّار على عدم الأنصاف ،فقال عزّ وجلَّ : ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا**تعْمَلُون)) (المائدة : ٨) . قال ابن تيميه ـــ رحمـــه الله ـــ : فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألاَّ يعدلوا ، فكيف إذا كـــان البغض لفاسق ، أو مبتدع ، أو متأوِّل من أهل الإيمان ؟ فهو أولى أن يجب عليه ألاَّ يحمله ذلك على ألاَّ يعدل على مؤمن ، وإن كان ظالماً له[2]. وقال ابن كثير ـــ رحمه الله ـــ : أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل ، فإن العدل واجب على كلِّ أحد في كل أحد في كل حال ، وقال لبعض السلف : ما عملت من عص الله فيك بمثل أن تطيع الله فيـــه[3]. وقـــال سبحانه وتعـــالى : ((**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا**)) (المائدة : ٢) . قـــال أبـــو عبيـــدة والفـــراء : أي لا يكسبنكم بغـــض قـــوم أن تعتدوا[4] الحـــق إلـــــى الباطل ، والعـــدل إلـــى

الظلم[5] فما أجمل أن يتحلى المرء بالإنصاف ، فهو من صفات الربـــانيين الذين لا يرجون إلا الحق[6].

[1] التَّوفيق على مهَّمات التعريف للمناوي صـ ٦٤
[2] الاستقامة (١ / ٣٨)
[3] تفسير ابن كثير (٢ / ٧)
[4] تعتدوا : تتجاوزا
[5] تفسير القرطبي (٤٥/٦)
[6] الأخلاق بين الطبع والتطبع صـ ٢٢٩

قال ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ :

وتعر من ثوبين من يلبسهما

يلق الـــردى بمذمـــة

وهوان[1]

ثوب من الجهل المركب فوقه

ثوب التعصب بئـــست

الثوبان

وتحل بالإنصاف أفخر حلة

زينـــت بهـــا الأعطـــاف

والكتفان[2]

وقال المتنبي :

و لم تزل قلة الإنصاف قاطعة

بين الرجال ولو كـــان ذوي

رحم

ومن إنصاف العباد إنصافهم في الأموال والمعاملات ، والحجج والمقالات وقد عاب الله سبحانه وتعالى الذين يبخسون الناس أشياءهم ، وأوعدهم بالخسارة والهلاك ، فقال سبحانه وتعالى : ((**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**)) (المطففين : ١ ـــ ٣) . قال ابن سعدي ـــ رحمه الله ـــ : دلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له ، يجب

[1] الهوان : الخزي والعار

[2] الأعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب

عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات ، بل يدخل في عموم هذه الحجج والمقالات ، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن واحد منهما يحرص على ما له من الحجج ، فيجب عليه ــ أيضاً ــ أن يبين ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها ، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو ، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه[1] ، وتواضعه من كبره ، وعقله من سفهه[2] . فما أجمل قول الحسن بن علي رضي الله عنه : وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً[3]

خ ــ قول الحسن رضي الله عنه : إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً أصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ، فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع وتلا هذه الآية ((وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)) (البقرة ، الآية : ١٩٧) . فالحسن رضي الله عنه يصف صنفاً من الناس منغمساً في الدنيا وزينتها ، مشغولاً بالجمع والبناء ومصاباً بمرض طول الأمل فهذا حال أغلب الناس إلا من رحم ربي ، فإذا الموت يأتي بغتة ، فلم ينتفعوا بما جمعوا ، فأصبحت أعمالهم ضائعة ، ومساكنهم خالية ، فالحسن بن علي رضي الله عنه يحذر الناس من الإغترار بهذه الدنيا ويحثهم على الزهد فيها وإنما ينشأ الزهد لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة ، قال تعالى ((**قُلْ**

---

[1] الإعتساف : أشد الظلم
[2] تفسير ابن سعدي صـ ٩١٥
[3] الحسن بن علي صـ ٢٨

مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا)) (النساء ، آية : ٧٧) . والقرآن يربي المؤمن على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الكفار هم الذين يغترون بزينة الدنيا وزخرفها ، فقال تعالى : ((زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) (البقرة ، الآية : ٢١٢).

وقد بين القرآن الكريم في كثير من المواضع أن الدنيا حقيرة لا يجب أن تشغل المرء عن طلب الآخرة منها قوله تعالى : ((أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)) (التكاثر ، الآية : ١ــ ٨) ، أي أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها ، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها[1].

وروى الإمام أحمد ، عن عبد الله بن الشخير قال : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : ((أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)) يقول ابن آدم مالي مالي ، وهو لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت ، فأمضيت[2] ؟ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد : مالي مالي ، وإنما له من ماله ثلاث ، ما أكل فأفنى ، أو لبس ، فأبلى ، أو تصدق فأمضى ، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس[3] ،

[1] معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين لأبي سعيد البعري صـ ٩
[2] مسلم رقم ٢٩٥٨
[3] مسلم ٢٩٥٩

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله[1] ، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يهرم ابن آدم وتبقى معه اثنتان : الحرص والأمل[2] ، وقال الأحنف بن قيس لما رأى في يد رجل درهماً : لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل : لي ، فقال : إنما هو لك إذا أنفقته في أجر ، أو ابتغاء شكر ، ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته

فإذا أنفقته فالمال لك[3]

وفي قوله تعالى : ((**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**)) أي : ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ، ما إذا قابلتم به نعمة من شكره وعبادته[4]. وقال تعالى : ((**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**)) (طه : ١٣١ ، ١٣٢) .قال ابن كثير ــ رحمه الله ــ : يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم وما فيه من النعيم ، فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور ، وقال مجاهد : ((**أَزْوَاجًا مِنْهُمْ**)) يعني

---

[1] البخاري رقم ٦٥١٤
[2] مسلم رقم ١٠٤٧
[3] معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين صـ ١٠
[4] معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين صـ ١٠

: الأغنياء ، فقد آتاك الله خيراً مما آتاهم . ولهذا قال : ((**وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**)) فكان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله ، ولم يدخر لنفسه شيئاً قال : إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله ؟ قال : بركات الأرض[1] وقال قتادة والسدي : (زهرة الحياة) يعني : زينة الحياة الدنيا . وقال قتادة : ((**لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**)) لنبتليهم . وقوله : ((**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**)) أي : استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة ، واصبر أنت على فعلها ، كما قال تعالى : ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**)) (التحريم ، الآية : ٦) . وقوله : ((**لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ**)) يعني : إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب . كما قال تعالى : ((**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**)) (الطلاق : ٢ ، ٣) ولهذا قال : ((**لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ**)) . وقال الثوري : لا نسألك رزقاً : أي لا نكلفك الطلب . وقال ثابت : وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة[2]. وعن زيد ابن ثابت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة[3]. وقوله :

---

[1] البخاري رقم ٦٤٢٧
[2] معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين صـ ١١
[3] سنن ابن ماجة رقم ٤١٠٥ ، وصححه الألباني صحيح الجامع ٦٥١٠

((**وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**)) أي : وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن أتقى .. انتهى[1]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قـــال : اضـــطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير ، فأثر في جنبه فلما استيقظ جعلت امسح عنه ، فقلت : يا رسول الله ، ألا آذنتنا فبسطنا شيئاً يقيك منه ، فتنام عليه ، فقال : مالي وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب ســـار في يوم صائف ، فقال تحت شجرة ، ثم تركها[2]. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم سائرين على نهج النبي صلى الله عليه وسلم فقد كـــانوا أزهـــد الناس وأرغبهم في الآخرة ، فنظروا إلى الدنيا بعين أنهـــا فانية وإلى الآخرة أنها باقية ، فتزودوا من الدنيا زاد الراكب ونظروا إلى الآخرة بقلـــوبهم ، فعلموا أنهم سينظرون إليها بقلوبهم وأعينهم ولَمَّا علموا أنهم سيرتحلون منها بأبدانهم تعبوا قليلاً ، وتنعموا كثيراً ، كـــل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم ، فأحبوا ما أحبَّ لهم ، وكرهوا ما كره لهم ، قال ابن مسعود رضـــي الله عنه للتابعين : لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، ولكنهم كانوا خيراً منكم ، كانوا أزهد في الـــدنيا وأرغـــب في الآخرة ، فكان في التابعين من هو أكثر قياماً وصياماً وعبادة من الصحابة رضي الله عنهم ، ولكن الصحابة رضي الله عنهم سبقوا بأحوالهم الإيمانية من الزهد واليقين ، وصدق التوكل على الله عز وجل ولا شـــك في أن الصحابة رضي الله عنهم تعلموا الزهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال ،

---

[1] ففروا إلى الله صـ ٦٢ لأبي ذر القلموني بتعرف

[2] سنن الترمذي رقم ٢٣٧٧ وصححه الألباني صحيح الجامع رقم ٥٦٦٨

ثلاث أهلة في شهرين ، ولا يُوقد في بيته من أبياته نار[1] . **وأما قول الحسن بن علي رضي الله عنهما : فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع وتلا هذه الآية** : ((**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**)) (البقرة ، الآية : ١٩٧) . ففيها دعوة للتقوى ، والالتزام بها ، والتقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله والمطلوب من العبد أن يتعلق قلبه بالله وحده محبة له وإخلاصاً له في عبادته ورغبة فيما عنده من نعيم أعده للمتقين ، فخوفاً من سخطه وعقابه وعذابه . وللتقوى ثمار يحتاج إليها كل مسلم منها ، المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب العبد ، قال تعالى : ((**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**)) (الطلاق ، الآية : ٤) . ومنها ، تيسير العلم النافع ، قال تعالى : ((**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**)) (البقرة ، الآية : ٢٨٢) . ومنها ، إطلاق نور البصيرة ، قال تعالى ((**إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**)) الأنفال ، الآية : ٢٩) ، ومنها ، محبة الله عز وجل ومحبة ملائكته والقبول في الأرض ، قال تعالى : ((**بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**)) (آل عمران ، الآية : ٧٦) ، **وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا أحب الله العبد قال لجبريل : قد أحببت فلاناً فأحبه . فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادي في أهل السماء ، إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع**

---

[1] البخاري رقم ٦٥٦٧ مسلم رقم ٢٩٧٢ .

له القبول في الأرض[1] . ومنها ، نصرة الله عز وجل وتأييده وتسديده : وهي المعية المقصودة بقول الله عز وجل : ((وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) (البقرة ، الآية : ١٩٤) فهذه المعية هي معية التأييد والنصرة والتسديد وهي معية الله عز وجل لأنبيائه وأوليائه ومعيته للمتقين والصابرين وهي تقتفي التأييد والحفظ والإعانة كما قال تعالى لموسى عليه السلام وهارون ((لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)) (طه ، الآية : ٤٦) وأما المعية العامة مثال قوله تعالى : ((وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)) (الحديد ، الآية : ٤) وقوله: ((وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ)) (النساء : ١٠٨) . والمعية العامة تستوجب من العبد الحذر والخوف ومراقبة الله عز وجل . ومنها ، البركات من السماء والأرض قال تعالى : ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)) (الأعراف ، الآية : ٩٦) . ومنها البشرى في الحياة الدنيا ، وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم ، قال تعالى : ((أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)) (يونس ، الآية : ٦٢ ـــ ٦٤) والبشرى في الحياة ما بشر الله : المؤمنين المتقين . في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم : الرؤيا الصالحة من الله[2] . وعنه صلى الله عليه وسلم : لم يبق من

[1] مسلم ، ك البر والصلة رقم ٦٩٣٧ .
[2] البخاري ، ك الرؤيا رقم ٦٩٨٦ .

النبوة إلا المبشرات . قالوا : وما المبشرات قال : الرؤيا الصالحة[1] . وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس ، فقال : تلك عاجل بشرى المؤمن[2] . وقد رأينا من الموفقين ثناء الناس على أعمالهم في الدنيا . ومنها الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم قال تعالى : ((**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**)) (آل عمران ، الآية : ١٢٠) . يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم ، فلا حول ولا قوة لهم إلا به ، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن[3] . ومنها ، حفظ الذرية الضعاف بعناية الله تعالى عز وجل ، قال تعالى : ((**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**)) (النساء ، الآية : ٩) . وفي الآية إشارة إلى إرشاد المسلمين الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شئوهم حتى تحفظ أبناؤهم ويدخلون تحت حفظ الله وعنايته ، ويكون في إشعارها تهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله ، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع ، وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف كما الآية : ((**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**)) (الكهف ، الآية : ٨٢) . فإن الغلامين حفظا ببركة أبيهما في

[1] البخاري ، رقم ٦٩٩٠ .
[2] مسلم ، (٢٠٣٤/٤) .
[3] تفسير القرآن العظيم (٣٢٩/١) .

أنفسهما وماهما[1] ، ومنها ، سبب قبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ((**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**)) (المائدة ، الآية : ٢٧) . ومنها ، سبب النجاة من عذاب الدنيا ، قال تعالى : ((**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**)) (فصلت ، الآية : ١٨ ـــ ١٩) . ومنها ، تكفير السيئات وهو سبب النجاة من النار ، وعظم الأجر ، وهو سبب الفوز بدرجة الجنة ، قال تعالى : ((**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا**)) (الطلاق ، الآية : ٥) . ومنها ميراث الجنة ، فهم أحق الناس بها وأهلها ، بل ما أعد الله الجنة إلا لإصحاب هذه الرتبة العلية والجوهرة البهية . قال تعالى : ((**تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا**)) (مريم ، الآية : ٦٣) . فهم الورثة الشرعيون لجنة الله عز وجل ، وهم لا يذهبون إلى الجنة سيراً على أقدامهم بل يحشرون إليها ركباناً مع أن الله عز وجل يقرب إليهم الجنة تحية لهم ودفعاً لمشقتهم كما قال تعالى : ((**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ**)) (ق ، الآية : ٣١) وقال تعالى ((**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا**)) (مريم ، الآية : ٨٥) . فالحسن رضي الله عنه يحث المسلمين على التقوى حرصاً منه على أن ينال المسلمين هذه الثمار في الدنيا والآخرة ولذلك قال : فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع وتلا هذه الآية :

---

[1] محاسن التأويل للقاسمي (٤٧/٥) .

((وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى))[1] (البقرة ، الآيـة : ١٩٧)

.

[1] الحسن بن علي صـ ٢٨ ، نور الأبصار صـ ١٢١ .